أعمال الفكرية

إيهاب عمر
Ihab Omar



الجمهورية المظلومة

مصر من ٢٠٠٠ الى ٢٠١٠

Egypt in 2000 : 2010

دار دَوِّنْ

الجمهورية المظلومة

الطبعة الاولـــــــى يناير ٢٠١٠
رقم الايداع : ٢٠١٠/٢٦٥٤
I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٣٣٧-١٩-٠
غلاف : بلال وهب

١ شـــــارع السعاده مع دار السعادة
نصوح – الزيتون – القاهرة
تليفون : ٠١٠٢٢٩٨٦٠٣ – ٠١٢١٤٧٩٣٩١
فاكس : ٢٤٥٢٥٠٥٤
E-mail: dardawen@yahoo.com
موقع دار الكتب الالكتروني يدعم هذا الكتاب
www.daralkotob.net

الجمهورية المظلومة

مصر (٢٠٠٠-٢٠١٠)

إيهاب عمر

الطبعة الأولى



دار دوّن للنشر والتوزيع

مقدمة الناشر

رغم تاريخنا القصير في عالم النشر إلا أننا شعرنا مبكراً بقيمة أن نحمل رسالة سامية ونبيلة كرسالة النشر وهي قيمة إن أحسن إستخدامها الناشر المثقف كان قادراً بشكل أو بآخر على تشكيل وعي الناس وتوجيه أفكارهم . لهذا كان تكليفنا للباحث الموضوعي أ: **إيهاب عمر** بتقديم عمل أرشيفي وتحليلي يبحث في تاريخ مصر الحديث في الفترة من عام ٢٠٠٠ م وحتى عام ٢٠١٠ م وهي الحقبة الزمنية التي شهدت تحولات مجتمعية كبرى وأرست مفاهيم جديدة لم تكن موجودة في أبجديات المجتمع المصري.

ونحن إذ نقدم هذا العمل للمثقفين والمفكرين من أبناء الأمة العربية فإننا نقدم الشكر للمؤلف الذي أتم هذا العمل الفكري على أكمل وجه آملين أن تكون تلك الدراسة التاريخية ذات نفع لكل مهتم بالشأن العربي عامة والشأن المصري على وجه الخصوص ..

المقدمة

في محاولة لفهم ما يجري من حولنا، و لفهم طبيعة الشئ الذي أصبحنا جزء منه، يأتي هذا الكتاب لتوثيق و تحليل العقد الاول من القرن الحادى والعشرون.

ولنتفق في بادئ الامر ان تلك السنوات تعتبر واحدة من أحرج المراحل التى مرت بها الامة المصرية في تاريخها الحديث، سواء على الناحية السياسية أو الاقتصادية، أو حتى الدينية و الفكرية و الاجتماعية، بل أن بعض مراحل الاضمحلال في الدولة المصرية اليوم، لم أجد له مثيلاً الا في عصور الاضمحلال التى مر بها الوطن ابان عصر المماليك او العثمانيين، مما يجعلنا ندرك الى اي مدى وصلنا، و الى اي مدى انزلقنا.

فالامة المصرية اليوم اشبه بمن سقط في هوة سحيقة، و بدلا من معالجة الموقف في محاولة للتشبث بأى شئ، أو محاولة استعادة التوازن للسقوط باقل الخسائر، هنالك رغبة من الجميع بلا استثناء على ان يكون السقوط مدوياً، محطماً لكل من نجا من رحلة السقوط الأولى.

فعلى المستوى السياسى و الاقتصادى، يتواجد فئة من البشر شكل المال و التبعية للعولمة الامريكية شبكة مصالح بينهم على النطاق المحلى، و بين نظرائهم على النطاق العربى، فأصبح الملف السياسى و الاقتصادى رهينة في ايديهم، و راحوا يبثون الوهم في مجتمعنا عبر معارضة زائفة، و صحف زائفة، و زعامات زائفة و قرارات

زائفة. حتى فقد المواطن اهتمامه بهم ، و اهتمامه باجتماعتهم المزيفة و قراراتهم المزيفة وصورهم المزيفة.

وعلى المستوى الفكرى. يحاول العلمانيين و الليبراليين في سعى حثيث الى بث مفاهيم وافكار غربية مستوردة داخل الجسد الاجتماعى و الفكرى المصرى. متناسيين ان العلمانية و الليبرالية كانت تطور طبيعى داخل المجتمعات الغربية. و في بيئة دينية ترهلت حتى اصبح الاستغناء عنها لا يشكل مشكلة بعد ان خرجت التيارات الاصلاحية الدينية في اوروبا عن سيطرة الكنيسة. و اصبحت الكنيسة ذاتها مزار تذكارى مثل المعارض و المتاحف.

وفي المقابل. انطلق تيار اسلامى بأجنحة متعددة. يغتال التعددية في مجتمعنا. و يذبح الوسطية الدينية. الشعب المصرى الذى لم يكن يسأل احداً عن دينيه. سنى المذهب ويزور اضرحة آل البيت في طقس شيعى. ويخرج الزعيم الوطنى الكبير مكرم عبيد يقول:"انا قبطى الديانة و لكنى مسلم وطناً" كل هذا كان مستفزاً و بشدة لاطراف خارجية. بعضها عربى و أخر صهيونى و ثالث غربى. فكان يجب قتل هذه الوسطية. وحقن العقلية المصرية بقضايا دينية فرعية حسمها الدين اساساً منذ اربعة عشر قرناً.

وفي شيزوفرينيا غريبة. نجد مستويات الجريمة و الزنا و الشذوذ و التحرش الجنسى والكذب و النفاق و الرشاوي و الفساد الحكومة و الفساد الشعبى و الانحلال ترتفعهان بشكل سريع و جهنمى في مجتمعنا. بالتزامن مع الصعود المذهل للتيارت الاسلامية. كأنما لا يوجد تناقض. و على الطرف

الاخر في المجتمع، راح الصوت المسيحى يعلن اضطهاده وراحت قوى تغلف ما يحدث بمزيد من الاكاذيب و الافتراءات، وكانت تلك القوى اول من صدق نفسها. وهكذا اصبحت الفتنة الطائفية والدينية والاجتماعية امراً موجود بالفعل في المجتمع، بالتزامن مع حالة انفلات اخلاقى وعنف اجتماعى لا يمكن لاحد أن ينكرهما.

وعلى خلفية هذا المسرح المضطرب، يقف النسر الامريكي مرفرفاً بأجنحته، بعد أن راحت الرأسمالية الامريكية عبر أدوات العولمة – التى يصطلح ان نقول انها عولمة امريكية ايضاً – تهوى بمطارقها على النسيج الاجتماعى والفكرى والدينى وحتى السياسى والاقتصادى المصرى، واصبح تأثير العولمة الامريكية موجوداً داخل مطبخ ودولاب ملابس كل فرد على ارض هذه الامة.

المؤلف

المسرح السياسي

تعتبر مصر من أقدم دول العالم ان لم تكن الاولي التي امتلكت هرم اداري و سلطة مركزية حاكمة، و تعتبر مصر الدولة الوحيدة عبر التاريخ التي لها حدود ثابتة متعارف عليها، بينما تغيرت حدود و مسميات معظم دول العالم المتواجدة علي الخارطة الجغرافية وقت كتابة تلك السطور.

و في مصر (٢٠٠٠-٢٠١٠) فأن هيكل السلطة يعتبر واحداً من أبناء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعد أن جري تعديله أكثر من مرة، فقد بدأت الثورة بنظام الحزب/التنظيم الواحد، و اختلفت مسمياته الي ان تم الاستقرار علي الاتحاد العام الاشتراكي.

ولكن أتي الرئيس محمد انور السادات في السبعينيات بفكر مختلف، أذ رأي ان الاتحاد السوفيتي في طريقه الي الزوال، و أنه من الأفضل لمصر أن تبحر الي المعسكر الغربي الذي تحكمه الولايات المتحدة الامريكية، و من أجل تقديم أوراق اعتماد النظام السياسي المصري كنظام لائق بهذا المعسكر كان يجب تقديم بعض المظاهر الديموقراطية والحقوقية.

من هذا المنطلق أتت فكرة التعددية الحزبية، فالهدف ان يكون هنالك معارضة للنظام، محددة الصلاحيات، حتي يكتمل المشهد السياسي علي النمط الغربي، فمن الساذج ان نظن ان السادات صنع المعارضة من اجل تداول الحكم

في مصر، و من المستغرب حقاً أن نجد سواء في تلك الحقبة او في عصرنا اليوم من يظن ان هنالك انتخابات سوف تجري تحت سماء هذا النظام بشكل يسمح لتلك الاحزاب بمنافسة حقيقة، فالهدف الحكومي من وجود المعارضة هو أكمال المشهد السياسي لا أكثر و لا أقل، و من العبث الظن ان فصائل و حركات المعارضة في مصر تجهل تلك الحقيقة و هذا الدور الذي تلعبه، ومن السذاجة ان نتصور ان ايمن نور و نعمان جمعة و غيرهم حينما خاضوا انتخابات الرئاسة كانوا بالفعل يصدقون انهم قادرين علي الفوز و ان هذه انتخابات حقيقة، و لو جري و صدق هؤلاء تلك الفرضية فهذا لا يعني الا انهم لا يعرفون طبيعة الواقع الذين يعيشون فيه و بالتالي سقطت اهليتهم للعمل السياسي، و من الساذج ان نظن ان الاحزاب و الاخوان و غيرهم حيما يخوضون الانتخابات البرلمانية هم يسعون الي الحصول علي الاغلبية البرلمانية التي تجعلهم يتولون الحكم . و هنا ياتي السؤال .. كيف يدخل حزب انتخابات و هو يعرف انه لن يحصل علي الاغلبية البرلمانية حتي لو صوت له الشعب ؟ حتي لو كان يستحقها ؟؟

ونجد الاحزاب المصرية كافة تخرج من جعبة الاتحاد الاشتراكي، و نجد ان الزعماء المؤسسين للاحزاب ينتمون جميعاً الي السلطة في مرحلة ما، قبل ان تلفظهم تلك السلطة، فيسارعون للحفاظ علي الباقة المتبقية من رصيدهم علي المسرح عبر الالتحاق بفيلق المعارضة.

فنجد عضو مجلس قيادة الثورة خالد محيي الدين يؤسس حزب التجمع
ورئيس الوزراء الاسبق عزيز صدقي يؤسس التجمع الوطني للتحول الديموقراطي
ووزير التربية و التعليم الاسبق ضياء الدين داود يؤسس حزب الناصري
وعضو لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم الصحفي و الباحث بمؤسسة الاهرام الحكومية أسامة الغزالي حرب يؤسس حزب الجبهة الديموقراطية.
والدبلوماسي حسن رجب يؤسس حزب الخضر
بل وتدخل النظام في بعض الاحيان من أجل اخرج بعض الاحزاب للاضواء، مثل حزب العمل عبر ابراهيم شكري، او عبر لجنة شئون الاحزاب التي تبت في المشاكل داخل الاحزاب فلا ياتي قرار منها الا لصالح طرف موال للحكومة بشكل او باخر.
و حتي علي مستوي الحركات الاسلامية . خرج شكري مصطفي من قبل الاخوان ليعيد تاسيس حركة التكفير و الهجرة و يعطي لها شكلها المتعارف ليه.
و حينما فكر النظام في اعطاء لمحة من التجربة الليبرالية قبل الثورة لتجربته الهزيلة تلك، اتي بفؤاد سراج الدين رئيساً لحزب الوفد. مع ان جوقة الحزب و مؤسسوه الجدد ينتمون جميعاً الي النظام الحاكم. خاصة نعمان جمعة الزميل الاشتراكي لكمال الشاذلي و احمد فتحي سرور و مفيد شهاب.

بل و كانت المفارقة ان مؤسس المعارضة هو ذاته الذي اسس فكرة استخدام الاخوان المسلمين في السلطة و النظام. حينما اجتمع السادات مع عمر التلمساني و اطلق الاخوان علي التيار الناصري.

و من جوقة الجيل الاول خرج الجيل الثاني، فحزب الجيل الديموقراطي خرج من بطن حزب العمل المصري، و ايمن نور مهندس انتخاب نعمان جمعة علي حساب ياسين سراج الدين يخرج بحزب الغد، و من الحزب الناصري خرج حمدين صباحي بحزب الكرامة العربية.

فالحكومة تدرك ان هؤلاء مهمين لها حتي يبقى علي الشكل العام للنظام، و المعارضة تتفهم هذه الاهمية و في بعض الاحيان تتجاوز الخطوط الحمراء مستغلة ظرف ما كما جري في فترة الرئس بوش الابن حينما ضغطت ادارة علي الرئيس مبارك من اجل اطلاق الحريات و ما جري في تلك المرحلة.

وهكذا نحن امام مسرحية عالية الاداء. فالحكومة والاحزاب والاخوان وحتي الحركات المستقلة والشخصيات المستقلة كلها عصابة واحدة، بينهم مصالح سياسية قديمة، ومصالح اقتصادية دائمة، والعقاب لا يطال الا من يتجاوز الخطوط الحمراء للعبة، مثلما جرى مع ايمن نور او الاخوان المسلمين حينما تجاوزوا الخطوط الحمراء في انتخابات ٢٠٠٥.

اما المصالح الاقتصادية فهي معروفة و معلنة و منشورة في العديد من الصحف والغريب اننا لم نجد من يرصد هذه المصالح، مما يطرح اسئلة حول السبب. فهل اصبح المجتمع

متفهما للنمط الرأسمالي الي درجة انه لا يري مشكلة في تواجد مصالح اقتصادية بين اقطاب الحكومة و المعارضة ؟. ام ان المعارضة الصحفية لا تتفهم ما يجري او لا تريد ان تفهم؟ [1]

و الحديث عن المصالح الاقتصادية بين رأسماليو الحزب الوطني و رأسماليو المعارضة يحتاج الي كتاب منفصل، ولكن امامنا ثال بسيط للغاية، الكل يعرف ان الكاتب الصحفي ووزير الاعلام الاسبق محمد حسنين هيكل – الذي شغل منصب وزير الخارجية بالانابة ايضاً- من المعارضين للرئيس محمد حسني مبارك، و مع ذلك، نجد الابن أحمد محمد حسنين هيكل يستثمر في شركة هيرمس[2] مع جمال محمد حسني مبارك!.

هنا يأتي السؤال .. هل أحمد محمد حسنين هيكل و جمال محمد حسني مبارك شخصيات عصامية اسست امبراطوريتها الاقتصادية بنفسها ؟؟

الاجابة لا ، فمبارك الابن وهيكل الابن يستثمان بأموال ابيهم، وهو حق انساني وشرعي بكل تأكيد

اذن ، فالشراكة الاقتصادية تلك بنيت علي أموال مبارك الاب و هيكل الاب.

السؤال الثاني .. هل يمكن ان يحدث هذا بدون موافقة الاب ؟؟ و رضاه؟؟

اعتقد الأجابة واضحة، و يمكن بعيداً عن اللون السياسي ان يتتبع اى باحث التحالفات الاقتصادية لمبارك الابن و هيكل الابن ليراي اننا امام شبكة اقتصادية اقليمية بل

وتتخطى فكرة تحالف اقطاب الحكومة و المعارضة (الاحزاب-الصحف-الحركات-الشخصيات المستقلة) الي فكرة وجود تحالف بين مجموعات سياسة تتحكم في اقتصاد و سياسة الوطن العربي بأسره.

آمركة النظام:

وهكذا اتي هندسة النظام علي النمط الغربي من اجل الانخراط بهذا المعسكر من جهة ومن جهة اخري كان الامر متعلق بنهضة اقتصادية كبري يسعي السادات الي تحقيقها، بل ان انخراط مصر في المعسكر الغربي اضافة الي اتفاقية السلام مع اسرائيل كانت تحمل هدف اقتصادي يأتي قبل الهدف السياسي، فحينما بدأ الرئيس انور السادات في مخاطبة البنود الدولية (الرأسمالية الامريكية) من أجل قروض او تمويل مشاريع صناعية و تنماوية في مصر، تفاجأ بأن تلك المصارف الدولية تشترط انهاء حالة الحرب مع اسرائيل، لان الرأسمالية لا تقبل بالاستثمار في بلد يمكنه في اي لحظة ان يخوض حرباً تدمر اقتصاده، مما عجل بفكرة ابرام اتفاقية سلام مع اسرائيل في ذهن الرئيس السادات.

ويمكن القول ان التغير الذي طرأ علي شكل السلطة في مصر جعلها تدخل حالة من الأمركة، لان النمط الغربي كان محسوب بالاساس علي امريكا.

وفي الواقع ان تلك الآمركة كانت منطقية للغاية ان تصل الي النظام السياسي، فالامركة لم تكن وقتذاك شيئاً دخيلاً علي الدولة المصرية، فالاعجاب بالتجربة الامريكية و

النمط الامريكي امر يسود المجتمع المصري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، و خلال الحقبة الناصرية ساد نوع من الامركة السرية ، و تمثلت ان الدولة المصرية كانت اشتراكية المذهب، و مع ذلك كان الذوق العام المصري يميل الي اليحاة الامريكية سواء في الملبس او الطعام او حتي السينما، و كان تأثر السينما المصرية بالسينما الامريكية من جهة، وتواجد السينما الامريكية في دور العرض المصرية علي حساب باقي السينمات الغربية او حتي الشرقية من جهة اخري هو مظهر هام من موجة آمركة سرية كانت تجري تحت السطح داخل ثنايا المجتمع المصري.

بل ان الصحافة المصرية بنمطها الاشتراكي وقتذاك كصحافة مملوكة للدولة كانت تتبع المدارس الامريكية في تحرير الخبر و الوصول اليه وكان ابرز صحفي في تلك المرحلة هو هيكل الذي يعتبر ابن المدرسة البريطانية/الامريكية في الصحافة.

ومع حلول السبعينات اختلفت ادوات الامركة في العالم، وتم تدويل الامركة بشكل رسمي تحت مسميات العولمة، فقد نجح الرأسمالية الامريكية في اقناع المجتمع الامريكي اولاً ، ثم العالم ثانياً في أن النمط الاستهلاكي والسلع والاجهزة ونمط الحياة الذي يوفر للرأسمالية الامريكية الاستمرار هو النمط الذي يحتاج اليه اي انسان متحضر يسعي الي حياة كريمة في العالم، وتم صب كل هذا في قالب الحرية و حقوق الانسان فالقائمون علي الرأسمالية الامريكية يدركون انه لا يمكن للعولمة ان تترعرع الا في جو منفلت اخلاقياً ودينياً

ومجتمعات لا تسيطر عليها تنظيمات سياسية على النمط الشيوعي الحديدي أو مجتمعات بترعرع فيها فكر اسلامي لا يدعو الي البذخ الا اذا حدثت معجزة واتي انفتاح من قبل تلك التنظيمات. لذا كان مطلب تجديد و مراجعة الحوار الديني الاسلامي مطلب امريكي في مرحلة لاحقة.
ثم ان الراسمالية الامريكية اعادت صياغة وابتكار مفاهيم الشركات متعددة الجنسيات، ولم يعد مهماً ان تكون الامركة ذات صبغة امريكية او ان تنسب الي امريكا من الاساس. فالمهم ان تمتلئ خزائن الراسمالية الامريكية حتي لو كانت مصانعها في الصين وعمالها من الهنود بل و ان يكون بعض رؤساء تلك الشركات من دول مختلفة.
وفي الواقع هذا ما حدث بالفعل في اواخر السبعينات كما هو آت في السطور المقبلة. ففي بداية السبعينيات حدث تطور هام في المفاهيم الانسانية عموماً. فقد ادي انتشار وتوسع الآمركة الى جعل كل شئ قابل للتجارة، وللبيع والشراء، والى عقد الصفقات . والى النقاش والمجادلة.
فالمجتمع الامريكي على سبيل المثال لم يكن منفتح في الحديث عن الجنس بالنمط الذي نراه الان في اعلامه ، و لكن في بداية السبعينات تطور تصوير الجنس في الافلام الامريكية و اصبح اكثر تفصيلاً و ترويجاً لانماط من الممارسات الجنسية. و انتشرت المطاعم الامريكية بشكل كبير خارج الحدود الامريكية و طرقت الامركة ابواب المعسكر الشرقي . و انتشر الالحاد و الشذوذ الجنسي كنوع من الحريات و الاباحة الجنسية.

و اذا كان المجتمع المصري عاش الاعجاب بالامركة في الاربعينات ثم مارس امركة سرية في الخمسينات والستينات، فأنه عاش مرحلة أمركة ذاتية في السبعينات . وتمثلت في أن المجتمع وأن لم يكن قد طالته ادوات الرأسمالية الامريكية لأمركته، الا انه اصبح مفتتن بالنمط الامريكي ويغير حياته ومفاهيمه وفقاً لهذا النموذج، ومن رحم افكار الحرية و الليبرالية بدات المرأة المصرية للمرة الاولي في نهاية الستينات تظهر سافرة بالبكيني علي الشواطئ المصرية، وأمتدت خيوط الموضة الغربية الي الذوق المصري النسائي بشكل مكثف ، ثم الي السينما وما حدث من موجة افلام كان الانفلات الجنسي هو السمة الرئيسية لها في اوائل السبعينيات ، ولم تكد السبعينيات تنتصف الا وكان المجتمع المصري مستعداً بالفعل لوصول ادوات الراسمالية الامريكية الي السوق والمجتمع المصري.

وبالفعل بدأ سادة الرأسمالية الامريكية يتطلعون الي مصر بنظرة مختلفة، خاصة مع وجود حاكم لا ينظر الي امريكا نظرة العدو او حتي يحاول اقناع شعبه بذلك ، وهكذا بدات السلع والمنتجات الامريكية تمطر المجتمع المصري، لتدق هويته، وتعصف بمجتمعه، وقد يكون مقبولاً أن يكون هنالك انفتاح سياسي من مصر علي امريكا وقتذاك، او انفتاح اقتصادي تحدده الحكومة، ولكن ما جري ان الانفتاح السياسي ادي الي مذبحة ٦ اكتوبر ١٩٨١، و الانفتاح الاقتصادي ادي الي انتفاضة يناير ١٩٧٧، وهكذا فقدت الدولة قدرتها علي ضبط مقادير الامركة (و هو

يحدث في دول اخري مثل التي تمنع سلع او منتجات بعينها مثل الموبايل او الرسيفر او الانترنت) وهكذا دخلت مصر رسمياً دائرة الامركة، وكان يجب علي الشعب تقبل الانفتاح السياسي والاقتصادي وتوفير تأييد شعبي لهذا الانفتاح حتي تكون الحكومة ممسكة لعصا المايستور في هذا الانفتاح، ولكن مع ما جرى في ٦ اكتوبر ١٩٨١ اتت الاقدار بحكومات غير قادرة علي ضبط ايقاع تدفق العولمة الامريكية داخل الجسد المصري.

و لكن قبل مغادرة تلك المحطة يجدر بنا تأمل الانفتاح الاقتصادي الذي جري في مصر عام ١٩٧٧.

ففي يناير ١٩٧٧، و بقرار رئاسي من الرئيس السادات تقرر رفع الدعم عن السلع المصرية، و من المثير للدهشة ان دولة شيوعية اخري في شرق العالم كانت تتأهب للامر ذاته .. الا و هي الصين.

<u>الانفتاح الاقتصادي في الصين (١٩٧٨):</u>

و الصين كانت معبئة بالافكار و الاحلام الاشتراكية و الشيوعية ، و كان حلم يوتوبيا الشيوعية هو النمط الفكري السائد، و لكن البلاد كانت تمر بازمات اقتصادية منذ الخمسينات و تكلل الامر في بداية السبعينيات بحدوث مجاعات في بعض مناطق الصين بل و سجل التاريخ وقوع حوادث أكل لحوم البشر بعد ان انهى البشر أكل كافة الحيوانات من ماشية و قطط و كلاب و طيور.

أدرك ساسة بكين ان استمرار هذه السياسة هو امر مستحيل، و هكذا بدأت البلاد في فتح الباب امام

الرأسمالية الامريكية، ليس من أجل أن تسيطر العولمة على البلاد، بل من أجل السيطرة على العولمة ذاتها !.
الصين أكبر دولة في العالم من ناحية الكثافة السكانية، ومع ذلك كانت دولة فقيرة وذات اقتصاد منهار، وهنا بدأت المعجزة الصينية، فالرأسمالية الامريكية لها مصانع تصنع ادواتها . وهنالك في تلك المصانع عمال . وكل هذا يكلف الرأسمالية الامريكية الملايين، فماذا لو وجدت الرأسمالية الامريكية العامل الذي يقبل بمرتب اقل وساعات عمل أكثر؟
او مدير اقليمي يعمل اكثر ويتلقى مرتب اقل ؟
او حتي بلد توفر مقر لشركاتها بتكلفة أقل ؟؟
كل هذا وفرته الصين، عبر تسهيلات حكومية تفهمها الشعب الصيني و تجاوب معها ليعطي نموذج حقيقي للتناسق بين الحكومة و الشعب، فلم يتهم الحكومة بالعمالة، او بيع أرث الثورة، او انتفض ضدها متبعاً أول صيحة في الشارع دون فهم او وعي، فسياسة القطيع غير موجودة في فر المواطن الصيني مهما ساءت الظروف.
اصبح العامل الصيني يغادر بلاده لكي يعمل في مصانع الرأسمالية الامريكية بالصفات سالفة الذكر، بل وأدركت الرأسمالية الامريكية ان انشاء مصانع للعامل الصيني في بلده سوف يوفر لها مبالغ اخري طائلة، علي اعتبار ان الراسمالية الامركية مضطرة الي اعطاء العامل الصيني في الاراضي الامريكية الحد الادني من المرتبات وفقاً للمعايير الامريكية في حين ان تلك المعايير مختلفة في الصين.

واصبحت ادوات الأمركة لا ينتجها الامريكان انفسهم. مع بداية التسعينات لم يعد زحف الراسمالية الامريكية علي المجتمعات يسمي أمركة بل اصبح العولمة. فقد اسست الراسمالية الامريكية نمطاً استهلاكياً وبشرياً واقتصادياً اصبح بالفعل عالمياً. بدات الراسمالية الامريكية الامركة بدعوي ان كل شئ قابل للبيع والشراء حتي امتد الامر الي الامركة ذاتها واصبحت قابلة للبيع والشراء ولكن وفقاً لمعايير سياسية. اليوم العالم يمر موجة عولمة أمريكة. و لكن يوم تسيطر الصين او غيرها علي العالم فان زعامة العولمة سوف تنتقل الي الزعيم الجديد. مما يعني ان قيام نظام دولي جديد او قيام قطب دولي جديد لن يحدث الا بقيام عولمة جديدة او مضادة. ولهذا السبب تحديداً يرجح كافة الخبراء الاقتصاديين ان الصين هي الزعيمة او المنافسة الكبري في الفترة المقبلة لان ادوات العولمة في السنوات الاخيرة انتقلت الي الصين بالفعل. و اذا ما سقطت الراسمالية الامريكية فان هذا يعني بزوغ فجر الصين. وان نري عولمة صينية.

و لكن يبقى للراسمالية الامريكية انها هي التي ابتكرت العولمة. وسوف تظل مرجعيات العولمة امريكية مهما ادخل الصينين او غيرهم اي تعديلات .

وهكذا بدا الانفتاح الاقتصادي في الصين عام ١٩٧٨. وحينما حل عام ٢٠٠٣ اعلن بنك التنمية الاسيوي ان ٨٧ ٪ من الشعب الصيني تجاوز خط الفقر.

ومـن المفارقـات المذهلـة ان الطبقـة الوسـطى في الـدول العربية تنهار تحت ضربات العولمة الامريكية، بينما الطبقة الوسـطي في اوروبا و امريكـا الـتي كـان ابنائهـا يـشغلون الوظائف التي اخذها منهم الصينين تعاني الان ، في حين ان الطبقة الوسـطي في الـصين تنـهض بـالبلاد و تـصنع رفعة و مجد الصين. و اليـوم الـذي تـصل فيـه الـصين الي سـدة حكـم العـالم سـوف يكـون ذلـك بفـضل الطبقـة الوسـطي الصينية.

الانفتاح الاقتصادي في مصر (١٩٧٧):

تعالوا ننظر الى مـصر .. كـان الـشعب المـصري هـو الاخـر معبأ باحلام ناصرية لم يحققها ناصر نفـسه حينمـا كـان رئيـساً ، وتبقـي فكـرة ان الحكومـة تـدعم والحكومـة تملـك والحكومة تتصرف، فاتي القـرار الـساداتي بالغـاء الـدعم في وقت لم تكـن فيـه الـسلع باهظـة الـثمن قياسـاً بـالزمن الحاضر. او كان الاقتصاد المـصري منـهاراً قياسـاً بـالزمن الحاضر. ولكن حدثت انتفاضة ينـاير ١٩٧٧، ورغـم بـصمات التدخل الاجنبي فيمـا جـري، الا ان الـرفض الـشعبي كـان واضـحاً، ممـا يعـني ان الـوعي الـشعبي انـذاك لم يـتفهم اهمية تلك الخطوات من اجل قيام الحكومة بضبط عملية الامركـة القادمـة لا محالـة. فالـشعب تعلـم علـي يـدي القـرارات الناصرية الا يبـذل مجهـوداً. فـالارض اتـت اليـه جاهزة، والتعليم والمياه والكهرباء وحـتي الرواتـب في عـصر عبد الناصـر كانـت للجميـع. فكيـف يـضحى اي مـواطن باليوتوبيا الناصرية من أجل رفعة وتقدم الاقتـصاد ؟؟، و لا

يزال الاقتصاد المصري حتى اليوم يدفع ثمن يوتوبيا عبد الناصر.

وهكذا خرجت الحكومة من لعبة ضبط الامركة والعولمة، شأنها شأن دول كبيرة علي مستوي العالم. يقول الدكتور جلال امين ان عجلة الامركة لا تسير في المجتمع المصري فحسب، بل في فرنسا و اوروبا و حتي روسيا نفسها.

سنوات الزرع و الحصاد (١٩٨١-٢٠٠٠)

في اكتوبر ١٩٨١، أدي محمد حسني مبارك اليمين الدستوري رئيساً للجمهورية المصرية، في مرحلة عصيبة من تاريخ البلاد. فالدول مثل البشر، في مرحلة تمرض وفي مرحلة تنهض. ومصر ١٩٨١ كانت منهكة و مرهقة من المشهد الدموي الذي جري في ٦ اكتوبر ١٩٨١. فهو مشهد غير مألوف في التاريخ المصري من جهة، و يتنافي مع الطبيعة النفسية للشعب المصري الذي يميل الي الهدوء و السلم و العفو و الصفح عبر تاريخه.

ورغم استمرار الدعم اللامتناهي المصري الشعبي للقضية الفلسطينة وللصراع العربي الاسرائيلي، الا أن فكرة رفض خوض الحرب علي المستوي الشعبي تعمقت في الوجدان المصري في الثمانينات، كما ان المصريين قد شجعوا و دعموا الرئيس مبارك في بادئ عصره بشكل لم يحظي بها ناصر أو السادات نفسه.

و في الواقع أن مبارك في سنواته الاولي لم يخذل تطلعات شعبه، فصالح الطبقة السياسية واخرجها من معتقلات سبتمبر ١٩٨١، و كان المناخ السياسي وقتذاك هادئاً وظل

هادئاً حتي عام ٢٠٠١ - حينما راحت الولايات المتحدة الامريكية تطالب بحرية لاحزاب لا تفعل شيئاً في الاساس!!
- فلم يكن هنالك صوت معارضة حزبية تذكر. فزعماء الاحزاب في تلك الفترة كان ظهورهم اعلامياً ومناصبهم الوهمية ومعونة الحكومة للاحزاب كلها تكفيهم.
وعلي مستوي السياسة الخارجية استطاع مبارك ان يعيد العرب وجامعة الدول العربية الي مصر. وان يترأس منظمة الوحدة الافريقية دورتين متتاليتين ، و ان يدفع ببطرس غالي الي منصب الامين العام لمنظمة الامم المتحدة. و ان كسب ود زعماء العالم العربي بعد الشرخ الذي جرى علي يد ناصر بحرب اليمن و خلافه مع قادة البعث في سوريا والعراق اضافة الي دعمه لسلسلة انقلابات راحت ترج عروش و قصور الحكام العرب من المحيط للخليج. ثم اتي السادات بسلكه درب السلام علناً و هو امر فاق قدرات زعماء العرب السياسية الذي اتفقوا دون اتفاق علي مد العلاقات مع اسرائيل في ظلام الليل كمن يمارس الفحشاء.
بينما احترم مبارك التشاور العربي والصف العربي ورأى ان الخروج عن هذا الصف خط احمر ولكن استبدل الاجماع العربي و بالاغلبية العربية .
تصرف سياساً بحذر شديد تحول الي بطء في بعض الاحيان. ولكنه بطء افضل من قفزات متسرعة ربما تفضي الي ما آل اليه الحال مع ناصر في نكسة ١٩٦٧ او السادات في حادث المنصة ١٩٨١. كسب احترام العالم في التسعينات و اصبح قبلة زعماء وساسة العالم للتشاور. و الزعيم الذي

لا يزور القاهرة للتشاور مع حسني مبارك هو زعيم لم يفهم مفتاح الشرق الوسط ابداً.

علي مستوي السياسة الخارجية فان الدورات الرئاسية الثالثة كانت الافضل وكانت كافية للغاية . و لم ينسي المصريين حج الاعلام الغربي الي القاهرة عقب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ من اجل الاخذ بشهادة مبارك الي حارب الارهاب طويلاً .. ونادي بمحاربته علي المستوي العالمي كثيراً .

وفي الواقع ان العشر سنوات الاولي لحكم مبارك كانت سنوات الزرع ، بينما كانت العشر الثانية هو الحصاد، اما العشر الثالثة فكانت سنوات انتظار تغير من مبارك نفسه، وهو تغير لم يحدث رغم المحاولات المستمرة للظهور بمظهر التحول التدريجي.

و من الملاحظ ان الحكومة نفسها تحركت في اتجاه التغيير، سواء لتفهم ان الشعب ينتظره او بتفهم لحركة التاريخ او حتي وفقاً لضغوط اجنبية . و حاولت الحكومة الايحاء بالتغيير مراراً ، سواء عبر تحديث الحزب الحاكم ، او بعض مؤسسات الدولة مثل مجلس الوزراء و النظام الضريبي و الصحف القومية او حتي عبر اجراء انتخابات رئاسية و تعديل دستور هو الاكبر في تاريخ الوطن، و لكن كافة تلك المراحل لم تتم بالشكل الذي يرضي عنه الشعب .. و التاريخ .. و حتي الضغوط الاجنبية.

اكتشاف خرافة البنية التحتية

لسنوات طويلة في الثمانيات و التسعينات ، استطاعت الحكومة توليد انطباع عام أن عصر مبارك هو عصر

النهضة الثانية و انه تم بناء المدن الجديدة . و بناء البنية التحتية في مصر ممثلة في نظام صرف صحي حديث. و مد الكهرباء و الماء و الهاتف في كل مكان بالجمهورية المصرية.
وفي مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠ كان الاكتشاف الاهم. أن كل هذا بني علي أكتاف الفساد. والعجلة و التسرع و عدم الدقة. فالمدن الحكومية الجديدة تعاني من فراغ امني . فاصبحت بؤرة للانحراف الاخلاقي و خير ملجأ للهاربين من القانون و العدالة. بل وبدأت ظاهرة الدعاة الجدد من هنالك بغض النظر عن اتفاقنا او اختلافنا مع تلك الظاهرة و لكن الاهم ان الاجهزة الامنية تعتبر العديد من وجوه تلك الظاهرة شخصيات غير مرحب بها. ثم توج الامر بأن اصبحت واحدة من تلك المدن الجديدة هي جنة الزواج العرفي و زواج المسيار و الزنا بالفتيات المصريات و اصبحت قبلة الشيوخ والفتيان والغلمان من الخليج العربي.
اما البنية التحتية التي تحدثوا عنها مراراً. فكانت مواسير بلاستيكية واهنة. تم حقنها في جوف شوارعنا علي عجلة و دون دراسة. و ما ان تمر سيارة ثقيلة حتي تهشمها في صوت مسموع. فتفيض المياة النقية في الشوارع لتغرقها في عصر تتقاتل فيه الامم من اجل نقطة ماء. في عصر هنالك من يحارب مصر بسبب حصتها الثرية من المياه فاذا بمن يقدم للعدو هدية علي طبق من ذهب و ها هي المياة النقية تفيض انهاراً في الشوارع و تختلط في بعض الاحيان بالمواسير الصرف الصحي المهشمة مسببة تلوث مزري للبيئة المصرية المستهدفة من قبل اسرائيل.

اما بناء العمارات فحدث و لاحرج. عن سلسلة العمارات التي راحت تنهار الواحدة تلو الاخري بطول الوطن و عرضه. في حوادث هزت ثقة المواطن في الارض التي يعيش عليها و السقف الذي يستتر من الدنيا اسفله. و اصبحنا نجد شقق و غرف لا تتجاوز الثلاثون متراً او الستين متراً. تعيش فيها اسرة كاملة مما ساهم في نشر زنا المحارم بين ابناء الطبقة الفقيرة. بينما الشقة لا يزيد ارتفاع سقفها عن ٢٧٠ سنتمتراً حتي ان المواطن اصبح يبدل لمبة المصباح بيده دون ان يقف علي سلم كما كان يفعل الاجداد.

يقولون لك أن المياة والكهرباء امتدت الي كل مكان. بينما جزيرة الوراق في قلب الجيزة التي تعد بدورها جزء من القاهرة الكبري بها مناطق و احياء شاسعة بلا مياه نظيفة او كهرباء او هاتف . مما يجعلنا نتساءل عن ما يجري حقاً في الاقاليم؟

اما القري و الاحياء التي امتدت لها المياه و الكهرباء فتعاني من انقطاع طويل لكل هذا. بسبب الاعطال الناجحة عن التسرع وعدم المهنية في مد كل هذا. حتي ادرك المواطن انه خيراً له ان يقيم بحي قديم او راق بدلاً من المهانة التي يتعرض لها فيما يسمي المدن الجديدة او الاحياء السكنية الجديدة او التي مد لها الماء و الكهرباء في الثمانينيات والتسعينات.

والاهم هو ما جري في صيف ٢٠٠٩ بعد الانباء عن سد في اثيوبيا وانقطاع المياة عن العديد من احياء العاصمة. بل

ووصل الامر الى غياب المياة لعشرة ايام متواصلة عن بعض المحافظات!!.

و بالتزامن مع كل هذا، وجدنا القمامة تنتشر في العاصمة والمحافظات بسرعة قياسية ومذهلة، في اصدق رسم بياني علي تصاعد الاهمال و تفشيه مثل السرطان في الجسد الاداري الحكومي.

وجري ما بين عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ كارثة انسانية، تمثلت في ضعف انتاج الخبز، كما حدثت حوادث قتل واطلاق اعيرة نارية اقتتالا للحصول علي الخبز في بعض الاقاليم، والامر ذاته جري ما المياة !!.

و يمكن القول عبر قراءة للتاريخ انه في مصر ٢٠٠٨-٢٠٠٩ جري اقتتال علي المياة والخبز وهو امر لم يحدث منذ عصر المماليك.

و يمكن القول عبر قراءة للتاريخ انه في مصر ٢٠٠٨-٢٠٠٩ انتشرت القمامة/الزبالة في الشارع بشكل لم يحدث في تاريخ مصر . شوارع مصر اليوم في اقبح حالة لها عبر التاريخ باسره، لم يحدث يوماً ان اتى علي مصر عصر كانت فيه الشوارع بهذه القذارة.

في مصر ٢٠٠٨-٢٠٠٩ الشعب يشرب مياه و ياكل طعام ملوث بمياة الصرف الصحي كما اشارت العديد من تقارير وزارة الصحة ووزارة الزراعة.

و لا نعرف هل يتم فعل تلك المشاكل عمداً من اجل اشغال الشعب بقضايا المياه و رغيف العيش والزبالة و الصرف الصحي . و بث شعور لدي الشعب بان الحكومة تنجز

حينما يتم حل تلك المشاكل؟ اهو اهمال متعمد؟؟ من الصعب ان نعرف.

السياسة الداخلية بالارقام

- ٤٨ مليون فقير يعيشون في ١١٠٩ مناطق عشوائية – أي ٤٥٪ من المصريين (تقرير صندوق النقد الدولي للتنمية الزراعية).
- ٢,٥ مليون مصري يعيشون في فقر مدقع (تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإدارية).
- ٤٥٪ من المصريين يعيشون تحت خط الفقر يحصلون على أقل من دولار في اليوم (لجنة الانتاج الزراعي بمجلس الشورى).
- ٤١٪ من إجمالي عدد السكان في مصر فقراء (تقرير التنمية البشرية العربية ٢٠٠٩) (٢٨,٦٪ في لبنان – ٣٠٪ في سوريا – ٥٩,٩٪ في اليمن).
- ١٢ مليون مصري ليس لديهم مأوى منهم ١,٥ مليون يعيشون في المقابر (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء).
- ١٦٪ من دخل الفرد في مصر ينفق على الطعام والشراب.
- ٤٦٪ من الأسر المصرية لا تجد الطعام الكافي للحركة والنشاط (تقرير لشعبة الخدمات الصحية والسكان بالمجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية التابع للمجالس القومية المتخصصة).
- ٢٠ مليون مصري مصابون بالاكتئاب.

- ١٢٠٠ حالـة انتحـار سـنويا .. ٢٤٪ منـها في القـاهرة ، ١٩,٥٪ في القليوبية.
- المركز ٥٧ من بين ٦٠ دولة في تقرير البـؤس العـالمي مـن حيث معدلات البؤس والشقاء والتخلف والفقر.
- ٤٠ حالة تعذيب مثبتة رسميـا في ٢٠٠٧ و ٢٨ حالـة في ٢٠٠٨ غـير الحـالات الـتي لم يمكـن اثباتهـا(المنظمـة المصرية لحقوق الانسان).
- ٩٣ حالة وفاة تحت التعذيب في ٢٠٠٧، ٥٦ حالة لتعذيب المواطنين داخل أقسام الشرطة، مـن بينـها (١٣) حالـة وفاة غامضة و٢٥ حالـه اضـطهاد واحتجـاز تعـسفـي، وذلك خلال الفتـرة مـن يونيـو ٢٠٠٨ حـتى فبرايـر ٢٠٠٩ (المنظمة المصرية لحقوق الانسان).
- مئات الأحكام القضائية واجبـة التنفيـذ كتعـويـضات وافراج عن سجناء لا تنفذ ولا يوجد سـبيل لإجبـار وزارة الداخلية على تنفيذها!
- ٢٢,٤ ألف حادث سيارة في ٢٠٠٧.
- ٨٨ ألفًا و٧٧٩ قتيل، و ٣٧٩ ألـف و٢٣٣ مـصاب بـسبب حوادث الطرق في الفترة ما بين ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٦ .. المركـز الأول على مستوى العـالم في معـدلات خـسائر الأرواح (الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء).
- ٧٣٩٤ حادث بقطاع السكة الحديـد في الفتـرة مـا بـين ٢٠٠٠ و٢٠٠٦، أسفرت عن مصرع ٥٧٣ شخصا وإصابة ٨٠٥ آخرين.

- ٤ مليارات جنيه خسائر سنوية بسبب حوادث الطرق (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار).
- ٣٩ ملياراً و٣٧٣ مليوناً و٥٢٤ ألف جنيه تم اهدارها في الفترة ما بين أبريل ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩ بسبب الفساد المالي والإداري (تقرير عام ٢٠٠٨ لمركز الدراسات الريفية).
- ٨ مليار جنيه دعم سنوي لأنابيب البوتاجاز (يبلغ احتياطي مصر من الغاز الطبيعي ٦٧ تريليون قدم مكعب، وتبيع المليون وحدة حرارية لإسرائيل ١,٥ دولار والتي يتكلف انتاجها ٢,٦٥ دولار.. سعر التصدير العالمي من ٦ الى ٨ دولارت للمليون وحدة حرارية).
- المركز ١٣٤ من بين ١٣٤ دولة في معدل تعيين الاقارب والأصدقاء في المناصب المختلفة (تقرير التنافسية العالمية).
- المركز ١١٥ من بين ١٣٤ دولة في مؤشر مدركات الفساد الذي يقيس درجة انتشار الفساد بين المسئولين في الدولة (تقرير التنافسية العالمية).
- المركز ٧٢ من ١٣٤ على مؤشر الشفافية والنزاهة لمنظمة الشفافية العالمية في ٢٠٠٦، ثم المركز ١٠٥ في ٢٠٠٧ ثم الركز ١١٥ في عام ٢٠٠٨ (منظمة الشفافية العالمية).
- المركز ٧٧ من بين ١٤٦ دولة في تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠٠٧ (إسرائيل من أفضل ٢٠ دولة).
- ربع سكان مصر يعانون من ضغط الدم.

- أعلى معدل لوفيات الأطفال في العالم (٥٠ طفل لكل ١٠٠٠ مولود) .. ٣ في السويد .. ٤ في اليابان (جهاز التعبئة العامة والإحصاء).
- ٢٩٪ من أطفال مصر لديهم تقزم و ١٤٪ لديهم قصر قامة حاد وطفل من كل اثنين لديه انيميا (مديحة خطاب رئيس لجنة الصحة بأمانة سياسات الحزب الحاكم).
- ٩ مليون مصري مصابون بفيروس (سي) .. تحتل مصر المركز الأول في معدلات الإصابة بالمرض على مستوى العالم .
- ٨ مليون مواطن مصابون بالسكر والمركز الثاني على مستوى العالم في الوفاة بسبب المرض (مديحة خطاب رئيس لجنة الصحة بأمانة سياسات الحزب الحاكم).
- من أعلى معدلات الوفيات على مستوى العالم بسبب انفلونزا الطيور الذي أصبح مرضاً متوطناً في مصر (إلى جانب مخاوف من توطن انفلونزا الخنازير، ظهور حمى التيفود، مخاوف من انفلونزا الكلاب).
- ٤٪ من سكان مصر يعانون من مرض أنيميا البحر المتوسط الذي يصيب الأطفال (تقرير لوزارة الصحة).
- ٢٠ ألف مواطن يموتون سنويا بسبب نقص الدماء (تقرير لوزارة الصحة).
- اكثر من ٢٠٠ حالة إصابة بحمى التيفويد، منها ١٦٤ في قرية واحدة خلال أقل من اسبوعين.

- اكثر من ١٠٠ ألف مواطن مصري يصابون سنوياً بالسرطان بسبب تلوث مياه الشرب (د. أحمد لطفي استشاري أمراض الباطنة والقلب بمستشفي قصر العيني).
- ٢٦٪ من المصريين لا يعرفون القراءة أو الكتابة.
- ١٦ شابا من بين ١٠٠ شاب شربوا المخدرات.
- ١٧٨ مليار جنيه هي تكلفة علاج الإدمان في عشر سنوات فقط.
- ١٠ مليون عاطل (في سن ١٥ الى ٢٩ عاما) أي ٢١,٧٪ من إجمالي قوة العمل.
- ٩ مليون شاب تخطوا سن ٣٥ عاماً دون زواج (٥,٥ مليون شاب + ٣,٥ مليون فتاة) بمعدل عنوسة ١٧٪.
- ٢٥٥ ألف حالة زواج عرفي بين الطلبة (أي ١٧٪ من طلبة الجامعات) نتج عنها ١٤ ألف طفل مجهول النسب.
- المركز ١٢٩ بين ١٣٤ دولة في معدل هجرة العقول العلمية والموهوبة وتعد أسوأ دول الشرق الأوسط في ذلك (تقرير التنافسية العالمية).
- المركز ١٣٤ من بين ١٣٤ دولة في مؤشر كفاءة سوق العمل (تقرير التنافسية العالمية).
- المركز ١٢٥ من بين ١٣٤ دولة في مؤشر استقرار الاقتصاد الكلي (تقرير التنافسية العالمية).

السياسة الاقتصادية

أضافة الي انهيار البنية التحتية، فقد جرت سياسات اقتصادية خاطئة علي مدار السنوات الثلاثين الماضية، كل

مسئول يسلم عهدته البالية الي مسئول اخر و بدلاً من علاج الخطأ، يشرع المسئول الجديد في ارتكاب اخطاء جديدة اخري مختلفة عن اخطاء سلفه، كمن يشيد بناء و كلما اخطأ في طابق استمر في بناء الاخر باخطاء جديدة، حتي اصبح الحل الوحيد هو هدم المبني كله و بدء التشييد من جديد.

فالمدن الجديدة اتضح زيف خدماتها، حيث تعاني من نفس سلبيات المدن القديمة التي تعتبر بدورها سلبيات صنعتها اهمال حكومات مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وأكتفت المجموعة الاقتصادية الحكومية بالوعود الدائمة بعدم الغاء الدعم او بيع قناة السويس و الاثار !!.

وحينما فكر رئيس الوزراء كمال الجنزوري في صنع الوادي البديل، اتهم بالناصرية، لانها كانت واحدة من الافكار التي طرحت علي الرئيس جمال عبد الناصر حينما تم تشييد السد العالي، و كأنما الانتماء فكرياً الي اي زعيم سابق – سواء اتفقنا او اختلفنا مع هذا الزعيم- يعد تهمة في هذا العصر !!.

و فكرة الوادي البديل عبارة عن استغلال المياه الفائضة سنوياً في السد العالي في صنع وادي بديل، و بالفعل اعطى الجنزوري اشارة البدء و انطلقت المياه في قلب الصحراء الغربية عام ١٩٩٣.

فجأة وجدنا دراسات هزيلة و مشبوهة تشير الي أن هذا المشروع سوف يحدث اضرار بيئية و مائية و انسانية و كميائية بالكون كله، و ادى كل هذا الهراء الي تعطيل

المشروع تارة، ثم تدخل الاهمال و الفساد الحكومي لتعطيل عجلة الانجاز هنالك في قلب الصحراء [٣]، اذ ان رجال الاعمال الذين اشتروا الاراضي هنالك لم يقوموا باستصلاح الاراضي الا نسبة قليلة جداً، و حتي هذه النسبة القليلة جداً لم تقم بها الرأسمالية المصرية، بل علي يد الامير السعودي الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود [٤].

وعلي ما يبدو ان هنالك اصرار علي مطاردة افكار الجنزوري، فحينما قام بتطوير واسراع عجلة تنفيذ مشروع ترعة السلام لنقل نهر النيل الي شبه جزيرة سيناء اسفل قناة السويس، وجدنا من يقول نفس حجج مفيض توشكي و الخلاصة ان المشروع يواجه عراقيل ضخمة [٥].

وكان واضحاً ان التخبط و العشوائية و الجهل هم المسيطرين علي المشاريع المصرية، وهو رأي ذهب اليه العالم الكبير فاروق الباز في حديث له مع جريدة المصري اليوم [٦].

وفي عصر حكومة عاطف عبيد مهندس الخصخصة تم بيع كل شئ يمكن بيعه، حتي بدأ تظهر مخاوف حقيقية من بيع أهرامات الجيزة او قناة السويس، و المشكلة ان كل من اشتري غير قادر علي الاستمرار، تماما مثل شركة انوال التي اشترت عمر افندي، ثم راحت تؤجره و تبيعه من الباطن.

و مع حكومة أحمد نظيف ظهرت ظاهرة أخري هامة، تمثلت في طبقة من الاقتصاديين عملوا لسنوات طويلة في جمعية جيل المستقبل [٧] مع السيد جمال مبارك، ثم صعد بهم الي الحزب الوطني. اذ منذ تاسس الحزب الوطني

الديموقراطي عام ١٩٧٩ و هنالك حاله من الروتين تسيطر علي آليات العمل بداخله حتي اصبحت المعارضه تسميه حزب الحكومه اي انه يتم اختيار الوزراء ثم يتم اعطائم عضويه الحزب .

و الي حد ما كان هذا الامر صحيحا و لكن في اواسط التسعينات من القرن المنصرم بدات قيادات الحزب الوطني تسعي حثيثا الي اصلاح الحزب و اعاده هيكلته و لكن عجله الاصلاح في الحزب بدات فعليا منذ تاسيس جمعيه جيل المستقبل التي استطاعات ضخ دماء جديده في قواعد الحزب تتمثل في الخرجين المتفوقين من الجمعية .

و الي جانب الخرجين طرحت قيادات الجمعية المنخرطه بالحزب مشروعا ليبراليا ديموقراطيا الهب حماس العديد من اتباع التيار الليبرالي في مصر و داخل الحزب الوطني سواء من الوزراء او اعضاء مجلسي الشعب و الشوري او حتي الصحفيين والاعلامين .. و اصبحت هناك مجموعه داخل الحزب سميت الليبراليين الجدد او النيو ليبراليون و منهم تاسست امانه السياسات في الحزب الوطني عام ٢٠٠٢ و قامت تلك الامانه بتنظيم المؤتمر السنوي الاول و الثاني و الثالث للمؤتمر في السنوات ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ علي التوالي قبل ان يصبح تنظيم المؤتمر السنوي للحزب حكراً علي هذا الفريق.

و تكلل نجاح تلك الامانه عبر تسميه كلا من امينها السيد/جمال مبارك و عضو الامانه المهندس/احمد عز كامناء مساعدين للامين العام للحزب بقرار من رئيس الحزب

السيد رئيس الجمهوريه في يناير ٢٠٠٦ . وبالطبع غني عن التعريف ان تسمية الليبراليين الجدد هو محاولة لاعطاء هذا الفريق ملامح ما يسمى بالحقبة الليبرالية التي جرت ما بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٥٢ بكل ما فيها من حريات و ديموقراطية، ولعل خروج هالة مصطفي من هذه الفرقة بتصريحاتها التي انتقدت هذا الفريق وطريقة ادائه خير أدانة له ولتشبهه الزائف بالحقبة الليبرالية. وغني عن التعريف ان كافة مفكروا الليبراليين الجدد هم مجموعة من المنتفعين بالتقرب من هذا الفريق الذي يدير الحزب الحاكم والحكومة معاً.

وشهدت البلاد بعد ظهور الجمعية انتخابات برلمانية عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥ و انتخابات رئاسية كما شهدت اربع وزارات تراس اثنتين منها الدكتور عاطف عبيد و اثنتين الدكتور احمد نظيف .

يمكن القول ان ابناء الجمعية لم يظهروا في انتخابات البرلمان عام ٢٠٠٠ و لكن خلال انتخابات ٢٠٠٥ لم يدخل البرلمان عن الحزب الوطني الا من التيار الليبرالي الجديد و سبقه مجلس الشوري .

و لكن الظهور الاكبر للتيار المنبثق من الجمعية كانت في انتخابات الرئاسة فقد تكون الفريق التابع لحزب و مرشحه من التيار برئاسه رئيس مجلس ادارة الجمعية السيد/جمال مبارك امين لجنه السياسات و عضوية كلا من احمد عز امين لجنه العضويه و ماجد الشربيني امين لجنه الشباب و صلاح عبد الغني : امين التنظيم بمحافظه الاسماعيليه

رئيس نادي الاسماعيلي وقتذاك و احمد مصيلحي امين التنظيم بمحافظه القاهره و محمد كمال رئيس لجنه الشباب بامانه السياسات و لميس الحديدي زوجه عمرو اديب شقيق عماد الدين اديب و عائشه عبد الهادي (وزيره القوي العاملة فيما بعد و اول وزيرة محجبة في تاريخ مصر) و استطاعت تلك المجموعه بان تخرج باول انتخابات رئاسيه في تاريخ مصر الحديث وفقاً لادبيات الليبراليين الجدد.

اما علي صعيد مجلس الوزارء تحديدا فيمكن القول ان ابناء و مسئولين الجمعية قد اثروا المجلس .. فخلال وزارتي عاطف عبيد (١٩٩٩ - ٢٠٠٤) ظهر كلا من الدكتور احمد نظيف وزير الاتصالات و تكنولوجيا المعلومات و المهندس سامح فهمي وزير النفط و لكن خلال وزارتي احمد نظيف (٢٠٠٤ - حتي الان) اصبح لابناء الجمعية نسبه ٨٠٪ من مقاعد مجلس الوزراء.

ويكفي النظر في قائمة اسماء اعضاء مجلس ادارتها حتي نعرف ان قيادة جمعية جيل المستقبل هي التي ادارت عملية تحول الحزب الوطني الي ما هو عليه الان:

١ - رئيس مجلس الادارة ا.جمال مبارك : هو الابن الاصغر للسيد رئيس الجمهوريه/محمد حسني مبارك . تخرج من الجامعه الامريكية بالقاهره ، المدير التنفيذي لشركه ميد انفست المحدودة ، عضو مجلس إدارة البنك العربي الإفريقي الدولي ، عضو الأمانة للحزب الوطني ، عضو مجلس إدارة البنك المركزي المصري ، امين لجنه السياسات بالحزب

الوطني منذ عام ٢٠٠٢ . الامين العام المساعد للحزب الوطني . اسس الجمعية في نوفمبر ١٩٩٨ .

٢ – نائب رئيس مجلس الادارة ا.معتز عادل محمود الالفي : رئيس مجلس إدارة مجموعة أمريكانا للأغذية و المشروعات السياحية . عضو معين في مجلس إدارة الاتحاد العام للغرف التجارية . عضو منتدب بالشركة القابضة المصرية الكويتية . رئيس مجلس ادارة شركة مصر للدواجن .

٣ – امين صندوق الجمعية ا.عبد السلام مصطفي الانور : العضو المنتدب لبنك HSBC. عضو مجلس إدارة البنك المركزي المصري .

٤ – سكرتير عام الجمعية ا.محمد فاروق حفيظ : رئيس المدراء التنفيذيين للموارد البشرية مجموعة أمريكانا للأغذية و المشروعات السياحية .

٥ – عضو مجلس الاداره د.هشام زين العابدين امين محمد الشريف (هشام الشريف) : رئيس مجلس إدارة شركة أى تى للاستثمارات . عضو مجلس إدارة بنك ناصر الاجتماعي . عضو المجلس الأعلى للسياسات التابع للحزب الوطني . عضو الحزب الوطني الديمقراطي . من مؤسسي مركز المعلومات و دعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء .

٦ – عضو مجلس الاداره ا.احمد علاء الدين المغربي : وزير الإسكان و المرافق و التنمية العمرانية . عضو مجلس إدارة بنك HSBC . رئيس مجلس ادارة أكور للفنادق . وزير سياحه بين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ .

٧ – عضو مجلس الاداره ا.احمد عبد العزيز عز (احمد عز) : مواليد ١٢ يناير ١٩٥٩ . رئيس مجلس ادارة مجموعة عز الصناعيه . عضو الأمانة للحزب الوطني . عضو المجلس الأعلى للسياسات . عضو مجلس الشعب . عضو مجلس الأعمال المصري الأمريكي . عضو مجلس إدارة مركز بحوث و دراسات الدول النامية . رئيس مجلس إدارة مجموعة عز الصناعية . رئيس لجنه الصناعه بمجلس الشعب . الامين العام المساعد للحزب الوطني . امين العضويه بالحزب الوطني .

٨ – عضو مجلس الاداره ا.جلال عبد المقصود الزربه : رئيس مجلس إدارة شركة النيل للملابس .

٩ – عضو مجلس الاداره ا.رشيد محمد رشيد : وزير التجارة و الصناعة . عضو مجلس إدارة الصندوق الاجتماعي للتنمية . عضو مجلس إدارة بنك HSBC . رئيس مجلس ادارة شركة فاين فودز . عضو المجلس الأعلى للسياسات التابع للحزب الوطني . رئيس مجلس إدارة شركة يونيليفر مشرق .

١٠ – عضو مجلس الاداره ا.شريف حسن امين والي : المدير التنفيذي لجهاز تشغيل و رعاية الشباب بالجيزة . عضو مجلس الشوري . عضو لجنه السياسات التابعه للحزب الوطني .

والي جانب فريق جيل المستقبل و الفريق الذي صنع انتخابات الرئاسة. هنالك رجالات لجنة السياسات التي تدير الحزب الوطني تماماً كما كانت اللجنة المركزية هي التي

تدير الحزب الشيوعي السوفيتي، من ابرز رجال هذه الفئة [٨]
:

- احمد نظيف : رئيس الوزراء
- انس احمد نبيه الفقي : عضو الامانه العامه للحزب الوطني ، وزير الاعلام
- سامح فهمي : وزير النفط ، عضو الامانه العامه للحزب الوطني .
- يوسف رؤوف يوسف بطرس غالي : وزير الماليه ، عضو الامانه العامه للحزب الوطني .
- اسماعيل سراج الدين : مدير مكتبه الاسكندريه
- ممدوح اسماعيل : عضو مجلس الشوري
- علي الدين هلال : وزير الشباب الاسبق ، امين الاعلام بالحزب الوطني ، عضو الامانه العامه للحزب الوطني .
- سعيد عادل محمود الالفي : عضو الامانه العامه للحزب الوطني ، نائب رئيس مجلس ادارة شركة مصر للدواجن
- محمد مصطفي كمال عبد الله : امين التدريب و التثقيف السياسي ، عضو الامانه العامه للحزب الوطني . نائب مدير مركز الدراسات الامريكيه بجامعه القاهره ، دكتور بكليه الاقتصاد و العلوم السياسيه بجامعه القاهره .
- حسام حسن بدراوي : عضو الامانه العامه للحزب الوطني . عضو مجلس الشعب سابقا و رئيس لجنه التعليم التابعه لها سابقا.

- محمود صفوت محيي الدين : عضو الامانه العامه للحزب الوطني ، عضو لجنه السياسات ، وزير تنميه الاستثمار .
- ناديه رياض مكرم عبيد : عضو الامانه العامه للحزب الوطني ، وزيرة الدوله لشئون البيئة سابقا ، مبعوثة الامين العام لجامعه الدول العربيه سابقا ، عضوة مجلس اداره حركه سوزان مبارك للسلام .
- مصطفي الفقي : عضو مجلس الشعب و رئيس لجنه الشئون الخارجيه التابعه للمجلس .
- ابراهيم محلب : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني ، رئيس مجلس اداره شركه المقاولون العرب.
- احمد جمال الدين عبد الفتاح موسي : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني ، وزير التعليم السابق .
- احمد عبد اللطيف منير البردعي : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- احمد عمر هاشم : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني ، رئيس جامعه الازهر سابقا .
- اسحاق تادروس عبيد : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- امال عثمان : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .

- ثروت ثابت باسيلي بقطر : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- جلال عبد المقصود حسن الزربه : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- سلوي شعراوي جمعه : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني . عضو مجلس الشوري .
- سامح الترجمان : رئيس بورصتي القاهره و الاسكندريه .
- فرخنده حسن : رئيس المجلس القومي للمراة .
- عماد الدين اديب : رئيس مجلس ادارة ورئيس تحرير جريده نهضه مصر و العالم اليوم .
- صفوت النحاس : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- عبد المنعم سعيد : رئيس مركز الدراسات الاستراتيجيه التابع لمؤسسه الاهرام الصحفيه . عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني . رئيس مجلس إدارة مؤسسة الاهرام الصحفية.
- عبد الحي عبيد : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- محمد شفيق عادل جبر : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني . رجل اعمال .
- محمد ابو العينين : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني . رجل اعمال .

- مديحه محمود خطاب : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- مشيرة محمود خطاب : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني، وزيرة الدولة للأسرة و السكان.
- هاله سيد محمد مصطفي : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني ، رئيسة تحرير مجله الديموقراطية ، عضو مجلس اداره مؤسسه الاهرام الصحفية عضو مجلس تحرير مجله السياسية الدوليه.
- هشام زين العابدين امين محمد الشريف : عضو المجلس الاعلي للسياسات التابع للحزب الوطني .
- زهير جرانه : وزير السياحه ، رجل اعمال .
- محمد لطفي منصور : وزير النقل ، رجل اعمال .
- طارق كامل : وزير الاتصالات و تكنولوجيا المعلومات .
- احمد محمود درويش : وزير الدوله للتنميه الاداريه .
- حاتم مصطفي الجبلي : وزير الصحه و السكان .
- هادي فهمي : رئيس الشركه القابضه للتجارة ، شقيق وزير النفط/سامح فهمي .
- محمد عبد اللاه : رئيس جامعه الاسكندريه .
- هالة ابو علم : اعلامية بالتليفزيون المصري .

و هذه المجموعة و غيرها من الاسماء كانت وراء قرارات غير مسبوقة في الخصخصة و دمج القطاع العام بالخاص واعطاء الصلاحيات والصفقات للقطاع الخاص، ويمكني

بضمير مرتاح ان اطلق علي هذه المرحلة مسمى "إنتقام الرأسمالية من الثورة". فكل الخطوات التي اتخذتها الثورة في تأميم القطاع الخاص وقتذات قامت حكومة عبيد ثم نظيف بمسحها باستيكة.

ولسنا هنا في معرض للدفاع عن قرارات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢- لان الدين الاسلامي علي سبيل المثال لم ينص علي اخذ المال من الغني و اعطائه للفقير عنوة من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية- ولكن النظام الاقتصادي نظم نفسه علي وجود هذه الشركات مملوكة للدولة و بالتالي فان بيعها كان اشبه بالغوص في اساسات الاقتصاد المصري وتلغيمه بقرارات الخصخصة.

وفوق كل هذا تمت أهانة العملة المصرية، و سحلها في البورصة العالمية، واصبح الجنيه المصري يساوي ٥,٥ دولار، بينما كان في عهد الملك فاروق الجنيه المصري يساوي ٥,٥ دولار يوم انتهاء عصره!.

وهكذا نحن اقتصادياً نقف امام فكر جديد، نتاجه انهيار المدن الجديدة، و انهيار البنية التحتية للمدن القديمة، و فشل في ادارة المشروعات العملاقة التي توفر لمصر امنها المائي و الغذائي و الزراعي و الطاقة. و بيع القطاع العام بأبخس الاسعار و للمغامرين بالوطن مع استبعاد كامل للرأسمالية الوطنية حتي لا تنافس رأسماليو الحزب الوطني وحلفائهم علي المسرح السياسي و الاقتصادي. وأخيراً عملة وطنية منهارة.

السياسة الخارجية

مـرت مـصـر خـلال سـنوات ٢٠٠٠-٢٠١٠ بمرحلـة سياسـة صـعبة للغاية في تاريخها. ففـي عـصـر الرئيس الامريكـي بيـل كلنتون (يناير ١٩٩٣-يناير٢٠٠١) لعبت مـصـر دوراً سياسـياً هاماً في التقارب بين القيادة الاسرائيلية و الفلسطينية، بل و حتي في تفعيل المسار السوري و اللبناني. و بالفعل ابرمـت العديد من اتفاقيات السلام بين اسرائيل ومنظمة التحريـر الفلسطينة، و لكـن خلال تلـك الـسنوات كـان التطـرف المحافظ الامريكي يصعد بقوة داخل الحزب الجمهوري، و رغـم ان التيار المحافظ له جـذور ثابتـة في الدولـة الامريكيـة . بـل وكان دافعاً للهجرة الي امريكا ودافعاً لاعلان العصيان علي بريطانيـا واعـلان الاسـتقلال . و أطـل برأسـه مـراراً عـبر سياسيات امريكا الداخلية و الخارجية، ولكـن الـشكل الـذي ظهر به التيار المحافظ في ادارة الرئيس الامريكي جـورج بـوش الابن كان الاخطر علي الاطلاق . سواء علي العـالم او علـي امريكا نفسها.

و هذا التيار المحافظ يري ان اسرائيل لديها الحـق التـاريخي في ما تشاء من اراض بالشرق الاوسط، و انه يجـب اقامـة دولـة اسرائيل و اعادة بناء هيكل سليمان من اجل عـودة المـسيح لحكم العالم مرة اخري، و رغم ان الفكرة دينيـة خالـصة الا ان التيار المحافظ يعتبر تجمع سياسـي لعدد من رجال الاعمال و الساسة ذو افكار تدعو الي هيمنة امريكيـة علـي العـالم و اقامة امبراطورية امريكية، بـالاحري فـأن الافكـار الدينيـة تعتبر ستار لافكار سياسية ومـصالح اقتـصادية لـشبكة

معقدة من العلاقات تجمع بين كافة زعماء هذا التيار، و كما يحدث في مصر، فأن للتيار المحافظ انصار و زعماء في الحزبين الكبيرين في الولايات المتحدة الامريكية، الحزب الديموقراطي و الحزب الجمهوري، فقد في بعض مراحل التاريخ الامريكي يتولي الجمهوريين دفة التطرف و في مرحلة اخري يمتلك الديموقراطيين الدفة ذاتها.

ولان اضعاف مصر – مهما كانت ضعيفة – هدف و غاية اسرائيلية و صهيونية، فأن اضعاف دور مصر الخارجي يعتبر وسيلة و اداة لاضعاف مصر بشكل عام، و يعرف في كتب التاريخ ان مصر القوية هي التي تباشر حكومتها مشروع تنويري علي المستوي التعليمي و الثقافي و العلمي، اضافة الي لعب مصر لدورها التاريخي و الحقيقي في زعامة المشرق، و امتلاك جيش قوي قادر علي التدخل عسكرياً لاثبات ان تلك الدولة لها الكلمة العليا، و قد تكفلت الحكومة من تلقاء نفسها بتدمير العملية التعليمية، و اضفاء الجمود علي الساحة العلمية، و الفوضي علي الساحة الثقافية، و تكفلت كامب ديفيد واختلال المعايير في الشرق الاوسط بتعطيل الجيش المصري، و هكذا بقي الدور الخارجي هو العامل الوحيد اليقظ ضمن عوامل اخري خاملة.

واتي بوش الابن و في سياسته تهميش مصر، بل و محاصرتها عبر المطالبة بالديموقراطية و حقوق الانسان و الاصلاح السياسي و الحزبي، و بعد ان كان لمصر كلمة مسموعة في واشنطن بخصوص السياسة الخارجية ، حاول بوش الابن صناعة مصر اخري من السعودية تارة ، و من

قطر تارة اخري، و بالطبع لم تستطع اي دولة سد الفراغ المصري . بل ان ايران و سوريا تركيا حاولتا استغلال تركيع الامريكي لمصر بالصعود، و لكن ذلك لم يحدث، لسبب بسيط، ان دور كل بلد عبر التاريخ هو قدر و تكليف ألهي، فالدول مثل البشر، هنالك انسان موهوب و انسان ليس كذلك، و هنالك دول موهوبة و دول ليس كذلك، و مصر دولة موهوبة بدورها و موقعها و تاريخها، و هذا الدور و هذا التاريخ ليس ملك حكومة معينة مهما ضعف هذا الدور.

وفي الواقع ان اضعاف الدور المصري الذي بدأ عام ٢٠٠١ لم يكن بسبب رغبة امريكية/اسرائيلية في هذا الشان فحسب، و لكن مصر ساعدت كثيراً في هذا الامر، فتم التفريط في الرصيد الافريقي عبر سنوات وزير الخارجية عمرو موسي، كما تم اهمال العلاقات مع السودان اهم جار لمصر، و اهمال العلاقات مع دول حوض النيل، و حتي حينما قدم الرئيس البرازيلي يد لاتينية للصداقة اهملتها مصر.

احتفظت الحكومة بالعلاقات الدولية التي تكفل لها الحماية و الاستمرار من قبل المجتمع الدولي فحسب، فالعلاقات الجيدة مع اسرائيل و فلسطين من اجل المشاركة في صنع السلام، و العلاقات الجيدة مع امريكا لانها زعيمة العالم، و علاقات جيدة مع السعودية والاردن لانهما اصدقاء امريكا و يجب التنسيق معهم للظهور بمظهر الترويكا العربية، وعلاقات مع فرنسا و بريطانيا و ايطاليا و المانيا لانهم الاعبون الاساسين في اوروبا، وتناسي النظام ان رصيد مصر السياسي مستمد من علاقتها بدول

افريقيا و اسيا، و هكذا سهل النظام مهمة بوش الابن، حتي انه لم يجد صعوبة في تنفيذها.

و بالاضافة الي ذلك، فشل النظام في الترويج اعلامياً لسياسته الخارجية، علي الصعيدين الاقليمي و المحلي، فاصبحت مكروهة داخلياً و خارجياً . رغم انه هنالك بعض الانجازات التي تحسب لها، و لكن الاعلام المصري اهدرها بمهارة.

وحينما تولي اوباما الحكم في نياير ٢٠٠٩ بدات مصر تعود الي الواجهة الامريكية مرة اخري برغبة صريحة من اوباما رغم ان الكثير من افراد ادارته ضد هذا التوجه، و لكن النظام حتي اليوم لن يستطع استغلال تلك الفرصة، لان الجمود السياسي الذي استشري في المؤسسات السياسية المصرية غير قابل بالعاطي و التفاعل الايجابي مع ايا من المتغيرات السياسية الدولية الحالية، حتي لو كانت لصالح مصر، رغم ان تصعيد دور مصر في المنطقة و تحسين العلاقات مع امريكا هو غرض اوبامي اول.

مصر و العدو الصهيوني

قدمت مصر تنازلات كبيرة و خطيرة جداً في السنوات الاخيرة الي إسرائيل، كما ان عادة ممارسة التنازلات أصبحت شئ تدمنه السياسة الخارجية الى اسرائيل تحديداً، فعلي سبيل المثال هنالك عقد الغاز الطبيعي الذي تمد به مصر الكيان الصهيوني، و يكفي ان نقرأ تلك القصاصة الاخبارية:

" فى إطار حديث إسرائيل عن الإنجازات التى حققتها مؤخراً فى مجال توليد الكهرباء والطاقة، أكد مصدر إسرائيلى رسمى على أهمية الدور الذى لعبه الغاز المصرى فى تحقيق هذه الإنجازات التى جعلت بلاده فى مصاف الدول الغربية المتقدمة.

نقلت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية عن الرئيس التنفيذى لشركة الكهرباء الإسرائيلية عاموس ليسكر، تصريحاته التى تحدث فيها عن الثورة الجديدة التى حققتها إسرائيل فى مجال توليد الكهرباء والطاقة بواسطة استخدام الغاز الطبيعى، مشيراً ليسكر خلال تصريحاته إلى الأهمية الإستراتيجية للغاز المصرى الذى ساهم فى تحقيق هذه الإنجازات لإسرائيل، وبخاصة فى ظل قلة كميات الغاز الطبيعى فى إسرائيل.

كما أوضح ليسكر أن إسرائيل تعتمد بشكل أساسى على موارد الغاز الطبيعى التى تصدرها مصر إلى إسرائيل، مؤكداً أن مصر ستعمل على تصدير الغاز الطبيعى إلى إسرائيل لمدة الـ٢٠ عاما المقبلة، وستكون هذه الواردات بسعر رخيص إلى حد كبير، ولا يتعدى المليار دولار سنوياً.

يذكر أن إسرائيل أكدت منذ أسابيع على أهمية استخدام الغاز المصرى فى أغراض عسكرية تفيد الجيش الإسرائيلى، الذى قرر تحويل جميع السيارات العسكرية العاملة فى خدمة الجيش الإسرائيلى إلى استخدام الغاز، خلال السنوات القادمة"

لندرك حجم التنازل الذي قدمته مصر في هذا الاطار، أضافة الي التهاون الذي جرى في ملف المياة حتي استيقظنا علي سد مائي في اثيوبيا و ازمة مياة تضرب البيوت المصرية وسط نيران صيف رمضان ٢٠٠٩، فالحاصل ان اثيوبيا اليوم لديها سد مائي جديد ادى الي اضعاف ما يصل مصر من مياة، اضافة الي استمرار نجاح مخطط اسرائيل في فصل جنوب السودان علي شماله، ما يعني ان الخارطة الافريقية مقبلة علي دولة جديدة هي جنوب السودان، مع وجود مفارقة حقيقة تتمثل في ان اسرائيل مخترقة هذه الدولة مسبقاً، و سوف تدير الصهيونية الاسرائيلية هذه الدولة بالوكالة، مما يعني ان السعى الاول لجمهورية جنوب السودان سوف يكون منع او تقليل مياه النيل التي يجب ايصالها الي مصر باي حجة.

وبينما وزارة الخارجية لدينا نائمة، قام وزير الخارجية الاسرائيلي افيجدور ليبرمان بجولة في دول حوض النيل علناً في صيف ٢٠٠٩، و المذهل ان الموضوع هو مشاريع اقتصادية و مائية بين اسرائيل و هذه الدول، تؤدي الي تكامل مائي و اقتصادي بين هذه الدول و دولة جنوب السوادن المنتظرة، اي ان هنالك تكتل اقتصادي ذو شق مائي وبترولي سوف ينشأ علي ضفاف منابع النيل بزعامة اسرائيل، بينما حكومتنا تفكر وتفكر وتفكر وتفكر.

وهكذا و كما تم بيع الغاز المصري ببخص الثمن، فأن النيل المصري يباع الان و فعلياً .. بدون ثمن.

وهنالك هدف اخر اهم تسعى اليه الصهيونية الامريكية، الا و هو انهاك الامة المصرية وعرقلة اي تحضر او نهضة لها. فبقاء مصر في المربع رقم صفر الى أن تحين لحظة الحرب الكبري هدف اساسي للصهيونية العالمية بوجه عام والصهيونية الامريكية بوجه خاص، و انشغال مصر بقضايا الغاز و المياة و الكهرباء هو سعى صهيوني تحققه الحكومة بمهارة فائقة بقصد اودون قصد، اضافة الي ان توريط مصر في مواجهة عسكرية بقلب افريقيا هو خير انهاك عسكري و اجتماعي لهذه الامة، تماما كما تم جرجرة عبد الناصر الي حرب اليمن قبيل بضعة سنوات من معركة يونيو ١٩٦٧.

العلاقات مع ايران

مما لا شك فيه ان هنالك اطماع ايرانية واضحة في اضمحلال الدور المصري السياسي، و ذلك لان الطموحات الامبراطورية الايرانية هو هدف أولي لكل حاكم ايراني سواء كنا في العصر القديم او الحديث، سواء كنا نتحدث عن ايران بطبعتها الملكية او الجمهورية.

ورغم ذلك، فأن وجود علاقات مصرية-إيرانية قوية يعطي لمصر مساحة للمناورة وثقل سياسي لها في المحافل السياسية مع اقطاب العمل السياسي في اوروبا وامريكا واسرائيل بل وحتي العالم العربي، ولكن الدبلوماسية المصرية ترفض العمل في هذا الاتجاه، خاصة في ظل تواجد المتشددين في الحكم بايران، خاصة ان الدبلوماسية المصرية تتذكر محاولة الرئيس محمد حسني مبارك للتقدم خطوة

في الطريق الايراني في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٣ ، و ذلك خلال فعاليات قمة جنيف المعلوماتية، حينما طلب مقابلة الرئيس الايراني محمد خاتمي - و الاخير رجل اصلاحي يؤمن باهمية العلاقات بين مصر وايران، و سبق له القول أن مصر وإيران هما ضفتي الحضارة الاسلامية، وعقب خروجه من الحكم زار مصر مراراً، و صرح بأهيمة هذا البلد العريق و انه يتمني ان يقيم فيه لسنوات - و لكن كان للمتشددين في هيئة موظفي الرئيس الايراني راي اخر تمثل في ان الرئيس الايراني لن يذهب لمقابلة احد و ان من يريد رؤيته فعليه ان يزوره.

وكان الرئيس مبارك حكيماً حتي لم يلتفت لتلك الصغائر و توجه بنفسه الي جناح الرئيس الايراني، حيث استقبله الاخير في حرج من الموقف قبل ان يتحول الحوار الي ترحاب وتلاقي تحتاجه مؤسستي الرئاسة الايرانية و المصرية بعد انقطاع دام عقدين من الزمن.

وعقب تلك القمة الناجحة، المفاجئة لامريكا واسرائيل، قرر الرئيس مبارك حضور قمة اقليمية بطهران، فما كان من التيار المتشدد في ايران - الذي لا يرغب في اي علاقات حسنة بين مصر و ايران - الا ان قام بتسيير مظاهرات مناوئة لهذه الفكرة، تحت راية تنظيم حكومي يدعي "انصار حزب اللهّ"، رفع مظاهرات مكتوب عليها شعارات "مبارك غير مرحب به في طهران". و ماتت الفكرة.

العلاقات مع الدول العربية

لعل فترة مقاطعة الدول العربية لمصر عقب اتفاقية السلام مع اسرائيل قد جعلت النظام المصري اكثر حرصا علي العلاقات مع تلك الدول، و تمثلت اعلاقات مع الدول الرئيسية في العمل العربي (السعودية، الجزائر، الامارات ، الكويت ، المغرب) خط احمر، باستثناء قطر و مغامراتها الفضائية الميكروفونية عبر قناة الجزيرة، او سوريا و العراق.

ولكن حتي في هذا يعاب علي مصر عدم اتخاذها زمام المبادرة في الكثير من القضايا، اذ ان دور مصر قادر علي القيادة ، كما ان كل مجتمات العالم حتي المجتمع الدولي ذاته هنالك قائد يقود العمل بل و يرجح الاراء حال اختلافها. و لكن في مصر ١٩٨١-٢٠١٠ كان العمل علي جعل مصر جزء من صناعة القرار اكبر من جعل مصر صانعة القرار العربي، فكان في ذلك تعطيل ليس للدور المصري فحسب، بل و العمل العربي المشترك باسره.

العلاقات مع العالم الاسلامي و افريقيا

عمل النظام علي السنوات الاخيرة علي توظيف الدور الخارجي لعمل مظلة شرعية لنظامه، فاذا كانت العلاقات مع امريكا و بعض الدول الاوروبية قادرة علي ذلك، و اذا كانت العلاقات مع الدول العربية تحمي ممارسة هذا الدور، فانه تم التنازل تماما عن دور مصر في العالم الاسلامي و الافريقي و الاسيوي.

ففي افريقيا التي كانت مصر تشارك في حلول حروبها الاهلية و نزاعاتها الحدودية، اختفي هذا المجهود مما يسر الامر

امام جنوب افريقيا للصعود. بل و حتي نيجريا التي تعاني من حركتي تمرد و سلسلة من الانقلابات العسكرية و توتراً عرقياً، الي درجة انه حينما نوقش توسيع مجلس الامن لضم دول من افريقيا فوجئت مصر بالمجتمع الدولي يرشح جنوب فريقيا و نيجريا.

و اسلامياً، خسرت مصر ذلك الدور القيادي الذي بناه الايوبين والمماليك، ثم اكمله آل محمد علي، فلم يعد لنا كلمة مسموعة في المحافل الاسلامية، خاصة في الدول الاسلامية التي ظهرت علي الخارطة عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، و تركنا ايران تقتحم آسيا الوسطي (الشرق الادني) ، و تركنا الولايات المتحدة الامريكية تعقد العلاقات والصداقات.

و لا يختلف الوضع مع آسيا، اذ ان مصر اكتفت بتعاون عسكري مع كوريا الشمالية، وعلاقات حسنة مع الصين ابان عصر الرئيس الصيني هو جين تاو، و لكن عقب ذلك تركنا الصين تنطلق في علاقات حسنة مع اسرائيل، حتي اتى اليوم الذي يمول فيه الرأسمالية الصينية سد عالي في اثيوبيا يؤثر علي مياة نهر النيل بينما الصهيونية الامريكية هي المستفيد الوحيد.

ملف التوريث

بعد اختفاء عدداً من الساسة ذو الكاريزما من الساحة السياسية المصرية، أمثال المشير عبد الحليم او غزالة و وزير الخارجية عمرو موسي و رئيس الوزراء كمال الجنزوري، أصبح

الطريق ممهداً امام القيادة السياسية لفرض مرشحاً رئيساً لتولي حكم مصر.

وفي هذه الاثناء بدأ السيد جمال مبارك نجل الرئيس محمد حسني مبارك يظهر علي الساحة السياسية و يمارس دوراً سياسياً كبيراً، لا يتفق مع سنه او خبرته باستثناء انه ابن الرئيس، مما جعل المعارضة الصحفية تجد فيه ضالتها، و يتحول جمال مبارك الي اهم و اكبر سبوبة في تاريخ الصحافة المصرية. فالكتابة عن جمال مبارك اليوم هي الحصان الراهن في الصحف المصرية، و يكفي لاي محرر مبتدئ ان يكتب مقالاً عن جمال مبارك حتي يحظى بالشهرة التي يسعى اليها هذا المحرر.

ولقد أدت تلك الشائعات الي حالة من الجمود السياسي و الاقتصادي [٩]. اذ برغم نفي الرئيس مبارك المستمر لتوريث الحكم، الا ان التواجد المكثف و القيادي لنجله جعل نسبة التشكيك في كلام الرئيس تزداد علي المستوي الشعبي. علماً بأن هذا الامر لم يحدث كثيراً في عصر الرئيس مبارك، فالرئيس مبارك حتي يومنا هذا يحظى كلامه بثقة بين العديد من ابناء الشعب، و حتي لو لم يؤخذ تصريح له علي محمل من الثقة فأنه علي الاقل لا يثير جدل كما تثير تصريحاته النافية للتورث.

والجمود السياسي الراهن يكمن في عدم معرفة قائد البلاد بعد الرئيس مبارك، و لا يعرف حتي هويته السياسية، بل و ماذا سوف يفعل بالبلاد، فالملفات كثيرة، و القيادة الحالية

لا تريد غلق هذه الملفات و تؤجل عمداً البعض الآخر للمرحلة المقبلة.
اما على المستوى الاقتصادي فأن هنالك تخوف غير مبرر لدي بعض المستثمرين في سقوط مصر في حالة من الفوضى اذا ما انتهى عصر الرئيس مبارك، و هو تخوف وهمي.
و من المثير للدهشة ان البعض يؤكد ان هنالك توتر في الشارع سوف يحدث اذا ما جري التوريث، كعادتنا بالقول "دي البلد هتولع". علماً بأن التاريخ اثبت أن هذه البلد "مش بتولع الا لو صاحبها عاز كدا" الا في استثناءات تاريخية فاصلة، لها شروط لا تتوفر في طبيعة الشعب المصري في وقتنا الراهن بكل أسف.

المعارضة الصحفية

وكما صنع السادات الحياة الحزبية في مصر من أجل عولمة وآمركة النظام، و جعله مقبولاً في المحافل الدولية، فأن مصر في عصر الرئيس مبارك لجأت الي منتج آخر، تمثل في اطلاق سراح المزيد من الحريات الصحفية، و ترك الحبل على الغارب للصحف المعارضة لكي تشكل معارضة صحفية، كانت خير عون للنظام السياسي في فترات حكم بوش الابن حينما راحت مصر تتعرض لضغوط دولية بخصوص الحريات، فكانت صحف تلك الصحف ترسل الي سفارت الدول الاجنبية بمصر ووزارة الخارجية الامريكية مرفقة بخطاب يوضح ان هذا هو مستوي الحريات في مصر و انه لا داع لمزيد من الضغوط، فتلك الصحف كانت تكتب مقالات معادية لرجالات الحزب و الحكومة و الرئيس و اسرته

و رجالات الجيش و الشرطة و الاقتصاد و الدين و حتي الفن و الرياضة.

و لكن بالطبع لم يفكر احد في السؤال عن مدى سبب ترك النظام لهؤلاء، اذ في بعض الاحيان تخطئ حسابات هذا الشعب و يظن ان هنالك طرف في تلك البلاد قادر علي لي ذراع الحكومة.

و لعل هذا هو السبب في ان الحكومة لا تتدخل في الاحكام القضائية بسجن الصحفيين الصغار و تسارع بالعفو عن الكبار، فهؤلاء غير مفيدين بالمرة داخل السجون. و لكنهم مفيدون جداً في مكاتبهم و هم يعدون النشرات اليومية و الاسبوعية التي تمثل خط الدفاع الاول عن حرية الصحافة و الاعلام و التعبير في مصر دون ان يدروا .. او ربما يعرفوا كما يعرف كل ساسة المعارضة الحزبية طبيعة اللعبة و مع ذلك يستمر في اللعب لان التواجد علي منضدة قمار الوطن تعطى له مزايا غير مسبوقة.

الحراك السياسي الزائف

و استمراراً لمحاولة النظام للظهور بمظهر الساعي الي التغيير، و تحت وطأة الضغوط الامريكية للاصلاح، اطلق الحزب الوطني استراتيجيه الجديدة تحت اسم "الحراك السياسي"، و يلاحظ هنا نقطتين:

١ – اختفاء مظاهر الحياة الحزبية او المعارضة خلال الفترة التي لم تكن فيها الولايات المتحدة الامريكية تضغط في هذا الاطار ما بين عامي ١٩٧٧ و ٢٠٠١ . و لكن ما ان حدث حتي تقاطرت الاحزاب والحركات المصرية للظهور علي

المسرح، كأنما هنالك مخرج نادى على الممثلمين للصعود علي خسبة المسرح، و من الملاحظ انه عقب هدوء الدعوات الامريكية للاصلاح و الديموقراطية في مصر، عاد كلاً من هؤلاء الي جحره انتظاراً لعرض جديد.

٢ - أن الحكومة حينما احتاجت الي أحزاب لكي تكمل مسرحية الحراك السياسي، وجدنا من يمارس الحياة السياسية و الحزبية للمرة الاولي ثم اختفى عقب تلك المرحلة او دخل في صراعات جانبية.

ويمكن القول صراحة ان كل ما جري من حراك سياسي سواء بشقه الحكومي او المعارضة لم يكن ليحدث لولا الضغوط الامريكية، فالكل يدرك انها مسرحية سمحت بها الظروف، فقد مقادير الربح و الخسارة هي التي لم يحددها لهم سيد البيت الابيض.

وهكذا أنطلق كلاً في دوره، فظهرت حركة كفاية [١٠] و حزب الغد [١١] ، اضافة الي جمعيه التنميه الديموقراطيه في مصر (يراسها د.جهاد البرعي) و مركز ابن خلدون للدرسات الانمائيه [١٢] و جبهة انقاذ مصر [١٣] و جبهة الشعبية لـــ انقاذ مصر جبهة سلام.

ثم راح وزير الخارجية الامريكي كولين باول و وزيرة الخارجية كونداليزا رايس والوزيرة الامريكية السابقة مادلين اولبريت يزورون مصر، و يعقدون الجلسات تلو الاخرى مع من اسموهم ممثلين المجتمع المدني.

و حقيقة دارت حوارت كثيرة حول هذه اللقاءات، فهنالك من قال في المعارضة انه يحق للمعارضة ان تجتمع مع الادارة

الامريكية كما تجتمع الحكومة، فكان الرد ان اجتماع الحزب الوطني مع الادارة الامريكية لا يأتي في اطار غير رسمي، بل تعبر وقتها ممثلاً لمصر، و من الهراء ان نشبه اجتماع الرئيس مبارك مع وزيرة الخارجية الامريكية بلقاء رايس مع ايمن نور او محمود اباظة.

وهنالك تلك الواقعة الشهيرة، حينما اجتمعت اولبرايت بعدداً من هؤلاء الذين اصبحوا يشكلو لوبي امريكي في مصر، حيث قالت اولبرايت ان عصر مبارك قارب على الانتهاء و ان هنالك دوائر سياسية في امريكا غير رسمية تبحث عن الرئيس المقبل، فنهض ايمن نور متحدثاً بأنه الاجدر لخلافة مبارك !.

اما الحزب الوطني فسارع الي تغيير الوجوه المعتادة في مجلس الوزراء و الحزب الوطني من أجل الايحاء بوجود تغيير حاصل، عبر ازاحة يوسف والي من وزارة الزراعة، و كمال الشاذلي من وزارة، و صفوت الشريف من وزارة الاعلام، وزير العدل فاروق سيف النصر و وزير الشباب علي الدين هلال ورئيس الوزراء عاطف عبيد.

وداخل الحزب تمت ازاحة يوسف والي من منصب الامين العام، و عدداً من القيادات، وتصعيد مجموعة جمال مبارك و الرأسماليين الجدد الي مجلس الوزراء و الحزب.

و استكمالا للترتيبات الدستورية لاقامة انتخابات بين اكثر من مرشح، طلب الرئيس محمد حسني مبارك في ٢٦ فبراير ٢٠٠٥ في مجلس الشعب تعديل المادة ٧٦ من الدستور بالشكل الذي يسمح بانتخاب الرئيس بين اكثر من مرشح .

و في ٧ مايو ٢٠٠٥ صرح الرئيس الامريكي/جورج بوش الابن في مدينه رجا عاصمه لاتفيا :"يجب علي مصر اجراء انتخابات رئاسيه حقيقه في ظل مراقبه دوليه ".

و من أجل عقد أنتخابات بين أكثر من مرشح. كان يجب تعديل المادة ٧٦. و في ٨ مايو ٢٠٠٥ وافق مجلس الشوري علي تعديل الماده ٧٦ و اضافه الماده ١٩٢ مكرر الي الدستور حيث ايد التعديل ١٤١ نائبا و عارضه ٩ (منهم رئيس تحرير مجله السياسيه الدوليه/اسامه الغزالي حرب (الحزب الوطني) و نقيب الاطباء/شوقي السيد (الحزب الوطني) و محمد سرحان (حزب الوفد) و رئيس حزب التكافل الاجتماعي/اسامه شلتوت و محمد فريد زكريا (حزب الاحرار) و رئيس حزب التجمع الوطني الوحداوي التقدمي/رفعت السعيد) و امتنع عن التصويت عضوان .

ثم بعدها و بايام و تحديدا في ١٠ مايو ٢٠٠٥ مجلس الشعب يصوت (موافقه ٤٠٥ نائب مقابل رفض ٣٤) لصالح تعديل الماده ٧٦ من الدستور و اضافه الماده ١٩٢ مكرر و كانت ابرز الاحداث في الجلسه ان النائب عن الحزب الناصري/حيدر بغدادي صوت لصالح القرار و الحزب الناصري يفصل بالتليفون النائب/حيد بغدادي.

في ٢٥ مايو ٢٠٠٥ تم التصويت الشعبي علي تعديل الماده ٧٦ و اضافه الماده ١٩٢ مكرر وسط مقاطعه احزاب الوفد و الناصري و التجمع و حركتي كفايه و الاخوان للاستفتاء. ثم في ٢٦ مايو ٢٠٠٥ وزير الداخليه/حبيب العادلي يعلن نتائج التصويت . حيث قال نعم للتعديل ٨٢,٨٦ ٪

(١٣،٥٩٣،٥٥٢ صـــوت) . و لا بنـــسبة ١٧،١٤ ٪ (٢،٨١١،٨٩٤ صوت). امـا نـسبة الاقبـال فكانـت ٥٢،٦٤ ٪ (١٦،٤٠٥،٤٤٦ صوت).

.. و شكلت لجنه قضائيه سميت لجنـه انتخابـات الرئاسـه و فتح باب الترشـيح مـن اجـل منـصب رئـيس الجمهوريـه و تقدم عدداً مـن المـواطنين و الـساسه تقـدموا مـن اجـل الترشـيح .. الا ان لجنه الانتخابات لم تجد اي عشره مرشحين استطاعوا ان يقدموا اوراقهم سليمه .. و تم رفض الطلبات الاخري .. و من ابرز من تقدم للترشـيح لهذا المنصب و رفض طلبه :

١ – الكاتـب الـصحفي/صـلاح منتـصر عـضو مجلـس الشوري.

٢ – طلعت السادات عضو مجلس الشعب .

٣ – عبـود الزمـر الـرئيس الـسابق للجماعـه الاسـلاميه المصريه .

.. اما العشره الذي سمح لهـم بالترشـيح لمنـصب رئـيس الجمهوريه فهم :

١ – محمد حسني مبارك رئيس الحزب الوطني الديموقراطي .

٢ – نعمان جمعه رئيس حزب الوفد الجديد .

٣ – ايمن نور رئيس حزب الغد .

٤ – ممدوح قناوي رئيس الحزب الدستوري الاجتماعي الحر .

٥ – فوزي غزال رئيس حزب مصر ٢٠٠٠ .

٦ – احمد الصباحي رئيس حزب الامه .

٧ – اسامه شلتوت رئيس حزب التكافل الاجتماعي .
٨ – ابراهيم ترك رئيس حزب الاتحاد القومي الديموقراطي .
٩ – وحيد الاقصري رئيس حزب مصر العربي الاشتراكي .
١٠ – رفعت العجرودي رئيس حزب الوفاق الوطني .

و في تلك الاثناء ايضا اعلن محامي مسيحي هو ممدوح نخله انه بصدد تاليف حزب الامه القبطيه المصريه (!!) .. و علي نفس النهج تقريبا فوجي الشعب المصري ببيان من المدعو عدلي ابادير وصف نفسه بانه رئيس المؤتمر الدولي لاقباط المهجر يطالب فيه المصريين بمقاطعه الانتخابات، وجرت الانتخابات و اعلن فوز الرئيس مبارك بنسبة ٨٨ ٪.

و مرة اخري تكون لقوائم الاسماء دلالات لا تخفى علي أحد. و يمكن فهذه قائمة بأسماء فريق عمل الحملة الرئاسية للرئيس مبارك:

- جمال مبارك : امين لجنه السياسات .
- احمد عز : امين لجنه العضويه .
- ماجد الشربيني : امين لجنه الشباب .
- صلاح عبد الغني : امين التنظيم بمحافظه الاسماعيليه و رئيس نادي الاسماعيلي وقتذاك.
- احمد مصيلحي : امين التنظيم بمحافظه القاهره .
- محمد كمال : رئيس لجنه الشباب بامانه السياسات .
- ليس الحديدي : زوجه عمرو اديب شقيق عماد الدين اديب .
- احمد ايوب .
- طارق حسن .

- فهمي عبد المجيد .
- محمد السعدني .
- محمد نجيب .
- اسامه نجيب .
- د.عاليه المهدي .
- د.ياسر زكريا .
- المستشار محمد الدكروي .
- المستشار حنا ناشد .
- حسين مجاور .
- محمد رجب .
- عائشه عبد الهادي .
- السيد الشريف .
- نبيه العلقامي .
- كريم حجاج .
- ايمان علي .

.. كما شارك كلا من كمال الشاذلي و صفوت الشريف و زكريا عزمي و مفيد شهاب و السيد راشد و محمد عبد الاه واحمد ابو زيد في مراقبه الانشطه بالمحافظات .

الانقلابات الحزبية:

وعقب الانتخابت الرئاسية التي جرت عام ٢٠٠٥. شهدت الحياة السياسية المصرية حدثاً غريباً، تمثل في انقلابيين حزبيين في ظاهرة لم تحدث داخل الاحزاب المصرية منذ فترة طويلة، و يلاحظ هنا ان بصمات رجال لجنة السياسات بالحزب الوطني كانت واضحة، بل ان قادة الانقلابين لهم

اشقاء داخل لجنة السياسات!!. و الواقع ان التخلص من نعمان جمعة و ايمن نور بعد انتخابات الرئاسة هو امر حيوي لرجال لجنة السياسات الذين تسلموا دفة اللعبة من الحرس القديم. فايمن نور صدق المسرحية و بدأ يتصرف علي انه المرشح الرئاسي بالفعل. اما نعمان جمعة فهو رجل الحرس القديم في الوفد ويجب استبداله برجل ينتمي الي فكر لجنة السياسات. و هكذا حدث ما حدث:

١-حزب الغد: شكلت ما عرف بجبهه الاصلاحيين الاربعه مكونه من نائب رئيس الحزب موسي مصطفي موسي و رجب حميده هلال و ابراهيم صالح و مرسي الشيخ. ومن جانبه قام ايمن نور بعزل الاربعه من الحزب و عين سامح الغطريفي نائبا له في ١٦ سبتمبر ٢٠٠٥ و في ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥ قدم موسي مصطفي موسي اوراق الي لجنه شئون الاحزاب تفيد بعزل ايمن نور و تنصيب موسي مصطفي موسي رئيسا للحزب. ثم ما لبثن ان نجحت جبهة ايمن نور في تنصيب ايهاب الخولي رئيساً للحزب. ثم اثبت مصطفي موسي رئاسته للحزب مرة اخري.

فمن هو موسي مصطفي موسي؟؟

هو ابن النائب السابق مصطفي موسي الذي شارك في اعمار الجزائر عقب جلاء الاحتلال الفرنسي. شقيق رئيس حزب الغد مصطفي موسي عضو لجنة السياسات و الدائرة المقربة للسيد جمال مبارك. شقيقة رئيس حزب الغد هي السيدة نانا مصطفي موسي التي ادارت الحملة الانتخابة للنائب هشام مصطفي خليل عضو الحزب

الوطني الذي ترشح مستقلاً امام مرشح الحزب الوطني حسام بدراوي، و كلاً من هشام مصطفي وحسام بدراوي عضواً بلجنة السياسات !!.

٢-حزب الوفد : بعد قيام الثورة، و في ظاهرة ذات دلالة، انتقلت الاسر الحاكمة داخل حزب الوفد الي الحزب الوطني، آل بدراوي و آل اباظة و آل مكرم عبيد و غيرهم، قاد الانقلاب علي نعمان جمعة القطب الوفدي محمود اباظة و معه شقيقه يحيي اباظة، و كلاهما شقيق أمين احمد اباظة وزير الزراعة!!، واتي محمود اباظة لفؤاد بدراوي نائباً للرئيس (وفؤاد بدراوي من آل بدراوي التي نتمي اليها حسام بدراوي عضو لجنة السياسات بالحزب الوطني)، و سامح مكرم عبيد سكرتير عام مساعد للحزب (ينتمي الي آل مكرم عبيد الذين شاركوا في تأسيس الحزب الوطني عبر فكري مكرم عبيد، ثم اكملت وزيرة الدولة لشئون البيئة سابقاً نادية مكرم عبيد مسيرة الاسرة داخل الحزب الحاكم ولجنة السياسات).

الانتخابات البرلمانية ٢٠٠٥:

و جاء الدور علي الانتخابات النيابيه البرلمانيه، وفي يوم ٩ نوفمبر ٢٠٠٥ اجريت الجوله الاولي و اسفرت عن سقوط رئيس حزب الغد ايمن نور و رئيس الهيئه البرلمانيه لحزب الوفد منير فخري ابو النور و مجدي احمد حسين احدي زعماء حزب العمل الاشتراكي .. و في مرحله اعاده الجوله الاولي سقط حسام بدراوي رئيس لجنه التعليم بمجلس الشعب و عضو لجنه السياسات بالحزب الوطني و المقرب من جمال مبارك

امام هشام مصطفي خليل عضو لجنه السياسات بالحزب الوطني و فايده كامل عضوه المجلس لمده ٣٠ عام و طلعت القواس و دخل المجلس من المعارضه كلا م.ن حيدر بغدادي و مصطفي بكري و طلعت عصمت السادات و محمد عصمت السادات .. واسفرت نتائج الجوله الاولي عن التالي :

١ - الحزب الوطني : عدد المقاعد ١١٢. النسبة المئوية ٦٨,٢ ٪ . ملاحظات: حصل مرشحي الحزب علي ٦٨ مقعدا (٤١,٤ ٪) الا ان عددا من المستقلين (٤٤ نائب يشكلون نسبه ٢٦,٨ ٪ من المرحله الاولي) انتموا الي الحزب و عقب فوزهم التئموا مجددا مع نواب الحزب في البرلمان .

٢ - الاخوان المسلمين : عدد المقاعد ٣٤ ، النسبة المئوية : ٢٠,٧ ٪.

٣ - المستقلين : عدد المقاعد : ١١ ، النسبة المئوية : ٦,٧ ٪.

٤ - حزب التجمع : عدد المقاعد : ٢ ، النسبة المئوية : ١,٢ ٪.

٥ - حزب الوفد : عدد المقاعد : ٢ ، النسبة المئوية : ١,٢ ٪.

٦ - حزب الغد : عدد المقاعد : ١ ، النسبة المئوية ٠,٦ ٪.

٧ - حزب الكرامة : عدد المقاعد : ١ ، النسبة المئوية ٠,٦ ٪.

٨ - التجمع الوطني : عدد المقاعد : ١ ، النسبة المئوية ٠,٦ ٪.

ثم اجريت المرحله الثانيه يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٠٥ فكانت ابرز نتائجها نجاح كمال احمد من المستقلين و مصطفي الفقي من الحزب الوطني و سقوط كلا من عبد الوهاب قوطه و محمود معروف و حمدي الكنيسي .

ثم اجريت جوله الاعاده للجوله الثانيه في ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥ و كانت المفاجاه سقوط خمسه من رموز حزب التجمع ابرزهم مؤسس حزب التجمع/خالد محيي الدين (بعد ٢٧ عاما من عضويه البرلمان المصري) و نائب رئيس حزب التجمع/ابو العز الحريري و البدري فرغلي كما سقط من الحزب الوطني كلا من نائب رئيس الوزراء و وزير الزراعه السابق/يوسف والي و رئيس جامعه الاسكندريه/محمد عبد اللاه و رئيس اتحاد عمال مصر/السيد راشد وكيل مجلس الشعب المنتهيه ولايته و نجح من الحزب ذاته كلا من وزير الزراعه/احمد الليثي و نائب رئيس اتحاد كره القدم/احمد شوبير كما نجح من حزب الوفد محمد مصطفي شردي ..و اسفرت نتائج الجوله الثانيه عن التالي :

١ - الحزب الوطني : عدد المقاعد ٨٩ . النسبة المئوية ٦٤,٤ ٪ . ملاحظات : حصل مرشحي الحزب علي ٣٨ مقعدا (٢٧,٥ ٪) الا ان عددا من المستقلين (٥١ نائب يشكلون نسبه ٣٦,٩ ٪ من المرحله الثانيه) انتموا الي الحزب و عقب فوزهم التئموا مجددا مع نواب الحزب في البرلمان .

٢ - الاخوان المسلمين : عدد المقاعد : ٤٢ . النسبة المئوية : ٣٠,٤ ٪.

٣ - حزب الوفد : عدد المقاعد ٢ . النسبة المئوية : ١,٤ ٪.

٤ - المستقلين : عدد المقاعد ٥ . النسبة المئوية : ٣,٦ ٪.

ثم اجريت الجوله الثالثه و الاخيره في ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٥ و من ابرز النتائج فوز كلا من وزير الاقتصاد الاسبق/مصطفي السعيد و احمد فؤاد اباظه من الحزب الوطني و خساره كلا

من فؤاد بدراوي من حزب الوفد و رئيس نادي الزمالك مرتضي منصور و المفاجاه سقوط ١٤ مرشح لحركه الاخوان المسلمين .. و في ٧ ديسمبر ٢٠٠٥ اجريت اعاده المرحله الثالثه فكانت المفاجاه خساره ٢٣ مرشح اخواني و نقيب المحامين ذو التوجه الناصري/سامح عاشور و رئيس الحزب العربي الناصري/ضياء الدين داود و من الحزب الوطني محمد موسي و يحيي عزمي شقيق زكريا عزمي رئيس ديوان رئاسه الجمهوريه .. و فوز كلا من رئيس حزب الكرامه/حمدين صباحي و نائب رئيس حزب الوفد/محمود اباظه و اسفرت نتائج الجوله الثالثه عن التالي :

١ - الحزب الوطني : عدد المقاعد : ١١٠ ، النسبة المئوية : ٨٤,٦ ٪ . ملاحظات: حصل مرشحي الحزب علي ٤٦ مقعدا (٣٥,٣ ٪) الا ان عددا من المستقلين (٦٤ نائب يشكلون نسبه ٤٩,٢٪ من المرحله الثالثه) انتموا الي الحزب و عقب فوزهم التئموا مجددا مع نواب الحزب في البرلمان .

٢ - المستقلين : عدد المقاعد : ٥ ، النسبة المئوية : ٣,٨ ٪.

٣ - الاخوان المسلمين : عدد المقاعد ١٢ ، النسبة المئوية : ٩,٢ ٪.

٤ - حزب الوفد : عدد المقاعد ٢ ، النسبة المئوية : ١,٥ ٪.

٥ - حزب الكرامة : عدد المقاعد ١ ، النسبة المئوية : ٠,٧ ٪.

اما عن النتائج النهائية للانتخابات:

١ - الحزب الوطني : عدد المقاعد : ٣١١ ، النسبة المئوية : ٧١,٩ ٪ . ملاحظات : حصل الحزب الوطني علي ١٥٢ مقعدا فقط بنسبه ٣٥,١ ٪ و لكن انضم اليه ١٥٩ نائبا من

المستقلين بنسبه ٣٦,٦ ٪ ليحصل علي اغلبيه الثلثين في المجلس .. اي ان ٥١,١ ٪ من نواب الحزب كانوا من المستقلين .
٢ – الاخوان المسلمين : عدد المقاعد : ٨٨ ، النسبة المئوية : ٢٠,٣ ٪.
٣ – المستقلين : عدد المقاعد : ٢١ ، النسبة المئوية : ٤,٨ ٪.
٤ – حزب الوفد : عدد المقاعد : ٦ ، النسبة المئوية : ١,٣ ٪.
٥ – حزب الكرامة : عدد المقاعد ٢ ، النسبة المئوية : ٠,٤ ٪.
٦ – حزب التجمع : عدد المقاعد ٢ ، النسبة المئوية : ٠,٤ ٪.
٧ – حزب الغد : عدد المقاعد ١ ، النسبة المئوية : ٠,٢ ٪.
٨ – التجمع الوطني للتحول الديموقراطي : عدد المقاعد ١ ، النسبة المئوية : ٠,٢ ٪.
ثم أسدل الستار علي مسرحية الحراك السياسي و عاد كلاً منهم الي بورصته و حزبه ومصارفه.

صناعة المنافسين:

عبر تاريخ مصر ١٩٨١–٢٠١٠ جري الحديث عن منافسين للرئاسية، و من مسببات الدهشة – و ما اكثرها في الوطن– ان هؤلاء جيمعاً ينتمون الي النخبة الحاكمة، بل و لم يسمع عنهم قط انهم خالفوا الرئيس مبارك، مما يدل علي ان الظن الشعبي و الصحفي بأن هؤلاء مرشحون محتملون امام الرئيس مبارك هو ظن بني علي اسباب عاطفية دون النظر او التأمل في اي متسبب فكري، أضافة الي ذلك فأن النظام هو أكبر المستفيدين من كون الشعب او المعارضة يرشحون شخصيات محسوبة علي النظام،

لان هذا يعني ان النظام قادر علي السيطرة علي هؤلاء، بينما لو افتتن الشعب بسياسي خارج الحزب الحاكم او مجلس الوزراء وقتها تكون مشكلة. و لا يستبعد ان تكون الحكومة قد صنعت بدائل الرئيس و منافسوه من داخل الطبقة الحاكمة عمداً، لقطع الطريق امام المعارضة لتقديم شخصية تملأ هذا الفراغ. و هو فراغ مشروع لانه في كل دولة و كل عصر هنالك من يناوئ بشعبيته شخصية الحاكم.

فعلي سبيل المثال جرى ترشيح المشير ابو غزالة مراراً لخلافة الرئيس مبارك، او تولي منصب نائب الرئيس. بل و قيل مراراً علي انه كان مركز قوى الي اخر هذا الكلام. في حين ان الكتب و الوثائق الامريكية تشير الي ان ثقة الامريكان في ابو غزالة كانت اكثر من ثقتهم في مبارك نفسه. و انهم كانوا يعتبرون المشير هو رجلهم الاول في مصر [١٤]، ولم يسبق لابو غزالة ان صرح او تحدث يوماً باي تصريح مضاد للسياسات الامريكية، بل ان السادات اختاره وزيراً للدفاع لانه امريكي الهوى. و انخرط في مخططات تسليح ميلشيات افغانية مع السعودية و امريكا من اجل ضرب السوفيت في حدودهم الجنوبية.

وحتي حينما تقرر عزله، أتي ذلك عبر طلب امريكي صريح من نائب الرئيس الامريكي جورج بوش الابن الي الرئيس مبارك عام ١٩٨٩ [١٥].

و مراراً قيل ان ابو غزالة له رؤية مختلفة عن الرئيس مبارك، و لا احد يعرف حتي اليوم لما اهدر ابو غزالة كل هذا. و ظل

وفيــاً للنظــام، و كــان يمكـــن ان يكـــرر تجربـــة الفـريــق ســـعـد الـــشـاذلي علـــى ســبيل المثـال، و برؤيــة افــضل مــن الفـريــق الشـاذلي، اذ كـان يمكنـه انشـاء حزب او تجمع كما فعلهـا رئيس الوزراء الاسبـق عـزيـز صـدقـي.

و في الحقيقة انه لا يوجد اشـارات الي ان ابو غزالة كــان يومــاً يفكـر في رئاســة او لمنافــسـة الــرئيس مبــارك، و رغـم تاريخـه العسكري الطويل، الا ان ابو غزالـة كـان لــه فكـــر اداري ويــري انــه موظــف لــدي الـــسلطة فحـــسب، تعيينـــه وزيـــرا او مـستشـاراً لا مشكلـة [١٦]، و سبـق للرئيس مبارك الاشادة بـه مراراً، ابسطهـا تصريحاته لجريدة "التـضامن" اللندنيـة عــام ١٩٨٣ : "المشير أبو غزالة هو أحد أبطال حرب أكتوبر وهو وزير الدفاع وليس عليه أي غبار".

وبما يدل علي اننا شعب يحكم بمشاعره فحسب، ان قـضية لوسـى ارتين انت و اتي ذكر اسم المشير فيهــا، و هـــي ســيدة استغلت علاقتها برجال في الحكم من اجـل الحـصول علــي بعض الامتيازات، وتم مناقشة الامــر في البرلمــان و وصــل الي الـــصحافة، و اتـــضح ان وزيـــر الـــدفاع الاســـبق متـــورط في قضيـة اســتغلال نفــوذ !، و ســارع النظـام لحمايـة منـافس الرئيس المزعوم بحظر النشر و غلق الملف حتي تبقـــى صـــورة ابو غزالـة نظيفـة تماماً، يتعبـد في محرابهــا كــل المنتظـرين لتوليـه الرئاسـة يوماً.

ثم خرج الـــصحفـي الامريكـــي جـورج كـريـل في كتابـه حـرب تشارلي ويلسون [١٧]، ليوضح المهازل التي فعلها الامريكـان من اجل التأثير علي رجلهم في مصر، للتوقيع علـــي ارســال

المزيد و المزيد من الاسلحة و الرجال و استغلال النطاق الجوي المصري من اجل مساندة التنظيمات الافغانية في محاربة السوفيت، و اتي في الكتاب انه في احدي الجلسات تم استقدام راقصة امريكية في طائرة عضو الكونجرس الامريكي تشارلي ويلسون، و خلعت ملابسها لتكشف عن بدلة رقص شرقية و ادت رقصة شرقية بالسيف، و جاء في الكتاب ان الدوائر الامريكية تعرف ان هذه هي نقطة ضعف الجنرال المصري!!.

و يأتي في الكتاب ان فلاشات الكاميرات بدات في السطوع فابدي الجنرال المصري تخوفه من تسرب الصور، و لكن عضو الكونجرس ازال مخاوف الجنرال المصري، ولكنه و في عام ٢٠٠٣ حينما نشر الكتاب ارفق ويلسون الكتاب بملحق صور، بينهم صورة للمشير في جلسة مدنية باحدي الفيلات الخاصة، بينما الراقصة الامريكية تؤدي فقرتها بتشجيع من عضو الكونجرس الامريكي و من معه من رجالات وزارة الدفاع والمخابرات الامريكية، و الصورة منشورة في مدونة الصحفي المصري ياسر ثابت.

ننتقل الي نموذج اخر .. عمرو موسي، فالشعب افتتن به عبر سنوات توليه وزارة الخارجية و انه يقول التصريحات الجهنمية الرائعة، و كما جرى مع ابو غزالة، تفاجأ الشعب بان الرئيس يقوم بكل سهولة بعزل الرجل من منصبه و ارساله الي منصب اخر، بل و في حالة عمرو موسي الرجل يرحب بل و يناضل من اجل فترة ثانية في جامعة الدول العربية كما جرى منذ بضعة سنوات.

ونسى هؤلاء جميعاً انه لا يوجد وزير خارجية او اي مسئول مصري يصدر تصريحاً او يتحدث بلغة الا و تلك التصريحات او تلك اللغة مرضي عنها لدي الرئيس. بل و تتم بتعليمات مباشرة منه. فمن ضمن ظواهر شيزوفرينيا المجتمع اننا حينما نري مسئول سيئ نقول انه سيئ لانه يتبع تعليمات الرئيس. بينما المسئول الجيد من وجهة نظر الشعب هو جيد لانه كذلك و ليس لتعليمات الرئيس دخل في ذلك !!.
ما الذي منع عمرو موسي من الاستقالة و تشكيل حزب او حركة معارضة و استغلال شعبيته ؟؟ لا شئ الا انه – شأنه شأن ابو غزالة – مجرد موظف كان يؤدي دوره. حصل اثناء تأديته للدور علي شعبية و تصفيق رائع. و لكن حينما انتهى دوره رضى بالنزول من خشبة المسرح سعيداً بما انجزه.
ولكن النموذج الحقيقي لسياسي او الموظف الذي كان يمكن ان نراه منافساً كان كمال الجنزوري . لنقارن ماذا فعلوا بالجنزوري بعد خروجه من الحكم و بين عمرو موسي وابو غزالة لندرك كيف يصنع النظام منافسين له من ابنائه و كيف يقضي علي المنافسيين الحقيقيين.

الاخوان المسلمين

لا يمكن المرور بالحالة السياسية دور المرور بالاخوان المسلمين. فهم كما يجري تصنيفهم هم اكبر فصائل المعارضة في الوطن.
و في الواقع انه لا يوجد اي ارقام من اي نوع يمكن علي اثرها الحكم بان هنالك فيلق اكبر من الاخر في المعارضة المصرية.

وفي الواقع ان الحكومة المصرية بثبت بنجاح مفهوم سياسي لدي النخبة السياسية في مصر، ليبراليين و علمانيين و مسيحيين .. الخ، اضافة الي الدول الكبري، بما يفيد ان خروج الحزب الوطني و رجاله من الحكم لا يعني الا سيطرة الاسلام السياسي علي البلاد، و ان الاخوان المسلمين هم رأس الافعي، و بالتالي اصبح وجود الاخوان المسلمين علي الساحة مطلوباً، بل و يجب علي الاخوان المسلمين اثبات من فترة لاخري قدرتهم علي تحدى الحكومة، و من الطريف ان دول اخري بالمنطقة العربية استغلت هذا المفهوم و قامت بالترويج له دولياً حتي تحظى بمظلة شرعية دولية لانظمتها غير الشرعية، حتي سوريا استخدمت هذا المفهوم مراراً و اوروبا مقتنعة بهذا المفصهوم لدرجة انها قامت بفرملة ادارة بوش مراراً في محاولته لمعاقبة سوريا.

اما البرنامج السياسي لحركة الاخوان المسلمين نفسهم فلا برنامج محدد حتي اليوم، يلعبون اللعبة بذكاء، فهم يسعون الي تطبيق كلام اللهّ كما يقولون، و لكن اي كلام ؟؟ و كيف ؟؟ و ما موقفهم من العلمانيين و الملحديين و الليبراليية و الاحزاب و البرلمان و الانتخابات و المرأة و المسيحيين والاختلاط و الحجاب و النقاب و الاجانب و اتفاقية كامب دبفيد و التوريث و العلاقات مع اسرائيل و امريكا و الوقوع في وجوه حماس و ايران و سوريا و التنظمات الارهابية دجاخل مصر و خارجها ؟

لا شئ معروف، و تلعب اقطاب الحركة منذ تأسيسها و حتي اليوم لعبة اعلامية طريفة فهم يصرحون تصريحات متناقضة، و في بعض الاحيان تخدم مرحلة ما قبل ان يكذبوها، كما ان هنالك فارق بين ما يقال للصحف الاجنبية من اجل الترويج للاخوان و بين ما يقال في الصحف المصرية من اجل اثبات ان الموقف الاخواني ثابت، فعلي سبيل المثال قام السيد محمد حبيب في نفس اليوم بالادلاء بتصريح لرويترز ثم نفاه مع الدستور، فالتصريح مع رويترز لن يقرأه الا الاوروبيين و الامريكان، بينما النفي في الدستور لن يقرأه الا بضعة مصريين [١٨].

كما ان عدم تحديد الاراء في القضايا المشار اليها سلفاً يجعل جمهور الاخوان اكبر، فلا داع لتقييد اجندتك باراء قد تتفق مع توجه البعض و تختلف مع توجه البعض الاخر، نحن مع كلام الله، نحن مع رفعة المسلمين، نحن مع الحبيب صلى الله عليه و سلم، احضروا مواطن واحد انتخب مرشح الاخوان و اسأله عن برنامج مرشحه فسوف يقول انه انتخبه لانه اخواني فحسب ، لانه متدين، فالشعب لدينا حتي اليوم لا ينتخب من اجل البرنامج السياسي، او التوجه السياسي، بل علي اساس هذا بلحية و يصلي و هذا لا يعرف انه يصلي، او هذا متدين من الجماعة التي تضطهدها الحكومة لانها في وجهة نظرهم تضطهد الاسلام – كانما حسني مبارك و اعوانه من الكفار– اضافة الي ان الحكومة سمحت للاخوان بممارسة دور اقتصادي رغم ان قوانين الدولة لا تسمح لاي تنظيم سياسي بان يلعب

اي دور سياسـي -عبر رجال اعمـال معـروف انهـم اخـوان مسلمين و معروف ان اموالهم تضخ في ارصدة الجماعة- و كانت النتيجة ان الاخوان امتلكـوا المـال لحسم الـشارع في كثير من الجولات.

و من الملاحظ في مصر ٢٠٠٧-٢٠٠٩ ان الحكومـة و الاخـوان اصبحوا يدخلون الانتخابات النقابية بلائحة شبه موحدة كما جري في انتخابـت نقـابتي الـصحفيين و المحـامين لان اللعبة هـذه المرحلـة اقتـضت التحـالف ، او قيـام الاخـوان بعدم دعم اضراب ٦ ابريل، او عدم خوض الانتخابـت المحليـة حـتي لا يتـسألهم احـد عـن عـدم ممارسـتهم لحقهـم في ترشيح مرشح للرئاسة. علمـاً بـأن المـادة ٧٦ مـن الدسـتور بتقول انه كل تنظيم له ٥ ٪ من اعضاء مجلس الشعب لو اكمل قادر علي الترشيح. اي ان الاخوان قـادرين علـي تـأمين دخول ٤ مرشحين الي انتخابت الرئاسة وليس واحداً. فلمـا تم التنازل عن هذا الحق الدستوري و الشعبي ؟ و مقابل ماذا ؟.

ويلاحظ ان هنالك عدداً من المفكرين الذين يرون في الاسـلام السياسـي الخيار المقبل. و هو امـر مفيـد للغايـة للحكومـة و هؤلاء سوف اتفقوا او اختلفوا مـع الحكومـة فـان ارائهـم يتم ايصالها مشكوراً الي واشـنطن .

<u>الخلاف مع بوش</u>

و اخيراً يجب التطـرق الي طبيعـة الخـلاف مـا بـين واشـنطن و القـاهرة في مرحلـة الـرئيس جـورج بـوش الابن.كـان هـذا الاحتكاك يتمثل في ان واشنطن فـور وقـوع الحـادث تاهبـت لضرب افغانستان متهما اياها بتدبير الهجمات عبر شبكه

القاعده .. و بينما العالم اجمع عقب اللحظات التي راها عبر التليفزيون متهيج عاطفيا و يؤيد اي عمل لهذا الاعتداء الجبان خرج الرئيس محمد حسني مبارك ليطالب بان يكون اي اجراء ضد افغانستان يجب ان يكون عبر اطار من الشرعيه الدوليه و بقرار من مجلس الامن ثم رفض ارسال قوات مصريه في غزو افغانستان ثم رفض ايضا ارسال قوات حفظ سلام عقب اتما الغزو حتي ان احد الموتورين من نواب الكونجرس الامريكي طلب وقف المعونات العسكريه الامريكيه لمصر قائلا :" ان الجيش المصري كان غائبا في افغانستان " .

و كان هذا هو الاحتكاك الاول ثم اتي الاحتكاك الثاني في مارس ٢٠٠٢ .. و كان هذا هو موعد القمه العربيه في بيروت حيث نصبت تل ابيب و واشنطن فخا للرئيس الفلسطيني/ياسر عرفات تمثل في السماح له بالخروج من الاراضي الفلسطينيه من اجل حضور القمه الا انها – سرا – لم تكن تنوي عودته و بالتالي تتخلص من تواجده علي الارضي الفلسطينيه كنتاج لاتفاقيات اوسلو فاذا بالرئيس محمد حسني مبارك يتصل هاتفيا بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات و يطلب منه عدم حضور القمه العربيه كاشفا له المخطط الامريكي – الاسرائيلي و كان ثمن هذا الكشف – مؤقتا – هو ضغوط علي مصر من اجل عدم حضور الرئيس محمد حسني مبارك القمه و الخني الرئيس للعاصفه و كلف رئيس الوزراء عاطف عبيد بتراس الوفد المصري .

.. الا ان الرئيس/محمد حسني مبارك لم يتوقف عن دعم الرئيس الفلسطيني/ياسر عرفات المغضوب عليه من تل ابيب التي اقنعت واشنطن بالانقلاب عليه و عدم الاعتراف به رئيسا للفسطينين الي درجه جعلت الرئيس الامريكي/جورج بوش الابن يصرح في صيف ٢٠٠٢ انه يتطلع لقياده فلسطينيه جديه و كان هذا هو الاحتكاك الثالث اذ لم يوقف الرئيس/محمد حسني مبارك اتصالاته مع الرئيس الفلسطيني/ياسر عرفات فظل يتباحث معه هاتفيا و لعل ابرز تلك المبحاثات تلك التي تمت في ايام ٢٤ مارس ٢٠٠٢ .. ٦ يونيو ٢٠٠٣ .. ٢١ اغسطس ٢٠٠٣ .. .. ٣٠ يناير ٢٠٠٤ .. ٣١ يناير ٢٠٠٤ .. ٨ فبراير ٢٠٠٤ .. ١ مارس ٢٠٠٤ .. .. ١٩ مايو ٢٠٠٤ .. ٨ يوليو ٢٠٠٤ .. ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ .. ٢٦ اكتوبر ٢٠٠٤ .. كما كان يزوره كلا من وزراء الخارجيه احمد ماهر و احمد ابو الغيط و مدير المخابرات عمر سليمان في رام اللّه و لعل ابرز تلك الزيارات ما قام بها احمد ابو الغيط و عمر سليمان في ٦ سبتمبر ٢٠٠٤ .. ١ ديسمبر ٢٠٠٤ .. و زيارات عمر سليمان في ١٠ مارس ٢٠٠٤ .. ٢٣ يونيو ٢٠٠٤ .. و كم كان غيظ واشنطن كبيرا كلما كان احد هؤلاء الثلاثه يدلف الي مقر المقاطعه في رام اللّه ليبلغ الرئيس الفلطيني ما يرفع معنوياته و يجعله يخرج من مقر المقاطعه ممسكا بيد المسئول المصري فرحا به و لكي يقوم باداء علامه النصر التي اشتهر بها دائما (لدي سؤال علي الهامش لزعماء الممانعة الاسطورية .. الزعماء و الرؤساء و الشيوخ و المناضلين بشار الاسد و حسن نصر اللّه و أحمدي نجاد

و خالد مشعل ، اين كانوا و ماذا كان موقفهم حيال ما جري للرئيس عرفات ؟؟. ام ان عرفات كان حاجز ضد صعود حماس في الاراضي الفلسطينية فكان يجب اهماله و تركه لقمة صائغة للصهيونية)

كما نسقت مصر مع اسرئيل للانسحاب من غزه عبر زيارات عمر سليمان (تباحث في ٢٣ يونيو ٢٠٠٤ مع كلا من رئيس الوزراء/اريل شارون و وزير الخارجيه/سليفان شالوم و وزير الدفاع/شاؤول موفاز .. و في ١٥ يونيو ٢٠٠٥ مع اريل شارون و سليلفان شالوم و وزير البنيه التحتيه/بنيامين بن اليعازر و في ٢ فبراير ٢٠٠٥ مع اريل شارون و في هذه المره كانت الزياره تاريخيه بحق اذ اتفق سليمان مع شارون علي قمه شرم الشيخ الرباعيه التي انهت الانتفاضه الثانيه و كانت بين مبارك و شارون و عبد اللّه الثاني و عباس) و زيارات مشتركه بين احمد ابو الغيط و عمر سليمان (في ١ ديسمبر ٢٠٠٤ تباحثوا مع اريل شارون و سيلفان شالوم) .

و من الخلاف الثالث ينبثق الخلاف الرابع فحينما طرحت واشنطن خارطه الطريق كحل ادني للقضيه دعمتها مصر و اقتنعت بها الرئيس الفلسطيني .. و حينما طلبت واشنطن اصلاح المنظمه ساندت مصر الاصلاحات حتي لا تتسبب في الاساءه الي المكانه التاريخيه للرئيس/ياسر عرفات عبر مسانده رئيسا لوزراء/محمود عباس ثم احمد قريع .. كما قامت مصر بحوار وطني موسع بين الفصائل الفلسطينيه دون رضا واشنطن التي ارادت دائما شق الصف الفلسطيني و كانت المفاجاه الكبري حينما تم

الاعلان في ٨ سبتمبر ٢٠٠٤ عن اتفاق بين مصر و حركه حماس الفلسطينيه حول ترتيبات مرحله ما بعد الانسحاب الاسرائيلي من غزه ، و في ١٧ مارس ٢٠٠٥ توصلت الفصائل الفلسطينيه الي هدنه الي اخر العام في اجتماع لها برئاسه مدير المخابرات/عمر سليمان في القاهره و كان هذا التاريخ يعني فعليا انتهاء الانتفاضه الثانيه .

ثم اتي الخلاف الخامس اذ حينما بدات واشنطن في قرع طبول الحرب لغزو العراق دعا الرئيس/محمد حسني مبارك الي قمه عربيه عاجله من اجل اعلان الصوت و الراي العربي في هذا الصدد و استضافت مصر القمه و قبل الرئيس/محمد حسني مبارك ان تمارس مملكه البحرين الشقيقه حقها في رئاسه القمه و خرجت القمه باهم قرار و هو عدم مشاركه اي دوله عربيه في الغزو .

و كما حدث في افغانستان رفض الرئيس/محمد حسني مبارك ارسال قوات مصريه للاعتداء علي الشعب العراقي الشقيق كما رفض زياره واشنطن طوال عام ٢٠٠٣ احتجاجا علي الغزو .. ثم اتي الخلاف السادس في سبتمبر ٢٠٠٣ حينما رفض الرئيس/محمد حسني مبارك ارسال قوات حفظ سلام مصريه الي العراق في حواره الشهير مع جريده الفيجارو الفرنسيه في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٣ حيث قال عبارته الشهيره :" ماذا اذا رفض الشعب العراقي الامتثال لاوامر الجيش المصري .. هل يطلق عليه النار ؟؟ .. هذا امر لا

يحصل بين الاشقاء " .. و تسببت تلك العباره في رفض كافه القاده العرب في ارسال قوات الي العراق .

المرحلة اللاحقة رصدها تقرير نشر بجريدة الشروق بتاريخ ٣٠ مايو ٢٠٠٩ عشية زيارة باراك اوباما الي مصر و القائه الخطاب التاريخي بجامعة القاهرة:

حالة من الارتياح والتفاؤل تسود الأوساط الرسمية المصرية إزاء مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية فى السنوات الأربع القادمة، بانتخاب أوباما رئيسا، واختياره القاهرة منصة لإطلاق خطابه المنتظر للأمة العربية والإسلامية.

يأتى ذلك بعد وقت صعب تخلله الفتور فى العلاقات بين واشنطن والقاهرة، لا سيما فى الفترة الثانية للرئيس السابق جورج بوش، وتولى رايس وزارة الخارجية.

فى القاهرة كما فى واشنطن يتحدث الدبلوماسيون المصريون بنبرة واثقة حول ما يصفونه بـ«أيام أفضل قادمة».

يقول هؤلاء الدبلوماسيون ــ وبعض منهم متابع للعلاقات المصرية ــ الأمريكية منذ أكثر من ١٥عاما ــ أن الأسوأ بالنسبة للعلاقات المصرية الأمريكية قد انتهى برحيل ادارة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش وإنه أيا ما كانت المشكلات والخلافات التى ستواجهها واشنطن والقاهرة فى السنوات الأربع القادمة فإنها «لن تكون أبدا بما كانت عليه» خلال عهد الرئيس الأمريكى السابق.

هذا الدبلوماسى، الذى شارك فى الإعداد لآخر قمة مصرية أمريكية عقدت بين الرئيس حسنى مبارك وبوش فى الولايات المتحدة فى ٢٠٠٤ ــ يقول إن «الخلافات بين القاهرة وواشنطن كانت عميقة فيما يتعلق بالموضوعات، وحساسة فيما يتعلق بالطريقة التى يجرى بها التعامل». ويضيف الدبلوماسى نفسه الذى تحدث مع الشروق بشرط عدم ذكر اسمه «إضافة لهذا فإن الكيمياء كانت مفقودة تماما بين الرئيسين. فالرئيس الأمريكى السابق كان له طريقة فى المزاح والكلام لم تكن تروق كثيرا للرئيس مبارك، الذى يميل بطبيعته للحديث الجاد المباشر، والذى لا يميل أبدا لأن يقول له أحد فى الجلسات الخاصة إن مصر عليها أن تفعل كذا وكذا أو أن الولايات المتحدة تصر على أن تقوم مصر بهذا أو ذاك».

ولا يخفى دبلوماسيون أمريكيون عملوا فى سفارة بلادهم خلال الولايتين المتتاليتين للرئيس الأمريكى السابق بوش أن إدارة بوش، وليس بوش فقط، لم تجد طريقها للتعامل السلس مع الحكومة المصرية. وقال أحد هؤلاء إن متابعته للمناقشات، التى كانت تدور بين وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس وبين نظيرها المصرى أحمد أبوالغيط كانت تصيبه بـ«القلق».

الوزيران، على حد قول هذا الدبلوماسى، لم تكن بينهما لغة مشتركة. «إن أبوالغيط يحب التعامل مع القضايا الشائكة بصورة تجافى المباشرة ويميل إلى وضع الأمور فى سياقات تاريخية وثقافية والوزيرة رايس كانت تشعر بالملل

من هذه الطريقة، وكان هذا الملل يصيبها بالتوتر، فتتحول أحيانا لغة التخاطب بينها وبين الوزير أبوالغيط إلى حالة من المونولوجات، كل يقول ما لديه، ولا يبدو أن الاثنين يتحدثان معا».

وينقل بعض العاملين فى السفارة المصرية فى أمريكا أن السفير المصرى السابق فى واشنطن نبيل فهمى «حاول كثيرا» أن ينبه رايس وأن يلفت نظر معاونى بوش إلى الحاجة لإبداء المزيد من «الحساسية» فى التعامل مع المسئولين المصريين سواء فيما يتعلق بلغة التخاطب المباشر خلال الاجتماعات أو ما يتعلق «خصوصا» بالتصريحات، التى يدلى بها المسئولون الأمريكيون عن الأوضاع فى مصر أو المطالبات الأمريكية من القاهرة، ولكن هذه النصائح لم تغير كثيرا من النهج الأمريكى.

ويقول دبلوماسى مصرى عاون فهمى خلال الفترة، التى يصفها بـ«السنوات العجاف للعلاقات المصرية الأمريكية» إن المشكلة تكمن فى «حالة العجرفة التى يتسم بها أعضاء الإدارة الأمريكية إلى جانب تأثرهم الشديد بل والأعمى بالمواقف الإسرائيلية إزاء المنطقة بأثرها وعدم فهمهم مفاتيح الشخصية المصرية».

وكانت نتيجة هذه التعقيدات فى التحاور المصرى الأمريكى أن شهدت السنوات الخمس الأخيرة من عهدة بوش البالغة ثمانى سنوات حالة من الجفاء المعلن كان أبرز معالمها انقطاع الرئيس مبارك عن رحلة سنوية كان يقوم بها إلى الولايات

المتحدة للقاء الرئيس الأمريكى والتحاور مع قيادات الكونجرس الأمريكى وكبار رجال الأعمال.

ويقول مسئول مصرى رفيع المستوى لـ «الشروق»: إن الرئيس مبارك عندما قرر عدم الذهاب إلى واشنطن فى عام ٢٠٠٥ لم يكن بالضرورة قد حسم أمره بوقف الزيارات خلال عهدة بوش. وحسب هذا المصدر، «فى عام ٢٠٠٥ كان الرئيس مترددا لأنه يدرك حيوية العلاقات المصرية الأمريكية، ولكنه أيضا كان يشعر أن الأمور تتجه إلى طريق مسدود فيما يتعلق بالتفاهم مع تلك الإدارة».

وفى الأعوام التالية، حسب المصدر نفسه، ازداد شعور الرئيس بعدم جدوى التحاور رفيع المستوى مع إدارة بوش «وشعر بالسأم من إمكانية إصلاح الأمر فيما يتعلق بنظرة هذه الإدارة إلى المنطقة وإلى مصر.

لا ينفى المسئولون والدبلوماسيون المصريون فى الأحاديث غير المقررة للنشر أن «النقد الشديد والعلنى والجاف»، الذى كان يصدر عن أعضاء الإدارة الأمريكية بحق ملف حقوق الإنسان والممارسة الديمقراطية فى مصر كان من أهم أسباب توتر العلاقات بين القاهرة وواشنطن خلال السنوات الماضية. كما أنهم لا يخفون أيضا أن القاهرة الرسمية كانت مستاءة وبشدة من الطريقة التى تعاملت بها الإدارة الأمريكية مع بعض رموز المعارضة المصرية خاصة أيمن نور زعيم حزب الغد وسعدالدين إبراهيم عالم الاجتماع المعارض للنظام المصرى والمطالب للولايات المتحدة

الأمريكية بربط المعونة الاقتصادية لمصر بمستوى الممارسة الديمقراطية فيها.

وحسب المصادر الدبلوماسية المصرية فإن محاولات جرت لتنبيه الإدارة الأمريكية للحاجة لإبداء الحساسية فى التعامل مع هذه الشخصيات لقت تعاطفا من بعض الدوائر الدبلوماسية الأمريكية. ولكنها لم تتمكن من تغيير لغة الخطاب الرسمى.

فى الوقت نفسه يصر الدبلوماسيون المصريون على أن مسألة «الخلافة لحكم مبارك» لم تكن «عقدة حقيقية» بالنسبة للعلاقات المصرية الأمريكية.

وقال دبلوماسى مصرى عمل بالسفارة المصرية الأمريكية فى واشنطن إن إدارة بوش كانت لديها تساؤلات حول مصير الخلافة فى مصر وبعضها تعلق باحتمال أن يكون جمال مبارك الابن الأصغر للرئيس حسنى مبارك والوجه الأبرز حاليا فى الحزب الوطنى الحاكم مرشحا بصورة ما لتولى الحكم فى مصر بعد الرئيس مبارك.

ولكن الدبلوماسى نفسه يؤكد «أن ما يتردد عن أن إدارة بوش كانت لديها اعتراضات مباشرة فيما يتعلق بترشيح جمال مبارك أو غيره لخلافة الحكم هى أقوال يرددها بعض المعارضين للنظام. ولكننا لم نسمع بها بصورة مباشرة وبالطبع ليس بصورة رسمية».

حسب ما قاله دبلوماسى أمريكى أنهى مؤخرا عمله فى القاهرة، فإن إدارة بوش كان «لديها الفضول لمعرفة ما سيحدث فى حال خلو مفاجئ فى السلطة، وكانت بالطبع

لديها أسئلة تتعلق بالتحديد بجمال مبارك، ومدى قبوله فى الشارع المصرى وما الذى يمكن أن يفعله الإخوان المسلمون فى حال ترشحه ومدى القبول الذى يحظى به والسيطرة التى يستطيع أن يمارسها على (المؤسسات الرئيسية فى مصر)».

ولكن هذا الدبلوماسى أكد فى لهجة قاطعة «لا أحد يمكن له أن يقول إن الإدارة (السابقة) أبدت اعتراضا مباشرا للقاهرة على أى سيناريو قادم. هذا لم يحدث. وما يهم الولايات المتحدة الأمريكية فى الحقيقة هو بقاء مصر مستقرة وبقائها مساندة للسلام وبعيدة عن سيطرة قوى التطرف».

ويصر الدبلوماسيون المصريون أيضا أن مسألة المعونة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية لمصر لم تكن محل خلاف رئيسى. ويقولون رغم أن القاهرة لم تكن تشعر بالضرورة بالارتياح إزاء النهج واللغة لذى تعاطت بهما إدارة بوش مع هذا الملف بالمقارنة بإدارات سابقة فإن «الأمر كان يتم معه من خلال القنوات الدبلوماسية وعلى مستوى وزارى ولم يكن محل خلاف كبير».

وحسب نفس الدبلوماسيين فإن استياء القاهرة من واشنطن لم يكن قاصرا على قضايا ثنائية بل كان يشمل أيضا قضايا إقليمية، أبرزها الوضع فى العراق والقضية الفلسطينية. ويشير هؤلاء الدبلوماسيون إلى أن مصر كانت «قلقة جدا من تبعات الحرب الأمريكية على العراق» وإنها كانت تخشى أن تفتح الباب أمام توغل إيرانى بصورة أو

أخرى وغضبة فى الرأى العام تؤدى إلى تصعيد الوزن السياسى للجماعات الإسلامية. ومصر، حسب نفس الدبلوماسيين، كانت قلقة من نهج إدارة بوش إزاء القضية الفلسطينية، والذى بدأ بالتجاهل ثم تحول للتعامل مع الملف من وجهة نظر إسرائيلية.

وحسب المسئول المصرى الرفيع الذى تحدث لـ«الشرق» فإن الرئيس مبارك ذهب إلى الولايات المتحدة فى عام ٢٠٠٤ فى «محاولة جادة لإقناع بوش بخطورة التوجه نحو منح (رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك أرييل) شارون خطاب الضمانات»، الذى اعتبر ضمانة أمريكية لإسرائيل بأنها غير مطالبة بالعودة إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

يقر الدبلوماسيون المصريون ونظراؤهم الأمريكيون أن كثيرا من هذه المشكلات باقى على حاله. فسجل حقوق الإنسان فى مصر لم ولن يحقق طفرة سريعة والممارسة الديمقراطية فى مصر ليست بالضرورة مرشحة لخطوات أكبر. والإفراج الأخير عن أيمن نور من محبسه الجنائى لأسباب صحية وتبرئة سعدالدين إبراهيم من تهم الإساءة لمصر، لأسباب قانونية إجرائية، لا تعنى أن المشكلات التى يمكن أن تنشأ بين النظام وبين نور وإبراهيم قد ولت.

فى الوقت نفسه فإن الوضع فى العراق ربما يتحول من سيئ إلى أسوأ ــ حسب القلق المصرى ــ مع الانسحاب المقرر للقوات الأمريكية فى هذا العام، كما أن قدرة الرئيس أوباما على تحقيق الآمال، التى أصبحت تحيط به فيما يخص تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ليست بالضرورة قائمة

وواقعية. إضافة إلى هذا فإن مصر قلقة من الحوار الجارى الآن بين واشنطن وطهران. وهى تشعر أنه يتجاوز القاهرة وهى لا تثق كثيرا فى رسائل الطمأنة، التى حملها مؤخرا مبعوثان أمريكيان رفيعا المستوى.

ومصر أيضا ليست واثقة ـ على الأقل حتى الآن ـ من أنها ترغب فى الانخراط مع الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية فى العمل نحو احتواء الوضع فى أفغانستان. والأهم من ذلك فإن مصر ما زال لديها شكوك حول نوايا إدارة أوباما فى التعامل مع السودان خاصة فيما يتعلق بالقرار الصادر عن المحكمة الجنائية الدولية بتوقيف الرئيس السودانى عمر البشير لمواجهة تهم بارتكاب جرائم حرب فى دارفور.

ويقول دبلوماسى مصرى «فى المجمل فإن المشكلات ما زالت قائمة، ولكن الذى نأمل فيه والذى نشعر أنه تحقق هو اختلاف النهج». ويضيف الدبلوماسى نفسه إن القاهرة حريصة على طى صفحة الماضى وبدء صفحة جديدة لن تسطر كلها بالضرورة بكلمات التعاون الوثيق أو التفاهم الكامل ولن تنهى المشاكسات حول ملف المعونة أو مسألة اتفاقية التجارة الحرة، التى ترغب القاهرة فى توقيعها مع واشنطن وتتملص الأخيرة إزاءها. «إن الخلافات بين مصر وأمريكا ستبقى ولكن ما نأمل أن يذهب هو الطريقة الفظة والمتعالية من الجانب الأمريكى فى التعامل مع هذه الخلافات، والتى لم تفد مصر ولم تفد أمريكا ولم تفد المنطقة».

وحسب مصادر رسمية فإن الرئيس مبارك حريص على الذهاب إلى الولايات المتحدة فى مطلع الخريف القادم. ويقول مصدر مصرى فى واشنطن إن الموعد المرجح للزيارة التى كانت مقررة فى مايو وأرجئت جراء ظروف خاصة تتعلق بفقدان الرئيس لحفيده هى الخريف القادم. «بعد إجازة عيد الفطر». التى ستحل فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر.

المسرح الديني

منذ النهضة النفطية التي شهدتها شبه الجزيرة العربية عقب ازمة النفط الشهيرة عام ١٩٧٣، وهنالك حملة وهابية علي المجتمع المصري. حملة كان قواديها من ذهب الي هنالك و أنبهر لضعف وطنيته، أو ضعف دينيه، أو ضعف انتمائه للوطن الأم، أو لفهم خاطئ في الدين.

ومع هؤلاء المنبهرين، كان هنالك من سعي عمداً الي تكريس الوهابية في المجتمع المصري عمداً . أو اعطائه صبغة خليجية، بل و حتي هدم البيت من الداخل لصعوبة صنع مثله هنالك وسط الصحاري.

ونسى هؤلاء أن التدين الزائف في تلك الدول غير صالح للمجتمع المصري، الذي عرف اللّه و البعث و اليوم الآخر و الخلود و التوحيد منذ فجر التاريخ، فكانت الحضارة الفرعونية هي الحضارة الانسانية الوحيدة التي تؤمن بكل هذ دون أن تكون حضارة مبنية علي أساس ديني كما جري مع الحضارة الاسلامية و الامبراطوريات الصليبية.

فالدين لدي المصريين أعمق من أي قضايا فقية او خلافية او مذهبية، الدين لدي الشعب المصري ليس زي، أو رداء، أو ذقن طويلة، الدين لدي المصري اسلوب تعامل، وروحانيات يتميز بها عن العالم أجمع، وحب حقيقي للّه و رسوله، و زهد حقيقي بعيد كل البعد عن دولارت النفط ومظاهر ثرائها التي التهمت جذور المجتمعات الخليجية وجعلتها

مجتمعات مسخية الطابع، اخذت من الغرب ماديته دون تقدمه، وحافظت علي تخلف ورجعية الفقر، و المصريون قبل هذه الهجمة – التي اتت بالتنسيق مع هجمات اخري سوف يتم ذكرها في هذا الفصل – لم يكن في قاموس افكارهم فارق بين سنى و شيعي، فالغالبية العظمي من المصريين سنة، و مع ذلك كانت مصر الملاذ الآمن لـ آل البيت، وكان الشعب المصري ذو الاغلبية السنية الساحقة يزور وبشكل منتظم مقابر ومساجد آل البيت في مصر، رغم ان تلك المزارات في قاموس الفتنة، قاموس ما هو سني وما وشيعي تعتبر مزارات شيعية، و لكن تخلينا عن كل هذا الثراء الفكري و الحضاري، ورحنا نسير وراء من يكفر هذا و من يكفر ذاك من الصحابة و آل البيت.

وهكذا بدأت تظهر ظواهر غريبة علي مجتمعنا المصري، مثل انواع الحجاب (!!)، و مثل وجود الحجاب المزركش و الحجاب الطويل و الحجاب القصير .... الخ، و اصبحنا في ديننا نميل الي احتضان الرموز والقشور أكثر من الجوهر الحقيقي، فالفتاة المحجبة يمكنها ان ترتدي ملابس ضيقة او حتي شفافة بل و مفتوحة، كل هذا يتم تحت راية الحجاب، و كأنما حينما رأي الدين ستر رأس المرأة فأن هذا صك بتعري باقي جسدها، او ان ارتداء كامل الملابس يعني ان تكون شفافة او تفسر ما اسفلها من تفاصيل جسد المرأة.

ثم بدأت موجة أخري، تمثلت في العباءات الخليجية، علي أعتبار ان الدين الاسلامي دين خليجي وفق منطق هؤلاء، اذن فالزي الخليجي هو الزي الاسلامي، وانساق المجتمع وراء

تلك الظاهرة الهامة. و يلاحظ -ايضاً- ان القيم المادية التي استقاها المجتمع الخليجي من العولمة الامريكي تطل علينا بقسوة في اثمان تلك العباءات. او في نشأتها بالصين وفقاً لمفهوم العولمة الامريكية التي جعلت من الصين منصة إطلاق لكافة صناعات الدول التي قبلت على نفسها ان تسحق هويتها تحت عجلات العولمة الامريكية.

ويلاحظ ان المرأة هي المستهدفة الأولي من كل هذا. فلم نجد من يخبر الرجل ان هنالك زي خاص به. او يعارض التقاليع المنتشرة في تصفيف الشعر او الملابس الغريبة او حتي أسلوب الحياة. و ذلك لان شباب و رجال المجتمعات الغربية يفعلون تلك الامور لديهم او لدينا بدون مشاكل.

ثم ننتقل الي مرحلة أخري. تمثلت في بث مفاهيم دينية معينة في مجتمعنا. مثل ختان الأنثي. و هي العادة الخليجية المحببة. والتي افتى شيوخ الازهر عشرات المرات بعدم شرعيتها. أو ارضاع الكبير. و هي العادة المحببة في الخليج. واخيراً. الشرع فرض علي الرجل الزواج باربعة. رغم ان الشرع حلل و لم يفرض. ثم دخلنا في قصة ان للرجل الحق في اي فعل جنسي مع زوجته. كأجراء مناسب للمجتمعات الخليجية التي ينتشر فيها الجنس الشرجي. و هو نمط جنسي تروج له – ايضا- آلة اعلام العولمة الامريكية.

و بالتزامن مع تلك الهجمة علي نسيجنا الاجتماعي. كان هنالك هجمة أخري علي نسيجنا الديني. تمثلت في بث الكراهية لكل ما هو غير سني. فالشيعي مجرم. و ايران الشيطان الأكبر. و المسيحيين كفار. و اليهود ثعالب. و

الكاثوليك لا يحتفلون بالعيد مع الأرثوذكس. و الأرمن مختلفون عن المسيحيين المصريين. ثم جري فعل آخر تمثل في تقسيم الأجانب الي فئات . وفي محاولة لالغاء ميزة أجتماعية هامة لدي مصر منذ نشأتها. فالمصري لا يسأل أخيه المصري عن دينه . و المصري لا يسأل ضيفه عن جنسيته. سواء كان قادماً من بلاد اغلبيتها يهود او حتي مجوس.

و لنعترف ان كل هذه المخططات نجحت. و أن القسم الأكبر من المصريين وقع في فخ كراهية الأجانب و غير المسلمين. أضافة الي تطبيق بعض جوانب النموذج الوهابي للإسلام.

ويلاحظ ان الرأسمالية الخليجية طبقت قواعد العولمة الامريكية في بث الاسلام الوهابي بالمجتمع المصري. كأنما الاسلام الوهابي جزء من العولمة الامريكية. من اجل ظهور الاسلام بمظهر المتطرف لخدمه اهداف امريكية اخري معروفة في ادبيات المحافظين الجدد الامريكان. فاصبح اليوم للمسلم زي وشكل و اسلوب تعامل يفرقه عن سائر البشر الذي يعيش معهم في اي دولة غير مسلمة حتي يكون فريسة سهلة للاضطهاد. و نسينا ان الاسلام يحترم خصوصية كل مجتمع. و انه يمكن لاي مسلم ان يندمج في المجتمعات الغربية شريطة الا يتخلي عن جوهر دينه. جوهر دينه البعيد كل البعد عن مجرد زي او أسلوب حلاقة او ممارسات جنسية. ويلاحظ ان هؤلاء ادخلوا علي القاموس اللغوي الاجتماعي المصري مصطلحات غريبة. مثل المايوه الاسلامي و الزفة الاسلامية. و لولا بعض الحياء لوجدنا من

يتحدث عن جنس إسلامي، أضافة الي ان الفرقة و التعصب اصبحت جزءاً من مجتمعنا. فالعصبية الدينية اسفرت عن عصبية في النقاش بوجه عام، و اسفر الامر عن تلاشى اخلاقيات النقاش لدينا. فبعد ان كانت المناقشة طرفين او اخر كلاً منهم يطرح رأيه و فكره و لديه القابلية لسماع الآخر و تقبل رأيه لو انه مقنع. أصبح النقاش اليوم هو سعى همجي لفرض الرأي وأثبات ان هذا الرأي على حق دينياً وفلسفياً وأدبياً وعلمياً وعلمانياً وجنسياً ...الخ. و أدت الفرقة و التعصب الي استبدال الفاظ ومفاهيم شديدة الاهمية في الوعى العام المصري. فالفيلم العربي اصبح الفيلم المصري والدراما العربية اصبحت الدراما المصرية و السورية و الخليجية. و اصبح لدينا صحافة الاقباط و سينما الاقباط و اعياد الاقباط و مناسبات الاقباط. ونادراً ما عدنا نسمع كلمة هذا عيد مصري. بل وحتي عيد شم النسيم ذو الخلفية التاريخية الفرعونية وجدنا من يفتى لنا بانه عيد مسيحي ولا يجب للمسلم الاحتفال به.

وهكذا كانت الرأسمالية الخليجية جسراً لكي تصب العولمة الامريكية قيم وإسس خاصة بها داخل مجتمعنا. بعد أن نجحت تلك القيم في أن تصبح لها الكلمة العليا في المجتمع الخليجي. و اليوم اصبحنا نهتم بالقيم الشكلية و لا نعبأ بالقيم الجوهرية. نهتم بالشكل دون المضمون او الجوهر او التفاصيل. تم تمشيط قيم التسامح والزهد والرضا والامان النفسي والاجتماعي واجتثاثها من المجتمع

المصري بعملية جراحية همجية وعشوائية قام بها شيوخ الاسلام الجديد.

ولم يكن الاسلام الوهابي مسئولاً عن كل هذا وحده، اذ بالتزامن مع الهجمة القادمة من أتون صحاري الجزيرة العربية و التي راحت تلفح بنيرانها منارات التقدم العربي والاسلامي في مصر والشام والعراق والمغرب العربي، كان هنالك هجمة أخري، تمثلت في مسلمين متأثرين بالعولمة الامريكية مباشرة دون المرور بجسر الرأسمالية الخليجية، فصنعوا ظاهرة دينية غريبة لا يمكن تسميتها الا بـــ الإسلام البروتستانتي.

الإسلام البروتستانتي

في عام ١٥١١، بدأ المفكر و الفيلسوف الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) حركة إصلاحية دينية مسيحية، اسفرت عن المذهب البروتستاني، و بالرغم من أهمية اسباب مارتن لوثر، الا ان أفكاره كانت تهدف في الأساس في تخليص الديانة المسيحية من سلطة البابا، و الكنيسة، اضافة الي عدد من الاسفار و الكتب المسيحية المقدسة، مما أدي في واقع الامر الي مذهب مسيحي جعل المسيحية دين بلا كنيسة ، و بلا التزامات دينية تذكر، فكان طبيعياً اليوم أن يزور نسبة كبيرة من الاوربيين الكنائس كأنهم يزورون متاحف تاريخية.

ويلاحظ ان كل مصيبة منى بها الاسلام خلال القرون الخمس الماضية، حدثت تحت راية الاصلاح، كانما وجد مارتن لوثر الحجة لكل عالم دين في تغيير دينه عبر تلك الراية، وفي

مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠ بل و في العالم العربي في نفس الفترة، ارتفعت الاصوات المطالبة بالاصلاح الديني و تجديد الخطاب الديني، متأثرة و متدثرة بالمطالب الامريكية الصريحة و الواضحة في هذا المجال. حينما استغلت الولايات المتحدة الامريكية اتهاماتها -التي لم تثبت حتي اليوم - بقيام بعض الراديكاليين الاسلاميين بهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١و راحت تطالب الدول العربية بتحديث خطابها الديني. بل ومناهج التعليم. و احقاقاً للحق، كان هنالك بنود تحريضية بالفعل في بعض المناهج التعليمية الخليجية تتنافي مع سماحة دين الاسلام. و جرى بالفعل حذفها بأوامر و توصيات امريكية مباشرة.

وبالتزامن مع الاوامر الامريكية للاصلاح الديني، كان هنالك من يعمل داخل المجتمع المصري وفقاً لمفهومه الخاص بأن الدين يسر و ليس عسر، متناسياً ان هنالك فارق بين تبسيط الدين و بين جعله لا شئ، و الي جانب هذين الفريقين، كان هنالك تيار من الليبراليين تشجع للاوامر الامريكية من جهة، و احتفي بالفريق الثاني الذي عمل علي الاصلاح من تلقاء نفسه، و هكذا التئم شمل الفرق الثلاثة.

كانت أولي مظاهر هذا الاصلاح هو القنوات التلفزيونية الدينية، التي تعتبر نسخة من القنوات الدينية المسيحية المتشددة المنتشرة في الولايات المتحدة الامريكية، و التي سميت " الكنيسة التلفزيونية" . فبدلاً من ان يقوم المسيحي بالتوجه الي الكنيسة، لحضور درس الدين او حتي

القداس، هنالك برنامج تلفزيوني يجعلك تشعر بالمشاركة في هذا الامر.

و بالفعل انتشرت القنوات الدينية الاسلامية في الوطن العربي، كاننا نسعي الي اسلام بلا مسجد، و بدلا من قيام المسلم بالذهاب الي الشيخ بالمسجد لسؤاله عقب الصلاة، اصبحنا مترصصين امام التلفاز، مسقطين روعة المشاركة التي حث عليها الدين الاسلامي حينما جعل اي عمل جماعي ديني له اجر و ثواب مضاعف، و أصبح الدين مادة إعلامية مثل الموسيقي و الافلام . اصبح اليوم المواطن يشجع الاهلي و يسمع عمرو دياب و يواظب علي دروس الداعية (.........).

ثم بدأنا في موجة أخري، حينما تنبه البعض الي ان "مهنة" الداعية الاسلامي تدير ربح، وشهرة، بل واتباع ونفوذ ايضاً، فسارع البعض الي دخول "المهنة الجديدة".

و تلا ذلك موجة الدعاة الجدد، بأخطائهم الدينية و تصديهم للفتوى عن جهل، و اصبحنا نرى رجل الدين المودرن، و ذلك حينما راي البعض ان زي رجل الدين شكله "غليظ"(!!)، و اصبحنا نرى دعاة يرتدون البنطال الجينز الامريكي والقميص، كأنما الدين أصبح شئ ثقيل علي قلوبنا و يجب ان نتلقاه من شخص "روش" ، او غير مكفهر الوجه" . بالاحرى اصبحنا نحتاج الي وجه سينمائي جذاب !.

ولا عجب بالفعل ان نرى بعض البرامج الدينية التي يقدمها فتيات متبرجات، و نسينا ان زي رجل الدين منبثق من عمله بالمؤسسة الدينية، الازهر الشريف.

وهكذا أصبح لدينا الاسلام البروتستانتي الخاص بنا على أحدث صيحة امريكية، مسجد تلفزيوني، و شيخ مودرن، و قنوات إعلامية تدار بفكر رأسمالي غربي.

وفي الاسلام البروتستانتي كل شئ خاضع للمناقشة، و بدلاً من البدء على ما اقره الاجداد، بدأ شيوخ و دعاة الاسلام البروتستاني يناقشون كل شئ، و بدأ جمهور الاسلام البروتستاني يناقش و يعارض كل شئ، إمامة المرأة و عمل المرأة و زي المرأة، الحجاب و النقاب، الصلاة و طريقة الصلاة، حتي عماد الدين و اساسه لم يترك في حاله، قل و لا تقل، افعل و لا تفعل، كل و لا تأكل، اذهب الى و لا تذهب الى.

وبدلاً من حركة أصلاحية دينية حقيقية تشحذ الهمم و تجعلنا نلحق بركب الامم المتقدمة التي سبقتنا و اصبحنا جهلة هذا العصر و أمثولة التخلف، عدنا ١٤ قرن الي الوراء لفهم الدين من جديد، والغريب ان دعاة وشيوخ وجمهور الاسلام البروتستاني يناقشون امور محسومة اساساً في كتب الفقه بل وحتى في كتب التاريخ.

قضية القضايا

وهنالك قضية هامة جداً، يتحدث عنها كافة شيوخ الفضائيات قبل شهرتهم، و لكن فور صعودهم الي منصة الاعلام حتى يتم التغاطى عنها، هذه القضية تنقسم الي سؤالين:

١ – هل يدخل الجنة من هم ليسوا علي الدين الاسلامي ؟

٢ – هل المسيحيين و اليهود الحاليين هم أهل كتاب ؟

لاسباب تتعلق ببعض الاراء السوفسطائية، سوف نتطرق الي السؤال الثاني بالقول. ان أهل الكتاب هم الذين يتبعون الانجيل الذي نزل علي سيدنا عيسى عليه السلام او التوراة التي نزلت علي سيدنا موسى عليه السلام. هل ما نزل علي عيسى هو ما يتبعه المسحيين اليوم ؟؟

اليوم .. هنالك أكثر من أنجيل، مع أن اللّه عز و جل ذكر في القرآن الكريم أنجيل واحداً، فمن اين أتي المسيحيين بالاناجيل الاخري ؟؟

لقد وصل الامر الى درجة ان بعض المذاهب و الكنائس تعيب علي اناجيل الكنائس والمذاهب الاخري، و الامر ذاته بالديانة اليهودية.

ومع ابسط قراءة في صفحات "الاناجيل" المختلفة علي الساحة المسيحية اليوم، ندرك أن تلك الكلمات لا يمكن أن تكون قد قيلت عبر اللّه عز وجل، او نقلها جبريل عليه السلام، أو بشر بها عيسي عليه السلام لقومه، أن اللّه عز و جل لا يمكن ان يناقض نفسه، لا يمكن ان يقول شيئاً في الانجيل و يقول عكسه في القرآن، أو يطالب بالرحمة في دين و يطالب بسفك الدماء و الانتقام الدموى في الانجيل..

أقرأ في انجيل لوقا ١٩ : ٢٧ ...... أَمَّا أَعْدَائِي أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي.

في انجيل لوقا ٢٢ : ٣٧ .....فَقَالَ لَهُمْ: لَكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً.

في سفر حزقيال ٩: ٦ وَاضْرِبُوا لاَ تُشْفِقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ.

في سفر إرمياء ٤٨/ ١٠ "ملعون من يمنع سيفه عن الدم "

في سفر إشعيا [١٣ : ١٦] يقول الرب : ((وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم))

وفي موضوع اخر من نفس الكتاب : يقول الرب : ((تجازى السامرة لأنها تمردت على إلهها . بالسيف يسقطون . تحطم أطفالهم . والحوامل تشق))

في سفر صموئيل الأول ١٥: ٣ - ١١ فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً» .

في سفر حزقيال ٩: ٥-٧ اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لاَ تُشْفِقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. ٦اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ. وَلاَ تَقْرَبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي». فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ. ٧وَقَالَ لَهُمْ: نَجِّسُوا الْبَيْتَ، وَامْلأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرُجُوا. فَخَرَجُوا وَقَتَلُوا فِي الْمَدِينَةِ.

في سفر التثنية : ٢٠ : ١٦((أَما مُدُنُ الشُّعُوبِ الَّتِي يَهَبُهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ مِيرَاثاً فَلاَ تَسْتَبْقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمِّرُوهَا عَنْ بِكْرَةِ أَبِيهَا، كَمُدُنِ الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ))

بكل بساطة، مسيحيو اليوم لا يتبعون كتاب عيسى، و بالتالي هم ليسوا أهل كتاب، واشدد هنا انني لا اتحدث عن

هل هم مسيحيون من عدمه، فهذا الامر لا يهمنا هنا.
ولكن المهم ان نعرف وفق مفاهيم الاسلام ان المسيحيين و اليهود اليوم ليسوا أهل الكتاب الذي نزله اللّه.
و لنأتى الي السؤال الاول .. من يدخل الجنة ؟؟
يقول اللّه تعالى في القرآن الكريم " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَام " (سورة آل عمران – الآية رقم ١٨)
و قد قال البعض ان عيسى و موسى و كل انبياء اللّه نادوا بالاسلام و هذا صحيح، و لكن كما اوضحنا فأن رسالة عيسي و موسي تم العبث بها و لم تعد كما نزلت من عند اللّه، أضافة الي ان هنالك حديث شريف يقول فيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: " اتى جبريل لمحمد في صورة رجل وسأله : يا محمد اخبرني عن الإسلام . فقال : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت " رواه مسلم عن حديث عمر رواه البخاري من حديث أبي هريرة . وفي الصحيحين عن ابن عمران أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا اللّه وان محمداً رسول اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان " .
لذا فأنه لكي يدخل اتباع عيسي و موسي دائرة الاسلام يجب عليهم الشهادة بان محمد هو رسول اللّه و اتباع الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج وفقاً للطريقة الاسلامية الخالصة بين اتباع سيدنا محمد اليوم.

و يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما إن تكذبوا بحق وإنه واللّه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني " رواه أحمد .

أي ان موسى لو كان حياً في عصر محمد لوجب ان يدخل دين الاسلام. و موسى هنا لا ترمز الي سيدنا موسي عليه السلام فحسب. بل هي رمز لكل ما سبق محمد من رسل وانبياء .

و في الى القرآن الكريم يكشف اللّه عزوجل ان كافة الانبياء اقروا باتباع رسالة من يأتي بعدهم بقوله تعالى "وإذ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (سورة آل عمران، الآية رقم ٨١ و ٨٢). أي ان كل انبياء اللّه من ادم الي عيسى دخول دين محمد.

و حاول البعض تعميم كلمة المؤمنين ، و لكن الآية الكريمة " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ " (سورةالنور، الآية رقم ٦٢) واضحة . فيجب الإيمان بكافة الرسل - ومنهم سيدنا محمد - وليس واحداً منهم . فالامر ليس سوبرماركت وانت تختار النبي او الرسول او الكتاب الذي يروق لك. الجدير بالذكر هنا ان نسبة كبيرة جداً من المسلمين لا تؤمن بعيسي نبياً في الاسلام و تظنه رسول المسيحيين .

او ان موسى هو رسول اليهود وهكذا. و هو خطأ فادح لا يتصور حدوثه في زمن تنتشر فيه هذا الكم من الفضائايت والمشايخ.

ثم ان الايمان برسول دون الاخر هو كفر اوضحه القرآن الكريم :" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا " (سورة النساء، الآية رقم ١٥١). فأما ان تؤمن بكل الرسل من آدم وحتي محمد وأما تعتبر في عداد الكافرين.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه : قال رسول اللّه (ص) " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم

و قد دعى الاسلام أهل الكتاب الي الانضمام فوراً الي صفوفه. و ذلك وفقاً للآية " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " (سورة آل عمران، الآية رقم ٦٤).

يتضح من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ان القضية التى يؤجلها الاسلام الوهابي والبروتستانتي و البوشي، اضافة الي الانسانيون و منكرى السنة هي قضية

واضحة تماماً. فمن أجل من يتم عدم الحسم ؟؟ و من أجل من لا يتم اذاعة هذه الحقيقة على الملأ.

الدولة تروج للجميع

شاركت الحكومة المصرية الجميع في حماس، عبر سيطرة مهينة علي المؤسسة الازهرية، مما فرغ الازهر من مضمونه و كبل دوره الرئيسي والاساسي، الازهر الذي كان معقل الحركة الوطنية يوماً ما اصبح اليوم جزء من وزارة داخل مجلس الوزراء.

ثم فشلت الحكومة في الترويج لاي بديل اخر . تاركة الوعي الديني المصري يسقط فريسة و رهينة في يد شيوخ و دعاة الاسلام البروتستاني والاسلام الوهابي علي حد سواء.

والأهم من ذلك، هذه القنوات التلفزيونية التابعة للاسلام البروتستاني، أو الافكار الخاصة بالاسلام الوهابي، كلها تساهم في إلهاء الشعب بالدين و في الدين، وفي نفس الوقت تخلق بدائل دينية عن الاسلام السياسي. حتي لو كانت بعض تلك القنوات تقدم افكار سلفية. فهي أقلية فكرية وسط افكار الاسلام البروتستاني ذات الأغلبية. كما ان المسلم الجديد الذي جري تصميمه وفقاً لاحدث تقاليع الاسلام البروتستاني اصبح قادراً وحده علي لفظ اي فكر سلفي، لذا فأن دعاة و شيوخ الاسلام البروتستاني والاسلام الوهابي يقدمون خدمة عظيمة للحكومة، فشلت أجهزتها الأمنية في فعلها منذ عقود في انتاج مواطن يلفظ السلف و الاسلام السياسي دون فهم لايا من تلك الافكار في الأساس.

ونظراً لان الولايات المتحدة الامريكية لديها مشروع معلن. يحتضنه قسم كبير من النخبة السياسية و الفكرية الامريكية بدوافع صهيونية بحتة. يسعي الي تقسيم الشرق الاوسط والادني الي دويلات طائفية. و الحياة السياسية لتلك الدويلات الي أحزاب دينية وطائفية. فقد أدرك البعض ان العولمة الامريكية ابتكرت مهنة جديدة ، اسمها أقلية دينية. وان هنالك مهنة اخري يجري ممارستها خلف الستار اسمها "صناعة الاقليات". وهكذا فجاة يظهر البهائيين علي انهم متضطهدون. فجاة تجد من يتحدث عن اليهود وما يجري لهم في مصر. أصبح كل ١٠٠ شخص قادرين علي ان يشكلوا طائفة و أقلية و دين و هيئة.
ونظراً لان الاوامر الامريكية صارمة في احترام التعددية الدينية. فأن قبضة الدولة تراخت في سحق هؤلاء. بل و جرى في بعض الاحيان عمليات تحدي رسمية للدولة من قبل بعض صناع الاقليات.
وقد وجد صناع الاقليات و المتاجرون بها المرجعية الفكرية اللازمة. عبر المتحمسين لهم من ابناء الليبرالية المصرية الزائفة – سوف يجري الحديث عن هؤلاء لاحقاً- أو عبر العلمانيين ، وكأن كلاهما ينادي بقبول أي آخر. ولو لم يكن هنالك آخر فلا مشكلة في صنعه!.
ومن غير المستبعد في المستقبل – وفي مشهد هزلي- ان يفتتح تجار الاقليات مكاتب رسمية بهذه الصفة. وأن كنا قد بدأنا نشهد ارهاصات هذه الظاهرة بالفعل عبر الكتاب

والمراكز البحثية والمحامين الذين تخصصوا بالعمل في هذا المجال.

ومن المثير للدهشة-و ما اكثر مسببات الدهشة في مصر و عالمنا العربي و الاسلامي- ان اي نظرة او قراءة في كتب التاريخ سوف تكشف زيف ادعاءات هؤلاء الذين يسمون انفسهم بالاقليات، خاصة البهائيين الذي قامت بريطانيا بصنعهم ورعايتهم خلال فترة هيمنتها علي الشرق الاوسط. تماما كما فعلتها مع القديانية في شبه الجزيرة الهندية او مع الوهابية في شبه الجزيرة العربية.

التدين الكاذب

ولعل السؤال الهام، وسط موجة الاسلام الوهابي، و الاسلام البروتستانتي، لماذا لدينا نسبة التحرش عالية، او جرائم الاغتصاب منتشرة؟ او انتشار هذا الكم من متابعي الافلام الجنسية والملابس الغريبة و العارية و غير المحتشمة ؟؟

في الواقع نحن نعود الي نموذج الفتاة التي ترتدي الحجاب و باقي جسدها تفعل فيه ما تشاء. الواقع ان ارتفعا نسبة التدين و الفحشاء في مجتمعنا هو قمة الشيزوفرينيا التي يمكن للمجتمع ان يصل اليها.

و الاجابة تكم في أدبيات الاسلام البروتستاني والاسلام الوهابي. أذ أن مفعوله سريع وباهت. لا يثبت في العقل و الوجدان. غير قادر علي الصمود في وجه مغريات الحياة واغواء الشيطان. ففي مصر قبل الاسلام البروتستانتي والاسلام الوهابي، كان درس الدين يلقى في الجامع. يجلس فيه

الفرد متدثراً بالجماعة. يرى في وجوههم التأثر والتدين، و يناقش الشيخ و الحضور عقب الدرس الديني.

اليوم انت جالس في بيتك. تتلقي عبر المسجد التلفزيوني درساً في الاسلام البروتستاني او الاسلام الوهابي، دون ان ندرك ان لكل مقام مقال. و ان التعبد و سماع اصول الدين لها مكان يحترمها، و ليس في اجواء منزلية غير مخصصة لذلك. تخسر حقيقة التفاعل الروحاني مع ٣٠ فرد حاضر علي الاقل في الجامع. تخسر حوار مباشر مع الشيخ والحضور. تخسر اليقين الذي يمتلئ به قلبك من هذا الحضور. اليوم انت في بيتك لا تعرف كم فرداً يسمع ما تشاهد او تأثر به او عمل به.

تحول الاسلام –كما سبق– الي مادة إعلامية. تتأثر بها لفترة قبل ان تنساها. و يمكن لاي باحث في مجال الاعلام و الاعلان و الراي العام وعلم تصميم الحملات الاعلامية والاعلانية ان يجزم بسهولة ان الترويج لشئ ما او فكرة ما عبر الاعلام مهما بلغت قدسيته فأنه لا يظل ثابتاً في وجدان المتلقي، و لابد من تكرار الرسالة الاعلامية والاعلانية مراراً علي المتلقي، حتي يتذكرها كل فترة. وبالتالي فأن الوعاء الذي نتلقي منه الدين اليوم. وعاء غير ملائم للدين من الأساس.

وهكذا اصبحت الدعوة الاسلامية رهينة مقادير ونظريات الاعلام، التي وضعت بدورها علي هوى و تنظير اباطرة الاعلام و فنون الاتصال الامريكان. أي اننا –ايضاً– بشكل او بأخر ندور في فلك نظريات أكاديمية للعولمة الامريكية.

وكان يمكن ان يتم التلاحم بين الدعوة الاسلامية و الاعلام وفقاً لنظرية الكيف و ليس الكم، اي برنامج واحد في الاسبوع او في اليوم علي قناة عامة افضل، و بالفعل لدينا دليلي علي أن هذا الاسلوب اكثر فاعلية، أذ ان البرنامج الاسبوعي للعلامة الشيخ محمد متولي الشعراوي له تأثير كمي و كيفي علي الشعب المصري اكثر بكثير من كافة القنوات التلفزيونية الدينية الحالية.

و لنرصد سوياً ما آلت اليه اخلاقيات المجتمع المصري خلال العشر سنوات الماضية، علماً بأن ماكينة أسلمة المجتمع - عبر الاسلام البروتستانتي او الوهابي او البوشي او حتي عبر ايدولوجيات التيار الاسلامي - تعمل بكفاءة طوال تلك السنوات بلا انقطاع:

١ - تقارير وزارة العدل المصرية (١) تشير الي ارتفاع مذهل في معدل الاخلاقيات.

٢ - دراسة : ٦٨٪ من موظفات الحكومة بالقاهرة يتعرضن للتحرش الجنسي (٢).

٣ - ضبط ٥٥٠ واقعة تحرش بتلميذات خلال يوم واحد فقط في القاهرة (٣).

٤ - الخارجية الأمريكية تحذر مواطنيها في مصر من التحرش الجنسي (٤).

٥ - عشرات الشبان يهاجمون فتيات في عودة لحوادث التحرش بالقاهرة (٥): حوادث التحرش الجنسي الجماعي تجرى علناً في شوارع القاهرة، مدينة الألف مأذنة.

٦ – دراسة أكثر من ٨٠ ٪ من المصريات يتعرضن للتحرش الجنسي [٦].

٧ – زيادة نسبة الجرائم في رمضان [٧] بنسبة ٣٠ ٪.

٨ – وزارة الداخلية المصرية [٨] : ٥٢ ألف جريمة جنسية في مصر خلال ٢٠٠٦.

٩ – دراسة: ٤٠ ٪ من المصريات يتعرضن يومياً للتحرش باللمس [٩].

١٠ – مئات المتظاهرات بوسط القاهرة يطلبن الحماية من السعار الجنسي [١٠].

١١ – عشرات الرجال يقومون بالتحرش الجنسي بالفتيات علناً في وسط البلد في أولي ايام عيد الفطر المبارك [١١].

١٢ – أرتفاع نسبة الطلاق في مصر [١٢].

١٣ – شخص يتحرش بـ«زوجة شابة» فى أكتوبر ترتدى عباءة وحجاباً وقفازاً [١٣].

١٤ – انتشار زنا المحارم [١٤].

١٥ – ربة منزل تحرض شقيقها لاغتصاب جلتها [١٥].

١٦ – ترزى يتحرش بسيدة داخل مسجد خلال شهر رمضان [١٦].

١٧ – مصر تحتل المركز الاول عالمياً في مجال التحرش العلني بالنساء في الشوارع [١٧].

١٨ – نجار يغتصب طالبة عمرها ٦ سنوات داخل مدرستها [١٨].

١٩ – سيدة تخون زوجها ١٦ سنة و تنجب من عشيقها اربعة اطفال [١٩].

٢٠ – اختطاف طالبة من الشارع وسط النهار و اغتصابها عبر ستة اشخاص في سوهاج [٢٠].
٢١ – طيار وزوجته يهتكون عرض بواب [٢١].

حقيقة انه حينما يتم المقارنة بين تلك الارقام وقت ظهور حالة التدين الكاذب، و بين ارقام الجريمة قبل ظهور تلك الحالة، فأن مستوي الاخلاقيات في مصر كان أفضل كثيراً قبل ظهور ايدولوجيات التيار الاسلامي و الاسلام الوهابي و البروتستانتي و البوشي.

الشعور بالضعف و الهوان

وهنالك نتيجة أخري غريبة للاسلام الوهابي و الاسلام البروتستانتي، الا و هي شعور المسلمين في عالمنا العربي بالضعف و الهوان، مع ان الاسلام هو اكثر الديانات انتشاراً علي مستوي العالم أجمع، و تعاليمه هي الوحيدة من كافة أديان السماوية التي اثبتها العلم و المنطق و الاستدلال و الفكر الانساني.

ومن الصعب تخيل عدم وجود أيدي غير عربية او اسلامية خلف بث شعور بضعف وهوان الاسلام في المجتمعات الاسلامية، حتي يشعر المسلم الجديد بأنه في قفص الاتهامو ان دينه و يعيش ايامه الاخيرة، وهنالك تيار في مجتمعاتنا العربية و الاسلامية بالفعل يؤمن و متيقن ان الاسلام في اضعف حالاته و عصوره علي الاطلاق، علماً بأن اي قراءة للعصور الاسلامية سوف ندرك ان هذا غير صحيح تماماً، و ان هنالك عصور مرت علي مصر بل و الحضارة الاسلامية اشد ضعفاً و قسوة مما نمر به اليوم.

أولئك هم المتاجرين بالقضية الفلسطينية، و ما يجري للمسلمين في العراق و افغانستان وحتي الصين كان لهم دور كبير في ترسيخ هذا الشعور.

احوال المسحيين في مصر

في مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠، جرت تغيرات كبري و مؤسفة في أوساط المسحيين بمصر، اذ ان الشعور بالاضطهاد انتشر علي مدى واسع بين المسيحيين، و زكي الشعور طبقة من الليبرالية الزائفة اعتنقت الرؤية الامريكية بوجود مثل هذا الاضطهاد، الي جانب بعض الغلاة المسيحيين في الداخل ، و اخيراً اقباط المهجر في الخارج.

وفي الواقع لو استعرضنا تاريخ شعور المسحيين بالاضطهاد فنجد انه قديم، و مبالغ فيه، فجذوره تعود الي الفتح العربي لمصر، ورغم انه لا يوجد في تاريخ الدول والامبراطوريات الاسلامية التي حكمت مصر اي قانون او فعل مناهض لحقوق المسيحيين، ولكن رهبان و قساوسة التطرف راحوا يبثون الشعور الزائف بالاضطهاد داخل المسيحيين، وترجمة اي فعل او قول حكومي الي معني يفيد ويغذي الشعور بالاضطهاد.

وحينما اتت الحملة الفرنسية علي مصر (١٧٩٨-١٨٠١)، و في موقف غريب، عمل قسم كبير من المسيحيين مع الفرنسيين، و تزخر مؤلفات عبد الرحمن الجبرتي بافعالهم التي تعبر عن مجتمع شحن نفسه دون داع لسنوات ضد محيطه الاسلامي.

ومـن ضـمـن هـؤلاء الـغـلاة خـرج رجـل متمـرد و زان يـدعـي يعقوب حنا. تعـاون مـع الـفـرنـسـيين و اسـس لـهـم الـفـيلـق القبطي من اجل العمل علـي محاربـة المـصريين و ثـورتهم ضد الاحتلال الفرنسي.

وحينما قامت انجلترا بتنظيم اتفاق بين تركيا و فرنسا لخروج الجيش الفرنسي و عملائه من مصر. خرج يعقـوب حنـا مـع من خرج. و لكنه توفي قبل الوصول الي فرنسا. وحاول احدي المغامرون الفرنسيون صنع اسطورة منه.

ان نشاط المعلم يعقوب حنا و الفيلق القبطي الذي اسسه كانت اولي ارهاصات التبدل الذي يجري تحت الـسـطـح داخـل الجالية المسيحية. من شـعـور الـبـعـض مـنـهم بالاضـطـهاد والعمل مع العدو ضد الوطن ظنناً منهم بأن هذا التعـاون سـوف يسفر عن تحرير مـصر مـن طابعـهـا الاسـلامـي. ومـا اقباط المهجر اليوم الا احفـاد ايـدولوجيين ليعـقـوب حنـا لا اكثر ولا اقل.

وقد انتشر بين المسيحيين فكرة هزيلة و غريبة. ظهرت علـي السطح وطاولة الحـوار خـلال الـسـنوات القليلـة الماضـيـة. تنص علي ان مصر دولة قبطية محتلة من قبل المـسلمين. و ان مسلمي مصر ليسوا مصريين. بل احفاد عـرب الجزيـرة العربية الذين دخلوها مع الجيوش الاسـلامية الـتـي احتلـت مصر حتي يومنا هذا.

ولعل هذا هـو الـسـبب في تـسـمية المـسـيحيين لانفـسـهم بمصطلح الاقباط. لان القبط كلمة يونانية الاصـل تـعـنـي مـصـر ويفتـرض هنـا ان تـشمل جمـيـع المـصريين. سـواء

المسلمين او المسيحيين او اليهود او اي شئ اخر. ولكن من اجل زرع دلالة تاريخية ان المصري الحقيقي هو المسيحي بينما الاخرون مجرد محتلون. احتفظ المسيحين لانفسهم بمصطلح الاقباط، و سار خلفهم الكثير من المفكرين دون وعى.

وفي الواقع ان فكرة ان مصر دولة محتلة من قبل احفاد عرب الجزيرة العربية فكرة ساذجة، تعكس شعوراً بالاغتراب داخل الوسط المسيحي و تعكس رغبة في تصدير هذا الشعور الي الوسط المسلم، بالاحري كمن يريد القول لا لست غريباً عن هذه البلد بل انتم الغرباء.

فمن ناحية العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية، لا يوجد اي رابط قوي بين مسلمي مصر وعرب الجزيرة العربية، باستثناء الشعائر الدينية وما ينص عليه كتاب اللّه وسنة رسوله، و حتى تلك الشعائر تختلف مصر في اسلوب ممارستها عن باقى محيطها العبي والاسلامي. والصفات الوراثية والجينية مختلفة تماماً، و كذلك الوعاء الثقافي والفكري والانساني.

كما انه لا يوجد دراسة واحدة في علم الأنثروبولوجيا Anthropology [٢٢]تنص علي اختلاف المسلمين في مصر عن باقي الشعب في ايا من الموروث الثقافي او الفكري او الاجتماعي او حتى الهيئة العامة و الذوق العام في الطعام و الملبس و السكن و غيره.

اما علم الفسيونومي physiognomy [٢٣]فرأي ان ملامح الشعب المصري اليوم سواء المسلمين او المسحيين تعود

بالفعل الي الشعب المصري القديم، و ان اي تغيير في الملامح الحالية هي التطور الطبيعي العلمي المتعارف عليه. فلم نرى اي دراسة فسيونومية تشير الي عكس ذلك.

و اذا ما ابتعدنا عن المنطق، و عن علم، و تصفحنا كتب التاريخ، ندرك ان كافة الفتوحات الاسلامية او التي اتت من دول اسلامية بداية من جيوش عمرو بن العاص ونهاية بجيوش سليم الاول، عسكر جيوشها و اتباعها و حتي من اتي من تلك الدول في مجتمعات منغلقة علي نفسها، و نجد في كتب التاريخ شراكسة و ارمن و اتراك و شوام و حتي مسيحيين و يهود اتوا الي مصر و عاشوا في مجتمعات منعزلة، و اختلط البعض بالمصريين المسلمين و المسيحيين و اليهود في اختلاط طبيعي مثلما يجري اليوم بين اي شعبين في العالم الحديث، دون ان يؤدي ذلك سيطرة جنس قادم من خارج مصر علي جنس او عقيدة او طائفة او اسرة داخل مصر.

دعك من ان مروجو هذه النظرية نسوا ان هنالك نسبة من مسيحيين و يهود و اتباع الديانات الاخري في مصر وقت الفتح الاسلامي و حتي يومنا هذا يدخلون دين الاسلام، وبالتالي فكرة ان الاسلام او مسلمي مصر منعزلين عن الشعب مصر الحقيقي هو محض هراء.

<u>وهم اسمه .. مصر القبطية</u>

وفوق كل هذا، فأنه لا يوجد اساساً في كتب التاريخ اي شئ اسمه مصر القبطية، و لم تكن مصر يوماً دولة مسيحية، أو كان هنالك حكومة مسيحية او قبطية ابداً

وجري اسلمتها. حتي يتم اعتبار عمليات التنصير التي تجري علي قدم و ساق هي حق تاريخي او اعادة الامور الي نصابها. فقد دخلت المسيحية مصر علي يد اتباع المسيح غير المصريين مثل مارمرقس (مرقص). و من الغريب عقب ذلك ان نجد كتب التاريخ تذكر انتشار المسيحية في الاسكندرية دون غيرها. و الغريب في ذلك ان الاسكندرية اساساً كانت مستعمرة رومانية يعيش فيها بقايا الغريق و البطالمة اضافة الي جالية الرومان بعيداً عن الامة الفرعونية التي كانت تحتوي علي اتباع ديانات فرعونية و يهودية اضافة الي ديانات الغزاة الوثنية الاغريقية و الوثنية الرومانية و المسيحية. فالديانة المسيحية في مصر بدات وانتشرت بين رومان الاسكندرية و ليس بين المصريين. و كانت الاسكندرية كأنما دولة داخل دولة. لا يمكن لمصري ان يدخلها الا بتصريح. و لا يوجد دليل علي ان هنالك مصري واحد ترأس البابوية او البطريكية الاسكندرية خلال عصر الرومان و يلاحظ الاسماء الرومانية و الاغريقية التي يهمنت علي مسيحيين الاسكندرية في عصر الرومان. و لا يوجد اي احصاء او دليل علي ان من قاد الكنيسة الاسكندرية في سنواتها الاولي من ابناء الشعب المصري.

بالاحري. كانت الاسكندرية مستعمرة رومانية خالصة. تماما مثلما الحال مع مستعمرات الصهاينة في الضفة الغربية الفلسطينية المحتلة. و كنيسة الاسكندرية هنالك تأسست وترأسها شخصيات رومانية الاصل. لا تنتمي الي العرق او الدم المصري بصلة. و حتي حينما دب خلاف بين

كنيسة الاسكندرية و الكنائس المسيحية الرومانية الاخري.
كان خلاف بين كنائس الدولة الواحدة و الدين الواحد. و ليس خلاف بين كنيسة دولة غاصبة و كنيسة دولة تقاوم الاحتلال، و يلاحظ – كما ذكر – ان كافة رجالات الكنيسة كانوا ذوى اسماء رومانية. علماً بأن الاحتلال – اي احتلال في الكون كله – حينما يأتي لا يقوم بتغيير قاموس اسماء ابناء الدولة المحتلة. فعلي سبيل المثال حينما احتلت الولايات المتحدة الامريكية العراق، هل تغير اسماء ابنائها الي اسماء ذات رنين امريكي ؟؟. بل وحتي لو قامت واشنطن بعمليات تنصير – و هو أمر جرى بالفعل – فهل يختار المتنصرين العراقيين اسماء مسيحية امريكية ام مستمدة من اسماء مسيحيو الشرق الاوسط؟؟

و اضطدهت السلطات الرومانية المسيحيين الرومان في الاسكندرية، ثم جري انقسامات داخل الامبراطورية الرومانية، و انقسمت الامبراطورية، و قد وجد الامبراطور الروماني قسطنطين الأول [٢٤] ان الحل الامثل يتمثل في الاستفادة من اتباع الدين الجديد في مواجهة منافسوه علي العرش الروماني، فاعتنق المسيحية واعلن انها الدين الرسمي لامبراطورية الرومانية الشرقية التي اصبحت تعرف باسم الامبراطورية البيزنطية [٢٥]. ومع مرسوم ميلان سنة ٣١٢ ، قام قسطنطين بأنهاء اضطهاد المسيحيين ، وفي سنة ٣٢٤ . جعل قسطنطين الديانة المسيحية هي ديانة الامبراطورية الرومانية، و لا يوجد اي دليل علي ان الشعب المصري دخل الدين المسيحي بسبب تلك

السياسات، بل ان الدليل الوحيد الموجود هو سلسلة من المذابح التي اشرفت كنيسة الاسكندرية علي القيام بها حيال الوثنين (اتباع الديانات الفرعونية و الاغريقية) من اجل اجبارهم علي دخول الدين المسيحي . و هي تلك المذابح التي وصفها الأديب و المؤرخ الاستاذ يوسف زيدان في روايته عزازيل و اثارت موجة كبيرة ضده علماً بأن الرجل لم يأتى بشئ من عنده، فالروايات التي تحدث عنها حقيقية و يمكن لاي بحث بسيط عبر شبكة الانترنت باسماء ابطال الرواية ان يدرك حجم المأساة التي جرت للشعب المصري علي يد كنيسة الاسكندرية في عصر الرومان.

ثم جري انقسام داخل العقيدة المسيحية كما سبق و ذكر و فر فيلق من مسيحيو الاسكندرية و اسسوا اللغة القبطية، و من بين الهراء الذي يسعى بعض قساوسة التطرف المسحيين أن يقنعوا به الشعب المصري القول ان اللغة القبطية كانت موجودة في العصر الفرعوني، و أن اللغة القبطية كانت اللغة السائدة بين الشعب بينما اللغة الفرعونية كانت لغة الكهنة الي اخر هذا الهراء، الذي يستغل الفهم الاشعبي الخاطئ لحقيقة عدم معرفة علماء المصريات بالنطق الصحيح للغة الفرعونية القديمة و لكن يتوصلوا لها بالطبع لانها اندثرت، فظن البعض ان هذا يعني ان اللغة الفرعونية القديمة مجرد أبجدية بينما الشعب المصري كان يتكلم اللغة القبطية، و سارع بعض عدماء الثقافية بالقول ان الشعب كان يتحدث اللغة

العربية بأبجدية فرعونية و ان هذا كان سائداً في العصور الفرعونية !!.

وفي الواقع ان هذا كله هراء. فاللغة الفرعونية لغة ناطقة و لم تكن مجرد إبجدية و كل ما يقال حول حديث الفراعنة باللغة القبطية او العربية ما هو الا محاولة لتعريب او تنصير الحضارة الفرعونية. تماماً مثل المؤامرات اليومية التي تتعرض لها تلك الحضارة العظيمة بالقول ان لغتها ليست اول لغة ناطقة و انها ليست اولي حضارت التاريخ. ويخرجون لك بلغة من ستة او سبعة أحرف واهنة و ضعيفة في أحدي الغابات او الصحاري. او تجد أحدهم يخرج لك بضعة أكواب من الفخار للقول ان هنالك حضارة ما او لغة ما قبل المصرية القديمة. و نسى كل هؤلاء ان كلمة حضارة و لغة لها معني اعمق و اشمل. هي علم قائم بحد ذاته. فليس كل من صنع بضعة رموز و صنع منها بضعة كلمات اصبحت لغة. و ليس كل من صنع بضعة أكواب او اطباق او منازل هزيلة سوف نعتبر ذلك حضارة.

و بالعودة الي الموضوع الاصلي. يلاحظ هنا ان تمصير كنيسة الاسكندرية لم يحدث الا عبر الفتح العربي لمصر. قبل هذا التاريخ كانت كنيسة الاسكندرية كنيسة رومانية خالصة. اتباعها من رومان الاسكندرية. ويمكن القول قياساً حتي علي كتابات غلاة المسيحين ، ان العصر الاسلامي شهد مقارنة بما سبقه حرية رائعة للمسيحيين.

ولذا لم يكن هنالك يوماً حكومة قبطية حكمت هذا البلد. بل كان هنالك كنيسة نشأت في مستعمرة الايطاليين

بمصر. سيطر عليها فليق من المستعمرين لفترة طويلة و شاركت في مذابح كبري ضد السكان الاصليين لمصر. غير معروف حتي يومنا هذا متي بدأ بالضبط تاريخ تولي المصريين لباباوية هذه الكنيسة. والغالبية العظمي من اجداد المسيحيين دخلوا المسيحية خوفا من بطش الكنيسة . بينما لا نجد ابدا عبر التاريخ ما يشير الي دخول المصريين الي الدين الاسلامي خوفا او تحت تهديد او مذابح.

و امام هذا التاريخ الهزيل و المجهول تجري محاولات حثيثة لتصدير هذه الاساطير والخرافات الي الفكر و الدين الاسلامي من بعض القساوسة و رجال الدين المسيحي الموتورين.

وقبل مغادرة هذه المحطة التاريخية يجب الاشارة الي ان السطور السابقة لا تعني ان مسيحيين مصر من اصول رومانية. و الا سوف نقطع في نفس الفخ الذي يريد بعض المسيحيين نصبه للمسلمين حينما يقولون ان اصول كافة المسلمين عربية و غير مصرية. فالمسيحية انتشرت بين المصريين بالسيف و الدم في عصور الرومان. ثم بالاقناع و السلم في العصور الاسلامية. بالتزامن مع بدء الدعوة الاسلامية في مصر رسمياً فور الفتح الاسلامي.

حقيقة اضطهاد المسيحيين

ولكن يبقى سؤال بعيداً عن أي خلفيات تاريخية او حتي مداخلات. هل فعلا المسيحيين في مصر (اليوم) يتعرضون الي اضطهاد ؟؟

في بادئ الامر ان كلمة اضطهاد كلمة كبيرة و واسعة و لها تعريفات دولية لا تتسق باي حال من الاحوال مع اي شكل من اشكال المضايقات الفردية التي يتعرض لها المسيحيين في مصر اليوم.

ومع ذلك لا يمكن ان ننفى أنه لا يوجد مضايقات، مضايقات في سبيلها للتحول الى اضطهاد حقيقي و منظم، مضايقات دخيلة علي مجتمعنا المصري لاسباب جرى شرحها سابقاً، لعل ابرزها ما يفعله البعض بمحاولات حثيثة لاجبار المسيحيين لدخول الاسلام. هؤلاء الجهلة لم يقرأوا او يعرفوا او يفهموا او يشعروا ان الاسلام هو اكثر الاديان انتشارار في العالم اليوم، و المئات يدخلون اليه افواجاً في اوروبا يومياً، و انه لولا القبضة الحديدية للكنيسة المصرية علي اتباعها لوجدنا من يشهر اسلامه يومياً في مصر علناً دون خوف من بطش رهبان و قساوسة التطرف المسيحي.

ويلاحظ ان فرنسا خلال احتلالها لمصر تعاونت مع الفيلق القبطي، و حينما اتي الاحتلال البريطاني عمل علي تعميق فكرة الاضطهاد داخل الاوساط المسيحية، و احداث الفتنة بين المسلمين و المسيحيين، ثم اتى المشروع الامريكي سالف الذكر، و تحمس له بعض المتطرفين المسيحيين اضافة الي الليبراليين الزائفة، و وصل الامر الي سخافة طرح فكرة اعطاء المسيحيين حكماً ذاتياً بجنوب مصر، او اعلان انفصال الجنوب كدولة مسيحية مستقلة!.

الديانة الانسانية

ومن ضمن الخزعبلات التى ظهرت فجأة في مجتمعنا، أن نجد من يقول انه لا سني او شيعي و لكنه أنسان !!، او انه ليس بمسلم او مسيحي بل أنه انسان !!، كأنما الانسانية دين او ملة، او مذهب ينبغي اتباعه، و يحاول اتباع هذه الافكار الايحاء ان هذا نوع من الترفع عن الخلافات الدينية او المذهبية !!.

و هذا الفكر نتاج فكر اخر تهاون في ابسط الحقوق التي نص عليها الدين، كأنما الاعتزاز بالدين اصبح تطرف، و كأنما ان يقول فرد اسباب اختياره للدين اصبح تطرف، وكانما ان يذكر انسان الاسباب التي تجعل دينيه هو الاصّح هو تطرف، كأنما التعالى على الدين هو قمة التسامح.

القرآنيين (منكري السنة)

ولايمكن مغادرة محطة الحديث عن المخططات الامريكية دون الحديث عن طائفة القرآنيين منكري السنة.

وبعيداً عن تاريخ هذه الطائفة او اي شئ يتعلق بنشأتها، فأن الولايات المتحدة الامريكة حينما قامت بغزو العراق ادخلت نسخ من القرآن الكريم معدلة، تم حذف آيات تراها الحكومة الامريكية معادية لليهود و المسيحيين، اضافة الي آيات تراها الولايات المتحدة الامريكية تقدس الرسول محمد عليه الصلاة و السلام، كأنما إدارة جورج بوش الابن تفصل الاسلام علي مقاسها ةو ما تريده، فاصطلح القول علي هذا الفعل بالاسلام البوشي، نسبة الي بوش.

وكان الغرض من كل هذا المساهمة في تكريس فكرة أن المرجعية الاولي والاخيرة للاسلام هو القرآن الكريم بعيداً عن السنة النبوية الشريفة.

و الغريب ان تجد اتباع لهذا الهراء في الوطن العربي او عالمنا الاسلامي. و نسى هؤلاء الآية القرانية في سورة النجم:
"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)"

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (ولم يقل: «وما ينطق بالهوى»؛ لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به؟ فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه، فنُطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال). [المصدر:بدائع التفسير (٤/٢٧٦)]

قال تعالى: "وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" (سورة النساء، الآية رقم ١١٣).

وقال: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (سورة الجمعة، الآية رقم ٢).

وقال: "وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ" (سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٤).

الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة. فالقرآن وحي باللفظ والمعنى، السنة وحي بالمعنى.

قال الشافعي ـ رحمه اللهّ ـ (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم).

قال ابن القيم ـ رحمه اللهّ ـ (والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر الرسول صلى اللهّ عليه وسلم عن اللهّ ـ سبحانه ـ فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به الرب ـ تعالى ـ على لسان رسوله صلى اللهّ عليه وسلم . هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم).

طبعا في عصر الجدال و السفسطائية و الاسلام الوهابي و الاسلام البروتستانتي والاسلام البوشي اصبح للجميع تحفظات علي كل شئ، أذا تحدثنا عن الادب لدينا تحفظات علي كل الادباء و اذا تحدثنا عن العلم كان كذلك، حتي التاريخ والدين، و يبدأ السفسطائي حديثه بالقول " انا اختلف مع ......" ثم ينطلق في وصلة تنظير سفسطائية تناقض نفسها في أول سطرين.

الخلاصة انه من المؤكد اننا سوف جد من يعارض رؤية ابن القيم او الامام الشافعي، تماماً كما رأينا من يفعلها مع كافة آئمة السيرة النبوية، هؤلاء الذين افنوا عمرهم في حفظ هذا الجزء الهام والاساسي من دين الاسلامي، اصبحوا اليوم – كلهم- في قفص الاتهام من قبل اتباع الإمام جورج بوش الابن.

لذا سوف ننتقل الي كتب التاريخ لنري، أهل السنة و أهل هذا المسمي من الأساس، في واقع الامر انه لم يجرى تدوين

القرآن الكريم الا عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، قبلها لم يكن هنالك فارق بين القرآن و السنة، فالكل لدي الصحابة و مسلمي هذا العصر هو كلام اللّه الذي ابلغهم اياه سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام.

والقرآن الكريم بدون السنة المحمدية لا يمكن شرحه و فهمه في كثير من آياته، بل ان الاحاديث النبوية الشريفة تعتبر الجزء الحادي و الثلاثون لهذا الكتاب المقدس، ومما لا شك فيه ان احداث بلبلة و فتنة بين المسلمين كان الهدف الاول لسعي إدارة بوش الابن لدعم هذه الفئة الدينية، تماما كما فعلتها بريطانيا سلفاً بدعم القديانية و الوهابية والبهائية.

وهكذا، وكما سبق في السطور الماضية، لعبت الليبرالية المصرية الزائفة دوراً هاماً في الترويج للاسلام البروتستانتي و الاسلام البوشي، و لكن لماذا؟ و لماذا هي ليبرالية زائفة؟؟، لمعرفة هذه النقاط يجب فهم التحول الذي جري في الفكر المصري في مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠، و تحديداً في أهم ثلاثة تيارات فكرية في الوطن، العلمانية والليبرالية والاسلامية.

المسرح الفكرى

تطور الفكر العلمانى

العلمانية تعني اصطلاحاً فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة، وعدم إجبار الكل على اعتناق وتبني معتقد أو دين أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية.

هي رفض أية سلطات تشريعية أو تنفيذية في الدين تتدخل بحياة الفرد. فالدين في العلمانية ينتهي عندما يخرج الفرد من المسجد أو من الكنيسة، مثال للتوضيح: لو حكم على شخص بالإعدام على أساس ديني فهذا الحكم مرفوض في النظرة العلمانية. فيجب أن يكون الحكم مبني على قانون قضائي وطني تضعه حكومة الدولة ولا يتدخل رئيس الدولة فيه لأنه يجب أن يكون القضاء مفصولاً عن الحكم.

وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف، الذي تورده المعاجم، ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة "Secularism": "وهي حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة، إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ "Secularism" تعرض نفسها من

خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

ويقول قاموس "العالم الجديد" لوبستر، شارحاً المادة نفسها:
الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، ونحو ذلك على الخصوص: نظام من المبادئ والتطبيقات "Practices" يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة.
الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة، وخاصة التربية العامة.

ويقول "معجم أكسفورد" شارحاً كلمة "Secular:"
دنيوي، أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً، مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.
الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

ويقول "المعجم الدولي الثالث الجديد" مادة "Secularism":
"اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص، يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية، يجب ألا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات، استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلاً السياسة اللادينية البحتة في الحكومة". "وهي نظام اجتماعي في الأخلاق، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي، دون النظر إلى الدين".

فالعلمانية لا تنهى عن اتباع دين معين أو ملة معينة، بل تنادى فقط بأن يتم فصل الدين عن السياسة والدولة، وبأن تكون الأديان هي معتنق شخصي بين الإنسان وربه.

هذه هي العلمانية. نشأت العلمانية في الغرب كحركة أجتماعية وفكرية تعتبر رد فعل طبيعي على ما فعلته الكنيسة في اوروبا حينما قادت العمل السياسي وأدى الامر الى سنوات من الحروب والصراعات والازمات الاقتصادية، اضافة الي أجواء أجتماعية سادها الأرهاب الديني وتدخل الكنيسة في الحياة العامة، مما جعل العلمانية ردة فعل طبيعية لكل هذا.

ويرى العلمانيين ان الدين مكانه الكنيسة -او المسجد او المعبد- فحسب، وفي العلوم او السياسة او الفلك او الحياة العامة او الشخصية او أي شئ أخر فأن المادية و المنفعة الشخصية غير المؤذية للمنفعة العامة هو الأساس. على الرغم من ان الدين المسيحي به تعاليم -شأنه شأن الاسلام و اليهودية بل و الكثير من الاديان غير السماوية- التي لا يمكن مخالفتها في الحياة العامة و الشخصية، مثل النهي و تجريم الزنا و الاباحة و العري و الشذوذ الجنسي و غيرها من الثوابت الدينية السماوية الاجتماعية التي راي منظرو العلمانية ان تطبيقها يعني سلطة مرفوضة للدين و الكنيسة على الدولة.

فما نحن بصدده اليوم هو علمانية رأسمالية نشأت في القرن السابع عشر مع بداية سقوط العمل السياسي

الغـربي في قبـضـة الرأسـمـاليين بعـد تحـرره مـن قبـضـة الكنيسة الغربية.

و أصبحت معالم العلمانية الرأسمالية هي:

١-محاربة التدين -او التمسك بالدين سواء الشكلي او الجوهري- باتهامه بالاصولية والراديكالية.

٢-عدم الاعتراف بالتراث الديني سواء الحضاري او الفكري بدعوي التخلف و الرجعية.

٣-إبدال القيم الاخلاقية التي نصت عليها الاديان السماوية بقيم اخري تحلل حرية الزنا والشذوذ و مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي واطلاق العنان للشهوات بكافة اشكالها، بالاحري الغاء كلمة الحرام و كل ما ينهى عنه الله عز و جل.

٤- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، و بث رسالة الانبهار بالنموذج الغربي العلماني الرأسمالي في كافة بقاع الارض.

٥- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم، وأساطين الفكر وعظماء الأدب، ومـا أسـماء: (دارون)و (فرويد)، (دوركايم)و (أليوت وشتراوس وكانط).

و اذا كانت العلمانية القديمة و العلمانية الرأسمالية يعتبران ردة فعل علي ما فعلته الكنيسة في العالم الغربي، فأن العالم العربي و الاسلامي لم يكن بحاجة الي العلمانية بكل اقسامها، و بالفعل فأن العلمانية حينما طرقت باب

العالم الاسلامي لم يكن ذلك عبر حركة تغيير إجتماعي. تجعل العلمانية جزءاً من النسيج الفكري التاريخي لهذه الحضارة. بل كان دخول هذا الفكر الي عالمنا الاسلامي قد أتى سفاحاً مع أساطيل الغزاة الذين راحا يتوافدون علي العالم الاسلامي. من البرتغال و ايطاليا و فرنسا و المانيا و هولندا وبريطانيا و غيرهم.

ثم اتي حفنة المفكرين العرب الذين سافروا الي العالم الغربي. بدون ان يكون لديهم اتصال او رابط قوي بالمجتمعات التي ينتمون اليها. فانبهروا بعلمانية الغرب. و ظنوا انهم قادرين علي نقلها الي العالم الاسلامي. و البعض منهم ظن ان هنالك قدرة علي أخذ الشئ الحسن من هذه العلمانية و ترك السئ. و بالطبع لم تفلح الفكرة ووصلت العلمانية بطبعتها الرأسمالية الي عالمنا الاسلامي.

وعبر تطور الاستعمار. و نقل دفة قيادته من يد فرنسا و بريطانيا الى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية. أصبحت العلمانية الرأسمالية جزء من الآمركة. ثم من العولمة الامريكية. وأصبحت العلمانية فكر تروجه الولايات المتحدة الامريكية بشكل رسمي عبر منظريها الافاضل في كل وسائل الاعلام.

و بعيداً عن فكرة تطور العلمانية في مجتمعنا العربي و تحديداً مصر. فان ثورة الاتصالات و تواجد الانترنت فائق السرعة في مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠ ساهم في إيجاد مراكز لتجمع العلمانيين. عبر منتديات تفاعلية و مدونات اضافة الي جروبات علي الفيس بوك. اضافة الي انتشار المراكز

البحثية و الادبية المشبوهة بطول و عرض الوطن. و التي تمول من الخارج و تدعم العلمانية الرأسمالية. مما جعل العلمانية في مصر تنهض و يكون لها تواجد ظاهر.

اتباع العلمانية فى مصر

وفي مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠، كان اندماج الفرد في العلمانية يعتبر ردة فعل او دافع الى ما يخصه من الناحية الاجتماعية أو الدينية، بعيداً عن أدني إيمان حقيقي بأهداف العلمانية سواء في حلتها القديمة او الرأسمالية. يمكن حصر أنماط العلمانيين في مصر في الصور التالية:

أولاً: من الناحية الفكرية:

١- شخص مسلم غير متدين موتور من مظاهر التدين لدي المسلمين: يؤمن بالعلمانية من اجل خلاص المجتمع من التدين الاسلامي.

٢- شخص مسلم غير متدين، يمارس التدين المزيف (الذي جرى توصيفه في الصفحات السابقة)، و موتور من مسلمين لا يتبعون الاسلام الوهابي او البوشي أو البروتستانتي: يري في العلمانية خير سند للتخلص من هؤلاء.

٣-شخص مسلم غير متدين، وقع فريسة أوهام غلاة التشدد المسيحي او الإملاءات الامريكية بأن هنالك إضطهاد للمسيحيين في مصر : يؤمن بالعلمانية من اجل تخليص المجتمع المصري من التشدد الاسلامي الذي يمارس – من وجهة نظره- الارهاب الديني و الفكري حيال المسيحين.

٤-شخص مسلم غير متدين: انبهر بالعلمانية لضعف إيمانه. ورأي انها الايدولوجيا التي يجب ان تسود المجتمع.
٥-شخص مسيحي متضايق من إسلامة المجتمع المصري ويرى في العلمانية الخلاص من تلك المظاهر.
٦-شخص مسيحي تعرض لمضايقات او يعرف مسيحيين تعرضوا لمضايقات ويرى في العلمانية الخلاص من تلك المضايقات.
٧-شخص يدعي الثقافة او ذو ثقافة ضعيفة وجرى تلقينه أن العلمانية هي المرادف الأمثل للمثقف المستنير.
٨-الموتورين من منجزات الحضارة الإسلامية العلمية و الأدبية.
٩-الجهلة بالسياسة الذين يرون ان الاخوان المسلمين و غيرهم خطر يمكن مقاومته بالعلمانية، و سوف يتم التطرق لاحقاً الي اسباب جهل الظن ان العلمانية قادرة علي التصدي للزحف الاخواني.
ثانياً: من الناحية الإجتماعية:
١-شخص ينتمي الي الطبقة المتوسطة او الفقيرة، ويريد التشبه بمفاهيم الفكرية الزائفة للطبقة العليا التي تعتبر زائفة في عصرنا الحاضر -سوف يتم التطرق لهذا الامر في الصفحات اللاحقة- حيث يتم الترويج ان الفكر المنفتح هو السائد في الطبقة العليا وبالتالي يقوم أبن الطبقة المتوسطة او السفلي بتبني هذه الافكار المفتحة في محاولة للتشبه بالأرستوقراطيين والأغنياء. كما ان هنالك اتهام دائم لابناء الطبقة المتوسطة والسفلي بأنهم

منغلقي الفكر. لذا فان اعتناق العلمانية هو خير محام لنفى هذه التهمة. تماماً مثلما يجري اليوم بين الطبقة الارستوقراطية الزائفة حينما يتم اعتناق الايدولوجيات الاسلامية و ابداء مظاهر تدين من اجل نفي الصورة النمطية عن الغني والارستوقراطي انه فاجر و زان و سكير.
٢-طبقة أرستوقراطية زائفة. ولانها زائفة فقد بحثت عن مرجعية زائفة ووجدت ضالتها المنشودة في العلمانية.
٣-الشواذ جنسياً. الذين وجدوا في فكرة الغاء القيم الدينية من تحريم الزنا والإباحة والشذوذ ضالتهم لكي يحظون بتواجد طبيعي في المجتمع.
٤-شخص يرتكب علة إجتماعية. و غير قادر علي الاندماج في المجتمع المحيط به بسبب تلك العلة. لذا وجد في قيم العلمانية الحيلة النفسية التي تجعله يتكيف مع ضميره. راقصة او عاهرة او شاذ او تارك للصلاة او شخص لم يعتاد صيام رمضان او دفع الزكاة او ممارسة ايا من تعاليم دينه اينا كان . الزناة او فتاة غير محجبة او ترتدي ملابس مكشوفة او تتبادل القبلات علي سبيل التحية مع الرجال ، او حتي مدمني العادة السرية. بالاحري كل من يتعرض لعذاب الضمير لانه يعرف انه يقوم بفعل خاطئ ينص دينه علي خطأه او يتعرض لضغط من شخص ما حوله بالقول الدائم أن ما يفعله خارج إطار الدين.
ويمكن لاي فرد من أتباع العلمانية أن يعتنق هذا الفكر لاكثر من سبب و ليس سبباً واحداً مما ذكر. و ان كان الملاحظ ان معظمهم ينتمون الي الاسباب الاجتماعية. فهو اما

شـخـص يحـاول الـتـشـبـه بالارسـتـوقراطيين، او شـخـص في حياته خلل ديني ما يحاول اخفائه خلف ستار العلمانية.

الليبرالية:

الليبرالية مفهوم شبيه بالعلمانية، و ان كانت الليبرالية لا تحارب في شكلها الظاهر التدين او الاديان، فالليبرالية تعني الحرية المطلقة، و تقبل الاخر، و ان تسود المجتمعات حياة حرة سياسياً و اجتماعياً، و ان تحكم المجتمعات برلمانات و حكومات و رؤساء منتخبون، و لكن و كما جري في العلمانية داخل المجتمعات الغربية و العربية، تحول الامر الي ميلشيات لمطاردة القيم الاخلاقية و الدينية، و الى إعلان قيم الاباحة والزنا والشذوذ و الافكار السياسية والدينية و العلمية الشاذة عن الفطرة الإنسانية.

والتحق بالليبرالية في مصر القائمة سالفة الذكر الخاصة باتباع العلمانية، بالاضافة الي بعض المثقفين الذي انبهروا بالليبرالية الغربية و الحياة الحزبية و البرلمانية في الغرب.

وغني ان القول ان قول" و ان كان الملاحظ ان معظمهم ينتمون الي الاسباب الاجتماعية، فهو اما شخص يحاول التشبه بالارستوقراطيين، او شخص في حياته خلل ديني ما يحاول اخفائه خلف ستار العلمانية" ينطبق ايضاً و بشدة علي الليبرالية، بل ان هنالك شكوك لدي العديد من مثقفي الجيل ان الليبرالية الحالية مخترقة من قبل العلمانيين والشواذ و اللادينين.

أخطاء العلمانيين و الليبراليين المصريين:

وقع اتباع تلك التيارات في أخطاء عديدة داخل المجتمع المصري، يمكن حصرها في التالي:

١-المطالبة بحرية عرجاء في أتجاه واحد، حرية الاباحة، بمعنى ان التعبد و ابداء مظاهر التدين هى الاخرى حرية شخصية، الفتاة كما هي حرة -في رأي هؤلاء- في ان تسير عارية الظهر في الشارع، فان الفتاة -ايضاً- حرة في ارتداء ملابس محتشمة، سواء ذلك نقاب او حجاب او غير ذلك، و لكن الحرية العرجاء التي تروجون لها عرجاء لانها في اتجها واحد، اتجاه العري فحسب، اذ ان التدين يعتبر في حد ذاته شئ اختياري، يمكنني ان اختاره او ارفضه وفقاً لحريتي الشخصية، بينما العلمانيين و الليبراليين اسقطوا حقي الطبيعي في ان اختار ان اكون متديناً، و قاموا بتحديد مفهوم حريتي في اتجاه واحد فقط، فالليبراليين و العلمانيين لا يعترفون بحرية التدين، بل ان اي مجهود مهما كان صغير في فرض العلمانية او الليبرالية يعتبر في حد ذاته مضاد و مقيد لفكرة حرية الاختيار.

٢-عدم تفهم التركيبة الفكرية والحضارية للانسان المصري، فالدين لدي الانسان المصري مكون رئيسي، و الحضارة المصرية القديمة توصلت دون رسالة سماوية مباشرة الى البعث و الخلود و الحياة الاخري -بينما معظم حضارت الشرق والغرب القديمة ترفض هذه الفكرة بل و لا تعرفها من الاساس- بينما فكرة البعث و الخلود والثواب

والعقاب والجنة والنار حتي يومنها هذا اسئلة فلسفية ودينية مطروحة للنقاش في العقلية الغربية.

وبينما العالم الاسلامي منقسم بين سنة وشيعة كان المواطن المصري سني المذهب يزور آل البيت في طقوس تنسب للمذاهب الشيعية. المصري اذا لم يكن هنالك دين معروف لدولته فانه يبتكر دين و يتعبد في محرابه.

الغاء مظاهر التدين او تلاحم الدين بالعمل السياسي و الاجتماعي في مصر هو عملية اغتصاب للهوية الفكرية لهذا الشعب لا أكثر و لا أقل. و كان الاجدر ان نرى حركة إجتماعية تقوم بتقويم هذا التلاحم حتى يعود الي شكله الاسلامي الصحيح. بدلاً من محاولات علمانية -عرجاء في المطالبة بالحرية- و ليبرالية -زائفة في من ينتمي اليها لإخفاء علته الاخلاقية أو الاجتماعية- لهدم هويتنا الفكرية.

٣-عدم تفهم ان العلمانية و الليبرالية في المجتمع الغربي اتت متغير ثوري إجتماعي. بينما ما يقوم به هؤلاء اليوم هو محاولة لحقن الجسد الفكري بأمصال فاسدة و دخيلة عليه. هذا المجتمع لن يتحول الي الفكر العلماني او الليبرالي الا عبر متغير إجتماعي قوي ينبذ ما نبذه الغرب، و لن يتحول عبر المناقشات والكتب والندوات.

٤-الفهم و التطبيق الخاطئ لمفاهيم علمانية و ليبرالية علي مجتمعنا العربي. خاصة في الشقين السياسي و الديني. مثل مفهوم فصل الدين عن الدولة الذي يتشدق

به العلمانيين و الليبراليين فارحين بهذا الفكر المستورد، دون فهم دقيق لو ، او تطبيق حقيقي علي مجتمعنا السياسي. اذ ان فصل الدين عن السياسة لا يعني الا يكون هنالك أحزاب ذات مرجعية دينية، او حتي ذات اسماء و شعارات دينية. فالحزب المسيحي الاشتراكي الذي حكم المانيا لسنوات يحمل اسم ديني و في ديباجة برنامج الحزب العديد من الافكار ذات المرجعية الدينية، كذلك الامر في الولايات المتحدة الامريكية فأن فكر المحافظين الجدد المسيطر علي الحزب الجمهوري منذ الستينات هو فكر ديني.

و بالعودة الي النصوص الاصلية غير المترجمة لكلمة فصل الدين عن الدولة و ما مدلول ذلك لمن صاغها، يتضح ان فصل الدين عن الدولة يعني عدم تدخل المؤسسة الدينية في السياسة، اي الكنيسة و كذلك رجالاتها، و بالتالي فاننا اذا ما طبقنا هذا المفهوم في مجتمعنا العربي او المصري، سوف نجد ان المقصود به هو عدم عمل رجال الازهر او مشايخ المساجد في العمل السياسي، و عدم تدخل الشيوخ و رؤساء الطوائف و الدعاة في السياسة ، و هو ما يحدث بالفعل ، بينما حركة الاخوان المسلمين (بما فيها من سلبيات او ايجابيات سبق الحديث عنها) و حزب الوسط تعتبر حزب لا يحكمه رجال الدين، فلا هم اتباع احزاب تتبع الازهر الشريف، او تتبع اي مؤسسة دينية اخري، وبالتالي فأن عمل تلك الاحزاب والجماعات في العمل السياسي هو امر صحيح حتى من وجة نظر العلمانية.

والأهم من ذلك كله، أن الدين الاسلامي يختلف عن كافة الاديان الاخري في انه يحتوي علي تشريع قضائي و تنظيم إجتماعي و أخلاقي. وبالفعل جرى تنفيذ دولة دينية عادلة في عصر الخلفاء ابي بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان، و حتي الخلافات التي جرت عقب ذلك كانت علي أسس سياسية و جرى وضع رداء الدين عليها، بالاحري ان فكرة فصل الدين عن الدولة غير صالحة بخصوص الدين الاسلامي الذي نجد في كتابه و سنة نبيه مبادئ قضائية و دستورية نجدها اليوم في عصرنا الحاضر في اعرق و أهم دساتير العالم.

٥-أتهام الاسلام بانه ضد الحرية وحقوق الانسان بل وحتى حقوق الحيوان، و هذا اتهام باطل، و القرآن الكريم يزخر بالنصوص و الآيات القرآنية التي تعلو من قيم الحرية وحقوق الانسان و باقي الكائنات التي خلقها اللّه جميعاً، و لنا في طريقة انتخاب عثمان بن عفان أميراً للمؤمنين عام ٦٤٤ بين ستة مرشحين عبر مجلس الصحابة خير دليل.

ثم ان انتخاب الرئيس بشكل ديموقراطي ليس المعيار الوحيد للحكم على مدى الحرية علي ان دولة الاسلام قادرة علي ان يحتوي علي نظام برلماني – مثله مجلس الصحابة- قادر علي انتخاب رئيس للدولة، فقد ولي عثمان الخلافة وعمره ٦٨ عامًا ،وقد تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب، وفي اختياره للخلافة قصة تعرف بقصة الشورى وهي أنه لما طعن عمر بن الخطاب دعا ستة أشخاص من الصحابة وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن

عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ليختاروا من بينهم خليفة في مدة أقصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصا على وحدة المسلمين. فتشاور الصحابة فيما بينهم ثم أجمعوا على أختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين.

اما حقوق الحيوان في الاسلام فأن السيرة النبوية تزخر بمواقف نبوية تعتبر أول أعلان لحقوق الحيوان في التاريخ. فذات مرة كان النبي نائماً فلما استيقظ من نومه رأى قطة نامت على طرف ردائه وهي غارقة في نوم عميق فلم يشأ النبي أن يقطع على هذه القطة نومها بل جلس وانتظر مدة من الزمن حتى تستيقظ بنفسها فلما انتبهت وقامت ومشت قام النبي إلى عمله.

ومرة كان النبي في طريقه مع بعض الصحابة فرأى قطة تريد أن تشرب الماء فكانت تلحس قعر الإناء بلسانها فجاء النبي وأمال طرف الإناء ليجتمع الماء فتشرب القطة من الماء حتى ترتوي. فقال الأصحاب للنبي: نحن نكفيك هذا. قال: لا بنفسي أحب أن أساعد هذه القطة على شرب الماء فلما ارتوت القطة من الماء وانصرفت. انصرف النبي- صلى الله عليه وسلم.

٦-تحول اتهام الاسلام الي اتهام المسلين او المتدينين. و في هذا خطأ فادح ، فانت تتهم هؤلاء بضيق الافق لانهم يؤمنون و متمسكين بالدين في حين ان اتباع العلمانية العرجاء و الليبرالية الزائفة يصرون علي ان يتبع المجتع القيم المادية التي امامه. و السؤال هنا. من هو ضيق الافق ؟ من

يرفض تصديق او اتابع الا ما هو يراه ؟ ام الذي يتبع مناطق الاستدلال و المنطق في تفهم حقيقة و حتمية اطاعة الخالق ؟

٧-ترديد وهم ان الاسلام انتشر بحد السيف، علماً بأن المسلمين تركوا السيف منذ نهاية الحرب العالمية الأولي بسقوط تركيا العثمانية، و مع ذلك هو الدين الاكثر انتشاراً على وجه الأرض، وتشير الاحصاءات التى اجريت عام ٢٠٠٩ بأن ربع سكان كوكب الارض مسلمين، اي واحد من كل اربعة في العالم، كما أن قول نفسه له رد تاريخي اخر، ففي القارة الامريكية اليوم الاغلبية مسيحيين، فمن أين اتت هذه الاغلبية ؟؟ هل كان الهنود الحمر السكان الاصليين للقارة الامريكية مسيحيين ؟؟ ام ان المسيحية انتشرت في القارة الامريكية (امريكا الشمالية و الوسطي و الجنوبية) بالسيف، بالغزو و الاستيطان الاوروبي لهذه القارة الي درجة قيام دولة من المستوطنين بحجم الولايات المتحدة الامريكية ؟؟

٨- استخدام الفاظ تسفيه قد تصل الي حد السباب وتقليل من شأن اي تفكير مضاد لما يعتقدون، او يناقش هذا المعتقد في حد ذاته، و هو امر يتعارض مع من يدعة تقبله لمناقشة اي فكر، او تقبله لوجود الاخر مثلاً في الفكر المضاد لما يعتقد.

وهكذا نجد ان العلمانية والليبرالية في مجتمعنا دخلت حرب مفتوحة مع التيارات والاحزاب الاسلامية.

التيار الاسلامي (الايدولوجيا الاسلامية)

اذا كان التيار العلماني اعرج، و التيار الليبرالي زائف، فأن التيار الاسلامي أرتكب جريمة لا تغتفر عبر التاريخ، الا و هو عدم قدرته علي تنقية نفسه، وتمشيط التيار من الدخلاء الذين استغلوا الدين في تحقيق مصالحهم الشخصية حتي أصبح هؤلاء هم الأغلبية بين أبناء هذا التيار.

ولم يكن ذلك هو الشرك الوحيد الذي وقع فيه التيار الاسلامي، و لكن كان هنالك حزمة فخاخ اخري منها:

١- وجدنا من يرى نفسه من أبناء التيار وصي علي تطبيق الدين، متناسياً الآية الكريمة[1]:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (سورة البقرة - الآية ٢٥٦)

فاذا كان هذا الاكراه في دخول الدين فما بالك في تطبيقه، و بالتالي فان دور رجل الدين يبدأ و ينتهي في الوعظ و الارشاد، لمن يريد ان يستمع، و ليس ان نجبر المواطن علي الاستماع او التطبيق، و دور الحكومة الاسلامية هي تطبيق الشريعة الاسلامية في معاقبة الجاني فحسب (الزاني و السارق الي اخر القائمة)، و ليس ما تفعله بعض حكومات الدول العربية في مطاردة المسلمين في بيوتهم لاجبارهم علي الصلاة جماعة.

فليس من حق أحد ان يجبر أحد علي دخول دين معين، او حتي ان يطبق تعاليم هذا الدين، بأستثناء حالات معينة ذكرها الدين، مثل الاب الذي يعود أبناءه علي الصلاة بقُول رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) رواه أبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" .

وحتي في هذا القول ، لم يكن هنالك إجبار للطفل لكي يصلى، بل كان هنالك عقاب له علي ترك الصلاة.

٢- دخلت تلك التيارت في حروب تكفيرية، فكل شيء لا يعجبهم يعتبر كافر وملحد، وأصبح تكفير أي شخص او مجتمع او دولة هو الهواية المفضلة لديهم، والغريب أن التيار الاسلامي يقف دائماً عاجزاً عن الرد بشكل حاسم في أي قضية حاسمة من التي يحتاجها المجتمع للتقدم و الازدهار، توقف الدين و التفكير عندهم في مسائل أولية يفترض ان نكون قد تجاوزنا فهمها و شرحها و تطبيقها في السنوات الاولي للدين الاسلامي.

٣- رؤية التيار الاسلامي الى أن الدين مهزوم داخل المجتمع، وانهم اقلية ، بل و بالفعل يعيش معظمهم في مجتمعات و تجمعات خاصة بهم كأنهم ينعزلون عن الدنيا الكافرة ، بالرغم من ان الدين ينتصر بالفعل في كل مكان و زمان، و يكفي ان اكبر اتهام وجه الي الاسلام في العصر الحديث اتى بانه دين ارهابي عقب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فماذا جرى في الغرب حيال هذه التهمة، هل جرى تصديق هذا الامر؟ هل توقف الاسلام عن الانتشار في العالم الغربي ؟ لم يحدث [٢]، بل و تأتي الاخبار من كل دول العالم تفيد ان الدين

الاسلامي هو الأكثر انتشاراً في العالم أجمع. بل و الغلبة الديموغرافية سوف تكون له.
مجلة مسلم نيوز الروسية في يوليو ٢٠٠٨ تعلن ان الاسلام هو ثاني دين في روسيا بعد المذهب الارثوذكسي المسيحي. و انه سوف يصبح في المرتبة الاولي بحلول عام ٢٠٥٠. و الاخبار ذاتها تأتي من معظم الدول الغربية سواء كندا [٣]. بل ان وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس صرحت في ٢٧ يوليو ٢٠٠٧ لقناة الحرة الامريكية بأن الاسلام هو أكثر الديانات انتشاراً في امريكا [٤] ، و في بريطانيا نفس الشئ [٥] وكذلك بلجيكا [٦].
٤-هو ان اتباع العبادات ادي الي نوع من الاستبداد لهؤلاء. كأنما كل من يصلى و يصوم يجب أن يكون رأيه علي حق، و ان يتدخل في كل كبيرة و صغيرة في المجتمع. و الا يناقشه أحد . و ان يكون الآمر الناهي في كل شئ.
٥- التشدد ثم التشدد ثم التشدد. ظن البعض ان الشدة في التدين هو نوع من مظاهر التمسك بالدين.
٦-عدم الدخول في مناقشات عقلانية مع باقي عناصر الحياة الفكرية المصرية. ظن هؤلاء ان جادلهم باللتى هى احسن تعنى التحدث دائما بقال الله و قال الرسول - عليه الصلاة و السلام.
٧ - علي مستوى الفعل او إيجابيات هذا الفكر. فلا يوجد تقريباً. فلم يستطع ان يتصدي للاسلام البروتستانتي و الوهابي و البوشي، بل دخل بعض اركان التيار الاسلامي في تحالف مع كل هذا. و بدلاً من ان يقود التيار الاسلامي دفة

العمل الاسلامي بعد ان وقع الازهر رهينة في قبضة الحكومة، رأينا التيار الاسلامي يتبعثر بين سلف واخوان ووهابيين وغيرهم، و منهم من يرى هذا مجاهد و هذا كاذب.

٨- لم يستطع التيار الغاء الفكر المكرس عن الرجل المتدين داخل المجتمعات العربية بانه رجل متزمت و خشن المظهر و الاخلاق و التعامل.

و يعتبر و بكل اسف الصورة السيئة الموجودة في المجتمع العربي للرجل المتدين هي الابن الشرعي للتيار الاسلامي.

حقيقة حينما ابحث عن اي رصيد او انجازات للتيار الاسلامي فلا أجد، بل انه يتساوي مع العلمانيين و الليبراليين في هدم المجتمع، فما هو الفارق بين من يطالبك بترك الدين؟ وبين من يطالبك بتطبيق خاطئ لهذا الدين ؟

و الايدولوجية الاسلامية هي اكثر ايدولوجية مخترقة و مضحوك عليها في تاريخ الفكر الانساني، فيكفي ان تحفظ بعض الايات من الذكر الحكيم، و تطلق لحيتك حتي يحسبونك منهم.

و الاكثر اهمية من ذلك، ان هذا التيار اصبح سلاح ضد الدين، اذ راح العلمانيين والليبراليين يستخدمون تواجده من أجل الصياح المستمر بان الاسلاميين و الراديكاليين هم الخطر الاكبر علي مجتمعنا، مع ان هذا مستحيل، فالمجتمع المصري غير قابل للتحول الي طالبان الافغانية او الثورة الايرانية.

و حتي فكرة ان يجتمع اركان هذا التيار من اجل حل مشاكلهم هو امر خيالي ووهمي ولم تفضى الي شئ.

في مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠ تجد ظاهرة هامة جداً. المجادلة لمجرد المجادلة، النقاش لمجرد النقاش، لا يمكن لاحد فى مصر ٢٠٠٠-٢٠١٠ ان يقول انه لا يعرف . فالكل يعرف و الكل ينقاش. علي الفيس بوك و علي المنتديات الالكترونية ملايين المناقشات، و كل رد يعتبر مقال كبير و ربما يمكنك تجميع هذه الردود لتخرج بكتاب ضخم، و لكن ما هي النتيجة؟ لا شئ.

والاهم من هذا كله ان كل فرد يتحدث عن شئ ما و يعيد الحديث فيه باساليب والفاظ مختلفة، فتجد المناقشة -في آمان اللّه- تتحدث عن نقطة واحدة، فتجد من يدخل ويفرع المناقشات الي كل علوم الدنيا، ثم يبدأ في الحديث واثارة الجدل في كل نقطة، وهكذا وبينما انت تناقش فكرة ما تجد امامك عشرات الملفات.

و يمكن بكل جدارة تسمية هؤلاء بالسوفسطائيين الجدد، هؤلاء الذين يدخلون المناقشات فيقومون بحقنها بالفاظ أكاديمية او حتي كبيرة، و حقن المناقشات بجمل كثيرة تحمل اكثر من معني، او لا تحمل اي معني محدد اصلاً.

و الاهم من ذلك هو تسفيه و تهميش ردود و اراء الغير، او ادعاء ان المتحدث ليس خبيراً، او انه غير لائق للحديث من الاساس في هذه القضية.

أضافة الى اختفاء آداب النقاش من الاساس، فحتي احترام ان يدلي الطرف الاخر برأيه، او عدم مقاطعته، او تركه يقول كل ما يقول، او حتي احترام اختلاف الاراء لم يعد موجود.

دعك من الكتاب و الفنانين و العباقرة الذين لا يطيقون كلمة نقد واحدة حول اعمالهم. وظهرت مؤلفات تدافع عن اشياء غريبة في تاريخنا. مثل الحملة الفرنسية او ضد الزعيم الراحل أحمد عرابي او حتي ضد اللغة العربية.
ومن ضمن تلك النماذج السوفسطائية، التسفيه من القديم و الكبير. و القول انه بدائي لا ينساب الحداثة اليوم.
او السخرية و الترقية و المزاح علي ما لا يتفق مع رأيهم. للتقليل من شأنه و جعله مجرد نكتة في سجل طويل من الافيهات التي يصنعها هؤلاء كل يوم علي كل شئ.
وقاموا بالانقلاب علي المرجعيات بدعوى انها لا تناسب التطور الذي جري اليوم في الفكر الانساني. اضافة الي ادعاء الموضوعية دائما في كل حديث، و تغيير معنى كل كلام يقال. فيقولون الكلمة البذيئة و اذا رد عليهم أحد بالقول انه سباب يقول لك لا اسب بل اقول رأيي او اقصد كذا او كذا.
و كانت النتيجة ان الحالة العامة للنقاش في مصر لم تعد تفضي الي شئ. بل و لم تعد مشجعة اساساً. و تجد العديد من المثقفين و العلماء يعزفون اليوم في دخول المناقشات و يروا انها مستنقع حقيقي.

انهيار السلك الأكاديمي

قديماً، كان استاذ الجامعة زعيماً سياسياً. أستاذ أجيال. قدوة تاريخية و أسطورة تعلم في ذكرى التلاميذ حتى الممات.
اليوم استاذ الجامعة يكتب سنوياً منشوره المسمى الكتاب الجامعي. و لا يكلف نفسه بمتابعة شئ الا مبيعات هذا

الكتاب، و كيفية إجبار كافة طلابه على شراء نسخ الكتاب، الذي يباع بثلاثة أضعاف الثمن الذي يستحقه، سواء على رصيد الطباعة او المحتوى.

وكانت النتيجة خروج الجامعات المصريه من تصنيف أفضل ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم، بينما هنالك جامعات عربية و اسرائيلية في القائمة، و لم يعد هنالك رسائل ماجستير او دكتوراه تفيد البحث العلمي او حتى تأتى بجديد، كما ان الجامعة و السلك الدراسي نفسه اصبح عبارة عن استنزاف للموارد المادية لاهل الطالب و كنز دفين عثر عليه المدرس سواء كان استاذاً بالمدرسة او الجامعة.

ولايوجد اهم من الاختراق الامريكي للمراكز البحثية في مصر [٧]، فأصبحت تلك المراكز البحثية منتشرة بطول الوطن و عرضه، لا تفعل شئ الا إخراج دراسات بحثية تؤيد النظريات الامريكية و الاسرائيلية والصهيونية حول المجتمع المصري.

وختاماً، كان لهذه المتغيرات السياسية والفكرية والدينية تأثير مخيف على المجتمع والاقتصاد والفن والرياضية والثقافة والرياضة في مصر، كما سنرى في الجزء الثانى من هذه الدراسة بعنوان "من يعبث بالمصريين". والذى يصدر خلال الفترة المقبلة.

(1) اهتم الكاتب الصحفي خالد البلشي (رئيس تحرير جريدة البديل سابقاً) بهذا الامر، و نشر اكثر من تحقيق في هذه النقطة ابرزهم بجريدة الدستور بتاريخ ٥ ابريل ٢٠٠٦ ، هذا نص المقال:
السؤال الذى يطاردنى .. وايه يعنى أسهم شركة نجل الرئيس القابظة زادت أكثر من ٥٥ ضعفا خلال أقل من عامين بعد انضمامه لعضوية إحدى الشركات التابعة لها ؟ وهل هذا كاف للقول بأن ابن الرئيس يتم مجاملته أو يستغل نفوذه فى الحكومة لكى تحصل شركته على امتيازات خاصة ؟ لكن اجابة السؤال جاءتنى من خلال أوراق هيرمس القابضة وهيرمس للاستثمار المباشر والتى كشفت ان شكرة نجل الرئيس (التابعة) وقعت مع الحكومة ممثلة فى مركز تحديث الصناعه وبرعاية وزيرين من لجنه السياسات هما محمود محى الدين وزير الاستثمار ويوسف بطرس غالى وزير المالية اتفاقا قيمته ١٥٠ مليون دولار هذا بخلاف ما كشفته اوراق هيرمس القابضه والمجموعه الماليه التى يعمل جمال مبارك عضواً بمجلس ادارتها علاقه من النوع الأكثر عمقا النافذه فى بدن - مشوها بدن - المواطن والمواطنين .
فقد جاء خطاب وجهته الشركة القابضة إلى اداره الافصاح ببرصتى القاهرة والاسكندريه بتاريخ ٦ مارس الماضى ليكشف ان العلاقه بين شركه نجل الرئيس والحكومه سمن على عسل وان الامور تدار بينهما على طريقة زيتنا فى دقيقنا ... حيث كشف الخطاب الذى جاء ممهوراً بتوقيع الاستاذه نيرمين امين مسؤل علاقات المستثمرين حول إنجازات الشركه خلال العام الماضى عن حجم لامتيازات التى حصلت عليها من الحكومه مشيره الى ان (قسم الترويج وتغطيه الاكتتاب بالشركة نفذ ٨٠% من عمليات السوق فى مصر) واوضح الخطاب العمليات التى نفذتها الشركه مشيره الى ان السبب فى كل هذا الاستحواذ على السوق يعود الى نجاح المؤسسه - هيرمس - فى استكمال العديد من العمليات الكبرى خلال ٢٠٠٥ سواء فى مجال الخصخصه او عمليات الدمج والحيازة او توسيع قاعدة الملكية وهو اعتراف من الشركه نفسها ودورها الكبير والامتيازات التى تحصل عليها فى عمليه الخصخصه ورغم ذلك فان هذا لم يمنع السيد الوريث وتابعيه من مهاجمة من

يقولون ان الشركه حصلت على امتيازات خاصه فى بيع القطاع العام واتهامهم انهم مغرضون .
ويكشف الخطاب فى مواقع متعدده منه حجم الاستفادة التى عادت على الشركة من خلال حصولها على هذه الامتيازات بفضل بركات قربها من الحكومه ففى جزء اخر من الخطاب نجد مزيداً من الاعترافات " وقد ساعدتنا حصتنا الكبيره - خالى بالكم من حصتنا - فى الطروحات العامه والاصدارات على تعزيز حق الامتياز وتوسيع قاعدة عملياتنا وقد اتضح ذلك بصفة خاصة اثناء خصخصة الشركات المصريه للاتصالات حيث فتحنا الفى حساب جديد فى ثلاثه ايام " والمعروف أن قيمه العمليه التى حصلت عليها الشركة تبلغ ٩٠٠ الف دولار امريكى طبقاً لنفس الخطاب بل ان الخطاب يكشف فى موضع اخر منه حجم الفائده التى عادت على الشركة من خلال اختيارها لإتمام مثل هذه العمليات مشيراً الى ان " حساب مؤشر هيرمس المالى ارتفع من ٦٦ مليون جنيه خلال الربيع الاول من عام ٢٠٠٤ - وهو الوقت الذى انضم فيه جمال مبارك للشركة حسب تصريحاته ليتجاوز حاجز المليار جنيه بعد قيد الشركة المصريه للاتصالات فى ١٤ ديسمبر ٢٠٠٥ "
ولم تكن الشركة المصريه للاتصالات فقط بل ان الشركة فازت بالعديد من عمليات خصخصه وطرح اسهم القطاع العام للتداول فى البورصه ورغم اعتراف الشركة بحصتها الكبيرة فإن الوريث وتابعيه شككوا فى الأمر وارجعوا حصولها على بعض هذه العمليات الى انها استطاعت ان تجمع عشرات من الكوادر الفنيه ذات الكفاءة العاليه من مختلف المؤسسات الماليه الدوليه حتى بلغ حجم ما لديها من قدرات بشريه ٤٢٠ فردا يشكلون الجانب الاساسى من ثروتها فهل هؤلاء ال٤٢٠ فرد سبب كافى من وجه نظر الوريث وتابعيه لزياده رأس مال الشركة فى اقل من شهر هو شهر يناير الماضى من ١٢ مليار جنيه الى ٢٢ مليار وقت الصعود المريب الذى شهدته اسهمها ؟ واذا كانوا كذلك لماذا لم يستعن بهم الوريث فى نجدة الاقتصاد المصرى من ورطته ولماذا تركتهم المؤسسات المنافسه ولم تسع لاجتذابهم مره اخرى ؟ أم ان الجميع يدرك ان وراء ما حدث اسباب اخرى ؟ مجرد سؤال

ولايقف ماكشفه خطاب الشركة من حقائق حول طبيعه العلاقه بينها وبين الحكومه عند هذا الحد بل ان الخطاب كشف في اطار عرضه للانجازات التي حققها مجلس الاداره الحالي ،عن شكل العلاقه المتشابكه بين هيرمس للأستثمار المباشر التي يعمل جمال مبارك عضواً مجلس ادارتها والشركه القابضة - التي قال وقال تابعوه انه ليس له علاقه مباشره او غير مباشره بها - ووزراء لجنة السياسات بالحكومه الذين يعملون تحت يديه ويأتمرون بأوامره .. حيث اشار الخطاب الى ان مجموعه صناديق الاستثمار المباشر للشركه القابضه - والتي ليس لجمال مبارك اى علاقه مباشره او غير مباشره بها كما قالو- نجحت في انشاء صندوق جديد بقيمه اجماليه تبلغ ١٥٥ مليون دولار وهو (حورس٢) لترتفع الأصول المداره للشركة القابضة طبقاً للخطاب واعلان ميزانيتها من خلال صناديق الاستثمار المباشرة الى ٥٠٠ مليون دولار امريكي ؟

ولكن يبقى السؤال ما علاقه ذلك بشركه جمال مبارك ونفوذها في الحكومه ؟.. بالعوده الى موقع وزاره التجاره الخارجيه والصناعه ونشرتها نصف الشهريه الصادر في ٣١ يناير الماضي تظهر العلاقه بوضوح حيث يكشف الموقع أن صندوق (حورس٢) الذى يشير اليه الخطاب تم انشائه بالتعاون بين مركز تحديث الصناعه وشركة هيرمس للاستثمار المباشر التي اعلن جمال مبارك انه يعمل عضوا في مجلس ادارتها والمفارقه ان الذى حضر التوقيع ممثلاً عن الشركه كان السيد ياسر الملواني رئيس مجلس اداره الشركة الام هيرمس القابضه والعضو المتندب لها ، اما الذى حضر من الجانب الحكومي فكان وزيرا الماليه والاستثمار(العضوان في لجنه السياسات) وعدد من رؤساء البنوك والمستثمرين .. و طبقاً للاتفاقيه فقد حصلت شركة جمال مبارك - حد يرد علينا - على امتيازات بقيمه ١٥٠ مليون دولار.. فهل تأكدتم ان كل شيء تمام وان زيت الحكومه في دقيق شركه جمال مبارك ؟ وهل مازال السيد الوريث وتابعوه مصرين على انه ليس له علاقه مباشرة او غير مباشرة بهيرمس القابضة او انها لم تستفد من وجود مثل هذه العلاقات ؟ الحكم في ايديكم

،،،، اضافة الي مقال اخر بتاريخ ٥ ابريل ٢٠٠٦:

ربما لم أكن ساصل إلى منصبي بالحزب الوطني لو لم اكن ابن الرئيس هكذا اعترف جمال مبارك في حواره (المعجزه) مع لميس الحديدي خلال الاسبوع الماضي بانه لم يكن ليصل الى ما وصل اليه في الحزب والدوله – وهو امر لو تعلمون عظيم وخطير علينا بالطبع - لولا انه ابن السيد الرئيس الذي مكث على قلوبنا ما يقرب من ربع قرن تجرعنا خلاله كل الوان الفقر والقهر والذل والفساد والخنوع .. وهو اعتراف يشي في حد ذاته بطبيعه هذا النظام الذي يحكمنا وطبيعه واليات الصعود داخله القائمه على الواسطه والمحسوبيه والمجاملات العائليه فما بالكم لو كان (المحروس) هو ابن الرئيس ..

لكن السيد جمال ابن الرئيس وفي مفارقه غريبه اصر على نفي اى علاقه بين (بيزنسه) الخاص وبين موقع السيد والده ولا الصعود الذي وصل اليه لانه ابنه .. كما اصر على نفي اى علاقه بين كل ذلك وبين الاستثمارات التي تنهال على كل موقع يشغله لدرجه جعلت (الناشفه في ايده خضره) مشيرا الى انه لاتوجد علاقه بين عمله واستثماراته (الشفافه) وبين منصبه الذي وصل اليه والذي اصبح من خلاله واليا على كل من يديرون عجله الاستثمار في مصر بكل ماتشهده من فساد ومحسوبيه واهدار لاموال البلاد والعباد .. وهو النفي الذي لم يقدم السيد ابن الرئيس اى دليل على صحته .فما بال هؤلاء الذين فتحوا امامه ابواب مصر على مصراعيها ليقعد على تلها خليفه للسيد والده – رغم إصرار سيادته على نفي ذلك فهل سيستكثرون عليه بعض مئات الملايين أو حتى المليارات وهم يعلمون أن الجمل بما حمل وان مصر بكل خيراتها وثرواتها ستؤول اليه خالصه مخلصه غدا على الاقل لو شاور عقله وقرر الرجوع عما صرح به . وهى عاده ليس بغريبه على سعاده الرئيس ونظامه.. وقانونا الغاء الحبس في قضايا النشر والسلطه القضائيه ليسا بعيدين .

هذا المنطق المغلوط ومحاوله الاستخفاف بالعقول كان هو المنطق الذي أدار به السيد ابن الرئيس أجزاء كبيره من حديثه مع مديره حمله والده الدعائيه دون ان يتوقف امام الدلالات الحقيقيه لما يقوله، باعتبار أن احد لم يراجعه فيما يقوله خاصه فيما يتعلق بردوه على ما طرحناه حول دور الشركه التي يعمل عضوا بمجلس ادارتها في خراب بيوت

صغار المستثمرين فى البورصه وطبيعه استثماراته داخلها ..وهو الرد الذى جاء تكرارا لما نشرته إحدى الصحف اليوميه فى نفس اليوم فى مصادفه غريبه طبعا ليس لها علاقه بسطوة ابن الرئيس ولا بدوره ولا بان أمانه السياسات التى يرأسها كانت هى التى قامت باختيار هؤلاء الذين قاموا بالرد والذين جعلونا نترحم على سواد أيام من سبقوهم

ففى رده حول ما طرحناه من حقائق وعلامات استفهام حول علاقة الشركة التى يعمل عضوا بمجلس إدارتها والانهيار الذى لحق بالبورصة المصرية قال السيد نجل الرئيس .إن الشركة التى أقحم اسمها- خلو بالكم من أقحم دى- فى أزمة البورصة ليست هى الشركه التى يعمل بها وان شركته لا علاقه لها بالبورصه وهو نفس الكلام التى نشرته احدى الصحف اليوميه وزادت عليه بان جمال مبارك ليس له علاقة مباشره أو غير مباشره بالشركة التى قيل أنها وراء الانهيار ..وهو نفس منطق النفى الذى مارسه جمال مبارك حول وجود علاقة بين استثماراته الخاصة وبين موقعه فى الحزب وكونه نجل الرئيس فطبقا لأوراق سوق المال فان الشركة المقيدة بالبورصة والتى نفى جمال وسدنته اى علاقة له بها هى .

(المجموعة المالية هيرمس القابضة) بينما كان السيد الوريث نفسه قد أعلن انه يعمل عضوا بمجلس إدارة المجموعة الماليه هيرمس للاستثمار المباشر .. ورغم أن اى إنسان درس ألف باء اقتصاد سيدرك أن هيرمس للاستثمار المباشر لابد ان تكون تابعه او جزءا من هيرمس القابضة وان اى استثمارا ت تقوم بها أو تخصها الحكومة بها خاصة لو كان نجل الرئيس عضوا بمجلس إدارتها فإنها تعود بالنفع على الشركة القابضة وأسعار أسهمها .وفى المقابل فان اى زيادة فى سعر أسهم الشركة الأم و اى أرباح تجنيها من خلال المضاربات لابد وان ينعكس على الشركه الصغرى .إلا اننى باعتباري ميالا لتصديق كلام المسئولين فى بلدنا رغم أن اغلبه بيطلع عليه النهار يسيح فاننى كنت ميالا لتصديق كلام نجل الرئيس عن عدم وجود اى علاقة له بما يجرى فى البورصة وان الأمر لا يعدو كونه تشابه أسماء و أيه يعنى دي هيرمس ودي هيرمس ودى مجموعه ماليه ودى مجموعه ماليه .بل اننى كنت مستعدا لتصديق ان العلاقات الغريبة والكثيرة بين

الشركة التى يعمل بها وبين الحكومه مجرد مصادفه وتشابه أسماء أيضا على الرغم من ان كل المؤشرات كانت تشير الى ان الصعود الغريب لسهم الشركة الأم (هيرمس القابضه) بدا بعد التحاق جمال مبارك بالشركة البنت (هيرمس للاستثمار المباشر)

فطبقا لحديث جمال مبارك مع روزا ليوسف فانه التحق بالعمل فى الشركة البنت منذ عامين ..وبالعودة الى اوراق وجداول البورصه المصريه سنجد أن سعر سهم الشركة الأم وقتها(القابضة) لم يكن يتجاوز ٨ جنيهات و١٢ قرشا بزيادة ثلاثة جنيهات خلال خمس سنوات ..ولكن المصادفة أيضا جعلت سعر السهم يرتفع خلال العامين الذين التحق فيهما نجل الرئيس بالشركة التابعة من ٨جنيهات الى ما يقرب من ٢٨٥جنيها قبل الانهيار الأخير للبورصة بزيادة تقترب من ٢٧٥ جنيها تمثل ٥٥ ضعفا من سعر الاكتتاب عليها تفتكروا دي مصادفه برضه؟!

عموما فلاننى لست ايضا ميالا لنظريه المؤامره التى تقول ان السيد الوريث نجل الرئيس ربما يكون حريصا على ان يظل بعيدا عن منطقه العبث الكبرى ولذلك فانه اختار الشركة الصغرى للعمل فيها وفى النهاية فان الفائدة واحده والجيب واحد.. فاننى كنت ميالا لتصديق تأكيدات الوريث وتابعيه - شفتوا اكتر من كده حسن نيه - وانه لا علاقة مباشره أو غير مباشره بينه وبين الشركة على حد قوله .لولا أن قامت الشركة القابضة بنشر ميزانيتها بينما وصلنى فى الوقت نفسه خطاب موجه من الشركة الأم (هيرمس القابضة) الى البورصة تعدد فيه انجازاتها لاكتشف أن سوء الظن فى بعد الحالات يكون من حسن الفطن وانه طلعت فيه علاقة بين الشركتين (شوفتوا المفاجأه) فطبقا للجداول المعلنة فى الميزانية المنشورة للشركة فان المجموعة المالية هيرمس للاستثمار المباشر هى جزء لا يتجزأ من المجموعة المالية هيرمس القابضة وان الشركة الكبرى تستحوذ على أكثر من ٦٥% من أسهم الشركة الصغرى ..والتى جاء إعلان الميزانية لدعوه المساهمين فيها للحصول على أرباحهم واعتماد ميزانيه العام الماضى ..هذا بخلاف ما ورد فى الخطاب والذى ننشره على نفس الصفحه .

وبعيدا عن محاوله الوريث وتابعيه نفى اى علاقة بينه وبين الشركه التى خربت بيوت المضاربين الصغار وهو النفى الذى كذبته أوراق الشركة نفسها فان جانبا كبيرا من رد الوريث وتابعيه جاء للرد على ما أثرناه من أن ما حدث من انهيار فى البورصة المصرية ربما جاء للتغطية على الانهيار الكبير الذى شهدته أسهم هيرمس قبلها بيوم واحد والذى وصل لأكثر من ٥١% من قيمه السهم ليهبط رأسمال الشركة أكثر من ٨ مليارات جنيه فى يوم واحد دون أن يتدخل احد، بما يشي بان هناك مؤامرة تعرض لها صغار المضاربين خاصة أن إدارة البورصة تدخلت فى اليوم التالى مع هبوط البورصة بأقل من ٢٠% لوقف التعاملات على الأسهم التى تعرضت لهذا الهبوط حسب القواعد المعمول بها وكان سؤالنا الاساسى من المستفيد من هذا الوضع؟!

وسارع سدنه السيد الوريث بالرد على ذلك وهو مايطرح تساؤلات حول أسباب ذلك اذا كان الوريث ليس له علاقه بما يحدث وأشاروا الى أن السبب فى ذلك لم يكن لعبه كما اشرنا وإنما نتاج لتجزئه سهم الشركه الى ثلاثة أسهم وهو ما أدى إلى انخفاض سعر السهم لكن انهيار البورصة جاء لعوامل أخرى فى محاوله للإيحاء بعدم مصداقية ما طرحناه وان شبهه التلاعب بالبورصة غير قائمه ..لكن من قالوا ذلك نسوا أن الأسهم الجديدة التى تم طرحها لم يكن قد بدا الاكتتاب عليها وان التداول بالبورصة كان يجرى على نفس عدد الأسهم والذى يبلغ ٩٧الف سهم وقت هبوط البورصة كما أن إعلان الشركة عن طرح ١٩٤الف سهم جديد للاكتتاب لم يكن قد دخل حيز التنفيذ حتى وقتها ، وهو ما يدحض كل الكلام حول أن هذا هو السبب فى انهيار سعر السهم والأكثر من ذلك أن من قدموا هذه المبررات تجاهلوا ما ورد فى تقريرنا حول هذه النقطة والذى توقعنا فيه انهيار آخر بالبورصة مع انتهاء الاكتتاب على الأسهم الجديدة فى ١٨ ابريل القادم فهل أوجعهم التقرير وما ورد فيه من حقائق لحد تزييف الحقائق وتلبيسها بالباطل..لدرجه تقديم مبررات وهميه حول السر الذى يدفع شركه لطرح أسهم جديدة للاكتتاب بأقل من نصف السعر الذى يجرى المضاربة به على أسهمها ونقصد هنا الستة عشر ألف سهم الذين طرحتهم الشركه للاكتتاب قبل الانهيار بسعر ١١٥ جنيها بينما كان

سعر سهمها وقت الإعلان عن ذلك يتجاوز ٢٧٠ جنيها وبررت ذلك بان هذا هو السعر العادل للسهم ؟
اى أن الشركة كانت تعرف أنها تضحك على المضاربين عندها (ضحكت عليكم).
بقيت نقطه اخيره وهى ان السيد الوريث نجل الرئيس وتابعيه فى محاوله للتشكيك فى الحقائق التى أوردناها لجئوا الى لعبه خايبه وهى دفع احد المصادر لتكذيب ما قاله حيث أشاروا الى أن السيدة عنايات النجار خبيرة أسواق المال التى استعنا برأيها قالت لهم ان ما نشر على لسانها غير صحيح واننا نسبنا لها كلاما لم تقله . رغم أن كلام السيده النجار التى نجلها لم يزد على فقرتين خلال التحقيق كله ولم يكن له اى علاقه بالحقائق التى وردت بالموضوع وانما جاء فى سياق تعليقها على ما حدث يوم الثلاثاء الأسود حيث قالت فى إحدى الفقرات أن الصعود اللا منطقى يعقبه تراجع لا منطقى .وفى فقره ثانيه اكدت ان الكبار فى البورصه لا يخسرون الا اذا كانوا اغبياء وانما الذين يخسرون هم الصغار الذين يعملون بعقليه المغامر..وفقره ثالثه وصفت فيها حال البورصه المصريه وقالت انها تحتاج الى مهنه (صانع السوق) بعد ان تحولت الى سويقه فى ظل غياب الوعى الاستثماري لدى٩٠% من المتعاملين بالبورصه وهو كلام كان يمكن حذفه كاملا دون ان يؤثر على الموضوع وهو ما يطرح تساؤلات حول أسباب اعتراضها وما لم تقله فى هذا الكلام حتى نحذفه دون أن نخل بالحقائق التى أوردناها ولكن يبدو ان السيدة الجليلة تم استدراجها للرد علينا بعد إيهامها بأننا حملناها كلاما لم تقله ..فيا سيدتى لسنا نحن الذين نشوه الكلام ونغيره ولوعدت الى النص المكتوب نقلا عنك لما كنت فى حاجه لتبرير موقفك ولكانت حجتك أقوى فانا لست مستعدا لتوريط مصدر فى كلام بهذه الحساسية طالما لم يقله خاصة لو كان خائفا على أكثر من نفسى وأنت تعرفين ما اقصد .
،،، المقال الثالث و الاخير لنفس الكاتب و نفس الجريدة بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٦:
" في الوقت الحالي..و مع انشغالي الكبير و تحديداً في العامين الماضيين، فإنني أباشر عملي المهني من خلال عضويتي في مجلس

إدارة شركة خاصة بإدارة صناديق الاستثمار المباشر، و هي شركة " المجموعة المالية هيرمس لاستثمار المباشر " و هي شركة لها طاقم فني متميز، كانت كلمات السيد جمال مبارك السابقة و التي أدلى بها في حديثه إلى " روزا ليوسف " يوم ٢٥ يناير الماضي، تنساب إلى أذني و عقلي و أنا أشاهد صغار المستثمرين بالبورصة المصرية يتساقطون من حولي أثناء متابعتي لأزمة يوم الثلاثاء الأسود في البورصة المصرية ١٤ مارس..

كانت التصريحات السابقة للوريث الذي يجري إعداد المسرح له حالياً قد جاء في إطار رده علي التساؤلات التي طرحت حول استثماراته وطبيعتها في محاولة للإيحاء بكذب هذه التساؤلات لكن جمال مبارك وهو يرد علي هذ التساؤلات أثناء إجراء الحوار في منتصف يناير الماضي لم يكن يدرك أن ردوده نفسها ربما تتحول بعد أقل من شهر ونصف الشهر إلي دلائل جديدة تثير تساؤلات جديدة حول طبيعة أعماله واستثماراته ليس فقط بسبب العلاقات النافذة بين الشركة التي قال إنه يشرف بعضويةمجلس إدارتها والحكومة المصرية والتي فتحت أمامها باب هائل من التعاملات مع الحكومة من خلال ووزراء يرأسهم جمال مبارك بحكم منصبه في الحزب الوطني وبحكم قربه للرئيس وبحكم ما يحاول أن يكونه غدا ، ولكن أيضاً لأن هذه التصريحات كانت تأتي بينما مؤشر البورصة يشير إلي تصاعد غير مبرر وغير معروف الأسباب لسهم الشركة التي قال جمال مبارك أنه عضو بمجلس إدارتها ، وكان السؤال الذي يدور بذهني يوم الثلاثاء الأسود هو طبيعة ذلك الطاقم الفني المتميز الذي يدير الشركة كما قال جمال مبارك وطبيعة تميزه وما علاقته بالانهيار الحادث في البورصة المصرية والبيوت التي لحق بها الخراب ، خاصة أن انهيار سهم هيرمس بعد صعوده غير المبرر وقت حديث جمال مبارك كان هو فاتحة الانهيار في البورصة بشكل عام إن لم يكن أحد الأسباب الرئيسية لذلك.

وبينما كان أحد الذين تم خراب بيوتهم يحكي لي مأساته مع سهم هيرمس بالذات كانت بقية تصريحات جمال مبارك عن كفاءة الشركة وكفاءة فنييها تتداخل مع حديثه.حكى المواطن "المخروب بيته" كيف

خسر كل ما يملكه وهو يضارب علي سهم هيرمس .. وحكى كيف جميع تحويشة عمره التي بلغت (٣٠٠ ألف جنيه) وأتى للبورصة بعد أن سمع التصريحات الحكومية حول انتعاشها ، وأنه اختار سهم شركة هيرمس بعد أن شهد صعوده المستمر ، خاصة أن الشركة هي شركة نجل الرئيس ، التي يعمل بها يعني - مشوها يعمل بها - ، وأنها هي التي تستحوذ علي أغلب عمليات وصفقات بيع شركات القطاع العام في البورصة في تصرف مخالف لكل القواعد والأعراف المعمول بها في أسواق المال العالمية ولا يبرره إلا أنها شركة السيد الوريث - التي يعمل بها أوعوا تنسوا - حيث تؤكد د. عنايات التجار الاستشاري في البورصة وصاحبة كتاب دليل المتعاملين في البورصة والذي كان باكورة إصدارات المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، أن فكرة احتكار إحدى الشركات للتعامل في مجال معين هي ضد فكرة السوق من الأساس ، فسوق أوراق مالية يعني عدداً كبيراً في كل شئ عدداً كبيراً من المنافسين ، عدداً كبيراً من البائعين ، عدداً كبيراً من المشترين ، وهذا هو قانون السوق ، أما الاحتكار أو انفراد إحدى الشركات بقطاع معين فغير موجود ولا يجب أن يكون موجوداً.

عموماً فهذا المضارب اشتري سهم هيرمس في ذروة صعوده وقبل أن يبدأ انهياره المروع بأيام قلائل - وبعد حديث جمال مبارك بأيام قلائل أيضاً - ودفع في السهم ٢٨٠ جنيهاً ليخسر كل ثروته في أقل من شهر ونصف الشهر بعد أن أنهار سعر السهم يوم الثلاثاء الأسود عندما قابلته إلي أقل من ٣٣ جنيهاً . وهكذا تحولت تحويشة العمر ومكافأة نهاية الخدمة بقدرة رجال هيرمس وكفاءة طاقمها المتميز وبركات الوريث من ٣٠٠ ألف جنيه إلي أقل من ٤٠ ألف جنيه ، كان الرجل يواصل حكايته ، بينما تنساب الدموع من عينيه علي عمره الذي أفناه وعلي مستقبل أبنائه الذي أصبح مجهولاً ليسقط بعد أقل من خمس دقائق من حديثي معه مغشياً عليه ضمن عدد كبير من الذين سقطوا في هذا اليوم ندماً وحسرة ، لم يكن هذا لرجل وحيداً وأنما نموذجاً لآلاف المضارين على سهم الشركة والتي كانت التصريحات الحكومية في محاولة لتبرير استئثارها بالعديد من الصفقات الحكومية تقول : إنها

قائد البورصة وكانت الأرقام تشير إلي أنها تتحكم فيما يقرب من ٢٥% من قيمة البورصة.

بينما كنت أتابع هذه المشاهد محاولاً تصور حجم الكارثة ، كنت أتذكر بقية رد السيد جمال مبارك والذي أكد فيه أن رأسمال هذه الشركات حتي يتفهم غير المتخصص - وكأن السيد الوريث يقصد هؤلاء الذين تم خراب بيوتهم - يتمثل أساساً في الفنيين العاملين بها الذين اكتسبوا خبرة كبيرة في مجالات مماثلة ، وبالتالي فإن هذه الشركات لا تحتاج لرأسمال نقدي كبير لأنها تدير محافظ وصناديق استثمارية.

لكن المفارقة أن كلامه جاء في وقت كانت المضاربة علي أسهم الشركة في ذروتها وكأنه إعلان عنها ودعوة لصغار المستثمرين - الذين اتخربت بيوتهم فيما بعد - للمضاربة علي أسهمها وقبل الانهيار الذي شهدته بأيام معدودة ، وهو الانهيار الذي وصفه خبراء البورصات والاقتصاد في العالم بأنه انهيار تصحيحي وأكده لي عدد من خبراء الاستثمار في مصر مثل د. عنايات النجار ود. جودة عبد الخالق ود. حمدي عبد العظيم وغيرهم ، مؤكدين أن (الصعود اللامنطقي يعقبه تراجع لا منطقي).

كل ذلك دفعني للبحث عن قيمة هذه الشركة وقيمة فنييها وطبيعة الأعراف والقواعد التي تحكمها - كما أعلن السيد جمال مبارك - لاكتشف العديد من المفارقات تطرح تساؤلات أكبر حول علاقة هذه الشركة بالانهيار الأخير وتثير تساؤلات أكثر حول أعرافها؟ وهل من بين هذه الأعراف المضاربات الوهمية طبقا لما قاله لي بعض المضارين يوم الثلاثاء الأسود؟ وهو مجرد سؤال ينبغي التوقف أمامه لكشف الحقائق حول ما حدث ويحدث في البورصة المصرية؟ خاصة أن انهيار البورصة سبقه بيوم واحد انهيار غريب في سهم هيرمس ، حيث كانت بداية التداول علي سهم هيرمس يوم الاثنين السابق مباشرة للانهيار أو سعر الفتح ١٢٨ جنيهاً ونصف الجنيه لينخفض إلي أقل من ٤٥ جنيهاً مع إغلاق التداول في اليوم نفسه بانخفاض يصل إلي أكثر من ٦٠% من قيمة أسهم الشركة ، وهكذا انخفضت قيمة رأسمال الشركة القائدة للبورصة كما كانوا يطلقون عليها - مما يقرب من ١٣ مليار جنيه إلي أكثر قليلاً من ٤ مليارات جنيه بخسارة تزيد علي ٨

مليارات جنيه في أقل من يوم واحد تحملها صغار المستثمرين وحدهم ، أما الكبار فهم في جميع الأحوال رابحون أو بالتعبير البلدي (طالع واكل نازل واكل) وهذا في الظروف العادية فما بالك لو صحت الأقاويل حول تورطهم في مضاربات وهمية ، وحول ذلك يقول كل من دكتور جودة عبد الخالق أستاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية و خبيرة البورصة د. عنايات النجار "الكبير لا يخسر إلا إذا كان غبياً .. هو عارف بيعمل إيه لكن الصغار يعملون بعقلية المقامر في ظل غياب الوعي الاستثماري.

والاعتماد علي نظرية قالوا لي ولذلك فهم أول من يدفعون الثمن".

لكن غياب الوعي الاستثماري ليس وحده سبباً كافياً لتبرير ما حدث ، فأين دور إدارة البورصة والقائمون عليها مما يحدث ، ولماذا لم تسارع إدارة البورصة بتنفيذ قواعد المضاربة و إيقاف التعامل علي سهم هيرمس رغم انخفاضه بهذه النسبة الكبيرة يوم الاثنين السابق للهبوط الكبير بها، كما فعلت في اليوم التالي مع أسهم الشركات التي هبطت بنسب تزيد علي ٢٠% وهو مجرد سؤال تتبعه أسئلة متعددة ، خاصة أن البعض يشير إلي أن انهيار سهم هيرمس كان مقدمة لانهيار البورصة ويلمح آخرون أن الانهيار الذي حدث في اليوم التالي كان محاولة للتغطية علي ما حدث في أسهم هيرمس ، ولعل السؤال الأهم أين كانت إدارة البورصة من الصعود غير المبرر لسهم الشركة؟

ولماذا لم تسع للتحقق من الشائعات التي انتشرت عن وجود مضاربات وهمية علي سعر السهم من خلال تتبع تحويلات البيع والشراء علي السهم خاصة في العمليات الكبيرة؟ وإذا كانت تحققت فلماذا لا يتم إعلان نتائج ذلك؟

كلها أسئلة وإجاباتها في يد المتخصصين والمسئولين عن البورصة.

ولعل نظرة سريعة علي مؤشرات صعود سهم هيرمس وحركة البيع والشراء عليه من خلال بيانات البورصة المصرية والرسوم البيانية حوله خلال السنوات الثلاث الأخيرة تكون مؤشراً علي ما جري ويجري حول السهم بل في البورصة المصرية كلها ، فطبقاً لبيانات البورصة المصرية فإن سعر سهم هيرمس قبل ثلاث سنوات وبالتحديد يوم ٢٠ فبراير ٢٠٠٣ وبعد مرور أربع سنوات علي قيدها في

البورصة كان ثلاثة جنيهات و٧٧ قرشاً بتراجع ١٢٣ قرشاً عن سعر الاكتتاب عليه وهو خمسة جنيهات ، وبعد عام كامل وبالتحديد في ١٩ فبراير ٢٠٠٤ تحرك سعر السهم إلي ٨ جنيهات و١٢ قرشاً بزيادة ثلاثة جنيهات عن سعر الاكتتاب عليه قبلها بـ ٥ سنوات ، واستمر الصعود الهادئ للسهم ليصل إلي ١٧ جنيهاً و٢٢ قرشاً قبل عام من الآن وبالتحديد في ٢١ فبراير ٢٠٠٥ لتبدأ مرحلة القفزات في سعر السهم لكنها ظلت قفزات محسوبة ليصل سعر السهم إلي ٤٠ جنيهاً و٥٣ قرشاً قبل ستة شهور من الآن ، وبالتحديد في ٢١ أغسطس الماضي وبعد أقل من ثلاثة شهور ، تضاعف سعر السهم ليصل إلي ٨٣ جنيهاً و٦٢ قرشاً مع إغلاق يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٠٥ ومع نهاية العام وصل سعر السهم إلي ما يقرب من ١٣٥ جنيهاً بزيادةثمانية أضعاف عن سعر الإغلاق عليه في ٢١ فبراير ٢٠٠٥ ليرتفع رأسمال الشركة خلال عام ٢٠٠٥ فقط من " مليار و٣٣٧ مليون جنيه إلي أكثر من عشرة مليارات و٩٣٥ مليون جنيه " رغم أنها لا تمتلك أصولاً وكل أعمالها تقوم علي المضاربة في البورصة ورغم ذلك لم يتوقف أحد لتصحيح هذا الوضع المريب.

المفارقة أنه خلال أقل من شهر تضاعف رأسمال الشركة مرة أخرى ليصل إلي أكثر من ٢٢ مليار جنيه ونصف بعد أن وصل سعر السهم إلي ٢٨٠ جنيهاً قبل أن يبدأ رحلة انهياره المروع والتي لم تستغرق أيضاً سوى شهر آخر .. وهكذا فإن رأسمال الشركة خلال عام واحد زاد من مليار جنيه و٣٢٢ مليوناً إلي ٢٢ ملياراً و٥٠٠ مليون رغم عدم امتلاكها لأي أصول وكله طبعاً ببركات السادة المسئولين عن البورصة والشركة والحكومة وكمان السيد الوريث

ولأن الصعود كان غير مبرر فإن الانهيار كان محتماً وفي كل الحالات هم يجنون الأرباح وصغار المستثمرين يخسرون دماء قلبوهم .. لكن المثير أن هذا الصعود الجنوني لأسهم الشركة لم يدفع أياً من المسئولين عن البورصة لمحاولة التوقف أمامه رغم تردد العديد من الأقاويل عن عمليات تلاعب ومضاربات وهمية تقودها مجموعة من كبار شركات المضاربة وكبار المستثمرين في البورصة من خلال الدخول علي سعر إحدى الشركات بعمليات شراء وهمية يتم تسجيلها

علـي الـشاشة دون أن تحـدث علـي أرض الواقـع ليندفع صـغار المستثمرين الذين لم يعلمهم أحد كيفية التعامل مع البورصة ، خلف هذه المضاربات بعد أن يروا سعر السهم في زيادة مستمرة في محاولة لجني أكبر قدر من الأرباح دون أن يدركوا أنهم سيقعون أسري عملية نصب كبرى . وهو ما حدث في السابق مع عدد كبير من الشركات ودارت حوله الأقاويل في سهم مدينة الإنتاج الإعلامي وقت هبوطه الكبير.

وحول ذلك تقول د. عنايات النجار أن سوق الأوراق المصرية تحتاج إلي ما يسمي بمهنة صانع السوق الذي يتدخل عندما يجد صعودا أو هبوطاً غير مبرر ونتيجة لغياب هذه المهنة وعدم وجود ضوابط صارمة فإن سوق الأوراق المالية تحولت إلي سويقة في ظل غياب الوعي الاستثماري لدي ٩٠% من المتعاملين بالبورصة وفي هذا المناخ تتحول الشائعات إلي وقود يتلاعب به كبار المضاربين.

المثير أن الوقائع تشير إلي أنه مثلما تم الإعداد للصعود غير المبرر لسهم الشركة فإنه أيضاً يتم الإعداد لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من الهبوط المروع للسهم .. فبينما كان سهم الشركة يحقق أعلى تداول في البورصة المصرية وبينما وصل أعلى سعر له إلي ٢٨٥ جنيهاً فوجئ المتعاملون بالبورصة بقيام الشركة بطرح ١٦ مليون سهم جديدة للاكتتاب لتمويل عملياتها للاستحواذ علي ٢٠% من بنك "عودة" أحد أكبر البنوك اللبنانية رغم أن الشركة كانت قد استغلت دخولها في هذه الصفقة لزيادة سعر سهمها ، وكانت المفاجأة الأكبر أن الشركة بدلاً من أن تطرح الأسهم بالسعر المتداول في السوق والذي يزيد علي ٢٧٠ جنيهاً طرحته بـ ١١٥ جنيهاً معلنة أن هذا هو السعر العادل للسهم وكأن الشركة تقول للمتعاملين معها ضحكت عليكم! "وغني عن الذكر أن كبار المؤسسين يحصلون علي السهم بسعر الاكتتاب الأول الذي بدأوا استثماراتهم عليه، وهو في حالة الشركة ٥ جنيهات أي أنهم سيربحون مهما كان معدل الانخفاض ، وهو ما طرح العديد من التساؤلات حول قانونية هذه القرارات وتأثيراتها السلبية علي حركة التعامل سواء علي أسهم هيرمس أو غيرها من الأسهم ، خاصة أن هيرمس تدير نحو ٣٠% من تعاملات البورصة لمصلحة العملاء طبقاً

لما ذكرته مؤشرات البورصة المنشورة في صحيفة الأهرام وقت الطرح .. كما أن أسهمها كانت تتركز حولها ٢٥٪ من المعاملات في البورصة كمتوسط عام خلال الفترة السابقة للطرح.
الغريب أن الشركة بدأت في إعادة الكره من جديد من خلال إعدادها لطرح ما يقرب من ٢٠٠ مليون سهم جديد يبدأ التداول عليها في ١٨ أبريل القادم .. وهو موعدنا مع الأزمة القادمة.
وفي النهاية وفي محاولة لكشف الحقائق حول ما جري والإجابة عن الأسئلة المطروحة فإنني أتوجه بنداء إلي كل أصحاب الأسهم الذين أضيروا من التعاملات على سهم هيرمس أن يبعثوا إلينا بما حدث لهم في محاولة لكشف حجم الكارثة أو يتقدموا حولها ببلاغات للنائب العام إذا تحققوا من وجود تلاعبات علي السهم كما يتردد في محاولة للوقوف علي حقيقة ما يحدث بالبورصة المصرية وحتى لا يتعرض آخرون لما تعرضوا له.

(٢) تأسست المجموعة المالية - هيرميس عام ١٩٨٤، وهي بنك الاستثمار الرائد في العالم العربي. وتتخصّص المؤسسة في نشاط بنوك الاستثمار، وإدارة الأصول، والاستثمار المباشر، والسمسرة في الأوراق المالية، والأبحاث. وهي مدرجة في بورصتي لندن والقاهرة للأوراق المالية، وتتمتع الآن برأس مال سوقي يبلغ حوالى مليار دولار أمريكي.
ومن خلال مكاتبها في مصر، والإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وقطر، ولبنان، وعمان والكويت وموظفيها البالغ عددهم أكثر من ٨٧٠ موظف من أكثر من ٣٠ جنسية، تقدّم المجموعة المالية - هيرميس خدماتها لقاعدة كبيرة ومتنوعة من العملاء تمتد من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وحتى أوروبا وآسيا والولايات المتحدة.
وتضم قاعدة عملاء المجموعة المالية - هيرميس حكومات، وشركات كبرى، ومؤسسات مالية، ومستثمرين أفراد من أصحاب الثروات بالإضافة إلى عملاء التجزئة.

(٣) جريدة المصرى اليوم تاريخ العدد ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٧ عدد ١٢٩٥ عن مقالة بعنوان [الصورة التي لا يراها المصريون في زيارات مبارك المتكررة: الفشل يخيم علي توشكي] كتب علي زلط

«إذا أردت أن تقتل عملاً فأنشئ له لجنة».. إلي أي مدي يمكن لهذه العبارة أن تنطبق علي مشروع توشكي الزراعي، بعد أن أكد د. محمود أبو زيد، وزير الموارد المائية والري، في رد كتابي علي النائب محسن راضي في أول يوليو الماضي بأن «هناك لجنة وزارية عليا تقوم بدراسة موقف جدية الشركات التي حصلت علي مساحات كبيرة من المشروع القومي للتنمية الزراعية في توشكي، ومن ضمنها شركة المملكة التي يملكها الأمير السعودي الوليد بن طلال».

مرت ستة أشهر علي هذا التصريح، ولم تزد المساحة المزروعة في المائة ألف فدان التابعة لشركة المملكة، التي يملكها الملياردير السعودي الوليد بن طلال، علي ٦٠٠ فدان فقط، فيما الرمال تعصف بأكثر من ٩٩% من باقي المساحة التي اشتراها، ولم يدفع فيها أكثر من ٥٠ جنيها فقط للفدان، أما العقد الذي في حوزته فلا يلزمه بزراعة الأرض، وبات الغموض يكتنف مصير خُمس أراضي توشكي، وأجودها علي الإطلاق.

بعيدا عن الجدل الذي لا ينتهي عن جدوي المشروع، يري كثيرون ومنهم هادي فهمي، رئيس الشركة القابضة للتجارة، التي تملك إحدي شركاتها ٤٠ ألف فدان في توشكي أن «هذه الأرض هي قدرنا ومستقبل أبنائنا، ألقت الحكومة في جوف رمالها سبعة مليارات من أموال الشعب المصري، لتشق مياه ترعة الشيخ زايد بطن توشكي».

باختصار يعتقد هذا الفريق أنه لا جدوي من التراجع، وأن مميزات المشروع أوشكت أن تؤتي ثمارها، وعلي النقيض من ذلك كان اللافت للنظر الغياب التام للمستثمرين المصريين الذين كان لهم في توشكي رأي آخر.

«المصري اليوم» كانت هناك لتفتح ملف توشكي الشائك، وترصد مظاهر الحياة في بقعة نائية كانت ذات يوم حلما قوميا للمصريين، وبينما يقدم البعض روشتة لتحقيق الحلم، يطالب آخرون بالاستيقاظ علي حقيقة «أن المشروع قد فشل».

الطريق إلي توشكي طويل وشاق.. وظروف السفر تدعو للاحتياط لأي طارئ، تبدأ الرحلة من أسوان التي تبعد ٣٥٠ كيلو مترا، وهي مسافة كفيلة بإزالة أي علامات تعجب قد ترتسم علي وجه الزائر لتوشكي،

فهو يري سائقي السيارات يحملون جراكن بنزين إضافية، ومياهاً لتبريد المحركات، وينصحون باستقلال سيارات الجيب القوية.

الاستعدادات توحي بأنك مقبل علي رحلة سفاري، وليس إلي مشروع زراعي يستهدف إنشاء مجتمع عمراني جديد، والسؤال الذي يلح علي بالك، كيف ستقطع الثمار (الأورجانيك) المعالجة بالأسمدة العضوية المسافة لتصل إلي أسوان علي الأقل، ومنها لأسواق القاهرة والدلتا التي تبعد أكثر من ١٢٠٠ كيلومترا؟

بعد ساعتين من الزمن، بدأت ملامح بقعة صغيرة خضراء تكسر اللون الأصفر لرمال توشكي، مرافقنا في الرحلة، المهندس عبد القادر عبد اللطيف رئيس مجلس إدارة الشركة العقارية المصرية العاملة في توشكي، أخذ يشير إلي الجانب الأيمن من الطريق.

«مشكلة توشكي هي عدم جدية المستثمرين» هكذا قال هادي فهمي رئيس الشركة القابضة للتجارة - الذي تزامن وجوده في توشكي لدي وجودنا هناك- في إشارة لبعض رجال الأعمال الأجانب الذين اشتروا مساحات كبيرة من توشكي ولم يزرعوها حتي الآن.

هادي.. الرجل القادم من العمل في البترول اتخذ سلسلة من الإجراءات لما يقول إنه «استثمار أفضل لمشروع قومي بحجم توشكي». يردف «كثيرون يعتقدون ان توشكي قد فشل، لكنني أدعوهم لرؤيته علي أرض الواقع».

وأمام أحد حقول القمح الكبيرة التي ترويها (بيفورتات) الرش العملاقة لخص هادي الذي تمتلك شركة تنمية جنوب الوادي التابعة لرئاسته ٤٠ ألف فدان في توشكي الأسباب التي يراها مبشرة قائلاً «خفضنا المساحة المخصصة لنا من ١٢٠ الف فدان إلي ٤٠ الف فدان لتوفير تكاليف استصلاح الأرض، استلمنا الأرض في ٢٠٠٥، وكان عامل النجاح في المشروع هو إعفاء الشركات المصرية المنفذة من خطابات الضمان، وتبسيط الإجراءات الإدارية أمامها».

عند مدخل فرع (دليل ٢) تقع اراضي شركة جنوب الوادي للاستثمار وفي استقبال الزائرين وضع الموظفون عينات من إنتاج المزارع الطبيعية، الطماطم العضوية الحمراء والغنية بالعصير، وثمار الكوسة

والباذنجان الكبيرة والخالية من العيوب، كما يمكنك ان تتذوق خيارا لا تجده في اي مكان آخر في مصر، لأنه لم يعرف الكيماويات.
لكن هذه المنتجات قابعة علي جانب الطريق في الصحراء الغربية المصرية علي مسافة ٣٥٠ كيلومترا من (أسوان)، اقرب بلدة كبيرة لها، وآلاف الكيلو مترات من الأسواق الأوروبية حيث يمكن ان تباع بأعلي الأسعار في منتصف الشتاء.
مشكلة الأسواق البعيدة هذه لم تمنع فرحة العاملين في توشكي بباكورة إنتاجهم من المشروع، وطبقا للمهندس سعودي عليوة رئيس شركة جنوب الوادي فإن فدان القمح الذي يزرع للعام الثاني بصورة مجدية، «أعطي ١٦ أردباً للفدان وهي نتائج مرضية»، لكن إجمالي المساحة الجاري زراعتها حتي الآن هي ١٤ ألف فدان تتبع شركة جنوب الوادي،
إضافة لـ٦٠٠ فدان فقط تتبع شركة المملكة السعودية، في المشروع الذي يعتبر أكبر خطة ري تنفذها مصر منذ أن أحدث السد العالي في أسوان ثورة في نظام إدارة المياه القديم في الستينيات. هذه المساحة الصغيرة تعطي مؤشرا لحجم الإنجاز في «توشكي» التي تؤكد إحصاءات وزارة الري أن ما تم تنفيذه من اعمال البنية القومية والأساسية للمشروع يتيح توصيل المياه لري زمام إجمالي قدره ١٦٨ ألف فدان.
يواجه المسؤولون أقاويل فشل المشروع بعد عشر سنوات علي إطلاق الرئيس مبارك إشارة البدء في مشروع توشكي أول يناير عام ١٩٩٧، بالتأكيد علي أن التصدير هو السبيل لإنجاح توشكي، فوزير الري الدكتور محمود أبو زيد أكد أن المعايير التي وضعتها اللجنة الوزارية العليا في سياسة توزيع أراضي توشكي قامت علي تخصيص معظم المساحات لشركات ذات قدرات مالية وفنية كبيرة، تكون قادرة علي استخدام النظم التكنولوجية الحديثة، ويمكنها زيادة التصدير، وهو ما يطمح إليه هادي فهمي،
الذي يوضح «أن استكمال مصنع الفرز والتعليب والثلاجات الضخمة التي تقيمها إحدي شركات القابضة للتجارة، من شأنه أن يسهل علي المستثمرين إجراءات التصدير»، ويضيف «نطمع في إجراء عقود مع

مشترين ومستأجرين بعد انتظام رحلات طيران إلي مطار أبوسمبل علي الضفة الغربية لبحيرة ناصر»، والذي يبعد ٥٠ كيلومترا عن توشكي.
لكن حتي الآن فإن نتائج توشكي لا تتحدث سوي عن أثر محدود جدا علي حركة التصدير، وتعتمد أساسا علي العنب الذي يصدر لأوروبا جوا من مشروع رجل الأعمال السعودي الأمير الوليد بن طلال.
هذه النتائج أثارت غضب خبراء الزراعة المصريين من مشروع توشكي، فالدكتور إسماعيل عبد الجليل رئيس مركز بحوث الصحراء يصف الوضع هناك بالمؤسف، ويقول «توشكي كان فكرة جيدة، تم إدارتها بطريقة خاطئة».
الرجل الخبير في الزراعة الصحراوية يؤكد دفاعه عن اختيار المكان «فالجو بديع والتربة والمياه نظيفتان كل المنتجات الصيفية تنتج في الشتاء، ويمكن في توشكي حل مشكلات العلف اللازم لاحتياجاتنا للثروة الحيوانية، والذرة تزرع هناك ثلاث مرات في السنة».
يعتبر عبد الجليل أن توشكي من المشروعات الرائعة، وأهم مزاياه هي عودة الزراعة للجنوب، حيث مصادر المياة غير الملوثة، ومن الناحية الاستراتيجية فإن الهدف الأساسي من المشروع هو إنشاء مجتمع عمراني جديد، بعد التقارير البيئية التي تشير إلي أن ربع الدلتا مهدد بالغرق في البحر المتوسط بسبب التغيرات المناخية.
أما الميزة الأهم من وجهة نظره فهي قرب المشروع من موارد المياه، «فعند أي زيادة لحصة مصر من المياه من دول حوض النيل لا يمكن نقلها للشمال، لأن شبكة الترع في الدلتا لم يتم توسعتها منذ عهد محمد علي، فضلاً عن الميزة النسبية المناخية للمشروع التي هي من عطاء الطبيعة».
لكن الخبير الزراعي الكبير يطالب بالتوسع في زراعة محاصيل استراتيجية في توشكي بدلاً من البرسيم الحجازي الذي يستنزف مياه البحيرة، ولا يعود خيره علي المصريين، وتحاول الشركات الخليجية التوسع في زراعته لتأمين احتياجاتها من الأعلاف. ويضيف «توشكي أفضل مكان لزراعة المحاصيل الزيتية، خاصة نخيل الزيت الذي نستورد إنتاجه من أندونيسيا».

ويفجر عبد الجليل مفاجأة يعتبرها دليلاً علي تخبط الحكومة الذي قد يفضي لفشل المشروع، ويؤكد أن قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٧١ لسنة ٢٠٠٦ بإلغاء قرار إنشاء الشركة لتنمية جنوب الوادي لم ينفذ.
وحصلت «المصري اليوم» علي نص القرار الجديد، الذي يعيد حق التصرف في أراضي توشكي وإدارتها إلي وزارة الزراعة وهيئة التعمير بدلاً من وزارة الري، لكن هذا القرار لم ينفذ، ورفض مسؤولون بمكتب اللواء محمود عبد البر رئيس هيئة التعمير بوزارة الزراعة التعليق علي ذلك.
مشروع توشكي الذي أنفق فيه سبعة مليارات تائه الآن بين الوزارات والمصالح الحكومية، والعقود المقفلة لمستثمرين تملكوا مساحات شاسعة لا تزال قيد الدراسة، والرمال لا تزال تعصف بالأراضي الذهبية التي تشقها شرايين ترعة الشيخ زايد بانتظار انفراجة، أو «إعلان فشل».
(٤) نقلاً عن موقع جريدة اليوم السابع بتاريخ ٢٣ يوليو ٢٠٠٩ :
ينشر اليوم السابع تفاصيل العقد الذى بمقتضاه حصل الوليد بن طلال على ١٠٠ ألف فدان فى توشكى، وهو العقد الذى أبرمته الهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية بصفتها طرف أول، ويمثلها الدكتور محمود أبو سديرة، وهو المفوض قانونا فى التوقيع، على هذا العقد "طرف أول بائع"، وشركة المملكة للتنمية الزراعية، والمشار إليها فيما بعد بالطرف الثانى، ويمثلها فى التوقيع على العقد صاحب السمو الملكى الأمير الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود "طرف ثانى – مشترى".
ينص العقد على أن الحد الأدنى من المياه التى يضمنها الطرف الأول للطرف الثانى، والذى تم تحديده بواسطة الطرف الثانى، والمقدر بـ٧ آلاف متر مكعب سنويا لكل فدان من صافي الأراضي المزروعة والأشجار الواقية من الرياح التابعة له، ويمكن تخفيض الحد الأدنى من المياه إلى ٦ آلاف متر مكعب لكل فدان فى حالة الجفاف القصوى، حيث ينخفض منسوب بحيرة ناصر لأقل من ١٥ مترا فوق سطح البحر. ويحق للوليد تصريف مياه الرى أو أى مياه جارية فى منخفض توشكى أو أى منخفض آخر من اختياره، وستقوم الدولة بتعويضه

وحمايته وعدم تحميله أى مسئولية فيما يتعلق بجميع المطالبات أو الضرائب أو الدعاوى أو التكاليف أو الخسائر التى يمكن أن تنشأ كنتيجة لذلك. تتضمن بنود العقد أيضاً حق الوليد، بشكل غير مقيد، فى اختيار أنواع المحاصيل وتشكيلاتها المتنوعة وبرامج المحاصيل، دون موافقة رسمية مسبقة، ولن يخضع لأى قيود تتعلق بالحجر الصحى وسيكون له حق غير مقيد فى استيراد أى فصائل أو أنواع النباتات والبذور والحيوانات.

الأرض التى اختارها الوليد على أساس الخريطة المتعلقة بالتربة، ذات جودة عالية، سعر الفدان فيها بحسب العقد ٥٠ جنيها مصريا من المساحة المزمع تطويرها، والمقدرة بـ ١٠٠ ألف فدان، ٢٠% من قيمتها تدفع عند توقيع العقد، والباقى يتم سداده باتفاق الطرفين، على أن تضمن الدولة للوليد الإعفاء من رسوم النقل وأجور الشحن التى تفرضها الخطوط الجوية المصرية أو التى تفرض على الشحن فى المناطق المجاورة الأخرى فى المنطقة، كما يستطيع الحصول على الأرض الملائمة، كما هو محدد لتشييد مرافق ومنشآت العمل والتعبئة والشحن والإدارة فى مطارات أبو سمبل وأسوان والقاهرة، وفى واحد أو أكثر من الموانئ البحرية والاستخدام غير المحدود والإعفاء من الرسوم لمطار أبو سمبل، وكذلك الاستخدام المجانى لشبكة الطرق المصرية لنقل لوازم وإنتاج المشروع. كما تقوم الدولة بتعيين إدارة أو مسئول للتخليص الجمركى لواردات الوليد، ويكون له الصلاحية المباشرة فى إجراءات الجمارك وتقديم كل الموافقات المطلوبة له، بالإضافة إلى أن الأرض لن تكون خاضعة لأى أعباء حكومية أو رسوم أو ضرائب من أى نوع مثل رسوم التسجيل والتوثيق وضريبة الدمغة والضرائب العقارية وضريبة رأس المال المتعلقة بالأرض أو ملكيتها، ولن تكون خاضعة لأى أنظمة تخطيط أو إنشاء بالمنطقة فى الحاضر وفى المستقبل.

ينص العقد فى المادة الرابعة على أن الدولة مسئولة عن توفير المياه للمشروع، وبالتالى تكون ملتزمة بتشييد الفرع رقم "١" المتفرع من قناة الشيخ زايد على نفقتها، وتلتزم الدولة فى حالة الحاجة إلى ضخ

المياه إلى توفير المضخات الضرورية طبقا للمواصفات التى يحددها الوليد بن طلال.
أما أسعار المياه فقد كانت ٤ قروش لأول ٥ آلاف متر مكعب لكل فدان، والـ ١٠٠٠ متر مكعب التالية لكل فدان تقدر بـ٥ قروش، والأمتار المكعبة التالية لكل فدان ٦ قروش مصرية، ويكون الطرف الأول وهو الحكومة المصرية مسئولا عن تصميم وإنشاء الأنظمة الفرعية للقناة الممتدة من الفرع رقم "١" إلى ٥٠٠٠ فدان من المساحة الزائدة عن المنطقة المزمع تطويرها وتعميرها بواسطة شركة "الملكة"، التى يعفيها العقد من كافة الرسوم والضرائب والرسوم الجمركية ورسوم الخدمات، على أن يشمل هذا الإعفاء المقاولين الذين ينفذون المشروع، وموظفى الوليد، وفقا لأحكام القانون السارية، الذى يوضح العقد ما هو ورقمه وتاريخ إصداره، ويكون الإعفاء لمدة ٢٠ عاما تبدأ من السنة التى تلى إنتاج كل ١٠ آلاف فدان من أراضى المشروع، بما فى ذلك نظام تشغيل الرى، وكل ١٠ آلاف فدان سوف تستفيد من إعفاء ضريبى مدته ٢٠ سنة كاملة. وللوليد حق مطلق وغير مقيد فى الوصول إلى المياه من الفرع الأول والتى تغذيها ترعة الشيخ زايد على مدار ٢٤ ساعة، وعلى مدار ٣٦٥ يوما فى السنة وعدم إيقاف أو قطع المياه لأى سبب مهما يكن الأمر إلا فى حال وجود موافقة خطية مسبقة منه قبل شهرين من قطع المياه.
كما ستقوم الدولة بتوفير شبكة توزيع كهربائية لتلبية متطلبات المشروع بالكامل على نفقتها، بالتعاون مع شركة الوليد، وتمتد هذه الشبكة على طول الفرع رقم "١" وتوفير الطاقة الكافية لتشغيل المضخات اللازمة لتكثيف الضغط على أنظمة توزيع مياه الرى واستخدامها لأغراض عمرانية وصناعية، على أن تكون تكلفة الكهرباء على كل كيلو وات ساعة مساوية لأقل المعدلات المدفوعة من قبل أى من المستخدمين فى مصر، سواء مصريين أو أجانب. أيضا له الحق فى استخدام مرافق الاتصال اللاسلكى بالموقع، وكذلك تأسيس محطة أرضية "GPS " لتغطية الموقع دون أى قيود. كما ينص العقد على تزويده بنسخة من خطة الحكومة الرئيسية لتطوير جنوب الوادى بالكامل، وعلى الأخص المنطقة التى تقع بها الأرض المباعة.

يتعهد الوليد، فى المادة السابعة، بعدم استخدام الأرض فى غير الغرض المخصصة من أجله ما لم يتم الاتفاق على خلاف ذلك، على أن يلتزم بحماية أية ثروات معدنية أو بترولية أو آثار تاريخية يمكن أن توجد فى الأرض، وسيكون له حرية الوصول إلى المياه السطحية أو الجوفية واستخدامها، وتصميم وبناء وتأسيس وتشغيل وإدارة مرافق صناعية وتشغيلية على الأرض وأن يمنح جميع التراخيص والموافقات دون تأخير أو تقييد، وله الحق فى إدخال شركاء آخرين فى ملكية الشركة، ولن يكون خاضعا فى أى وقت لأى قيود تنظيمية أو إدارية فيما يتعلق بحقه فى التأجير من الباطن أو التقسيم الجزئى أو بيع الأرض فى حالة موافقة الدولة على البيع.

وفيما يتعلق بشئون العاملين، لن يتقيد الوليد سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بتحديد عدد الموظفين الأجانب الذين يعملون لديه، بما فى ذلك المديرين ومساعديهم والفنيين والإداريين وغيرهم من الموظفين، الذين يمكن توظيفهم فى أى وقت، كما سيتم منح الموظفين الأجانب تصاريح عمل غير مقيدة لمدة ثلاث سنوات أو أى وثائق أو تأشيرات أو تصاريح لازمة للعمل بصورة قانونية داخل مصر، على أن تكون صالحة للتجديد بشكل مستمر لنفس الفترة بدون قيود أو تأخير.

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

جريدة الأهالى صدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى العدد ١٣٩٣- ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٨ عن خبر بعنوان [تقرير علمي يؤكد تدهور المشروع الوليد بن طلال يستولي علي توشكي..!!] كتبت نجوان إسماعيل:

أصدر المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تقريراً حول نتائج مشروع الوادي الجديد (توشكي) وبعد مرور عشر سنوات علي عمله، جاء فيه أن موقع توشكي أشد مناطق مصر صعوبة حيث تتنوع فيه الأرض بين صخرية وطفلية، رملية وطينية مما يصعب معه الزراعة، إضافة إلي وجود بعض الاخطار المتعلقة بالرمال المتحركة التي تزحف علي الزراعة وشبكات الري، والتي أدت في بعض مناطق الوادي الجديد إلي ردم المجاري المائية.

الجدير بالذكر أن شركة المملكة للتنمية الزراعية تعقد في هذا المشروع علي الزراعة التصديرية في مقابل اعفائها من جميع أنواع الضرائب والجمارك، علي أن تصدر ٥٠% من المنتج للسوق العالمية، وفي حال انخفاض هذه النسبة يدفع المستثمر جمارك علي المنتج المحلي، ومن ثم يتم اختيار المنتج ذي العائد الأكبر الذي يحقق قيمة مالية عالية ويستخدم الميكنة أكثر من العمالة وهو ما وصفه التقرير بأن له مردوداً سيئاً علي عملية التشغيل.

وعن الصرف الصحي اضاف التقرير أن منطقة توشكي خالية تماماً من شبكات الصرف الصحي، حيث يتم الصرف في مواقع الشركة من خلال بيارات، عبارة عن حفر مبنية تحت الأرض وغير مبطنة فهي تسرب المخلفات الادمية بأنواعها في باطن الأرض، وهو ما يؤدي مع الوقت إلي تلوث التربة، وأنه علي الرغم من أن الشركة هي المسئولة عن جميع أعمال التطوير والاستصلاح في توشكي في مقابل اعفائها من جميع الجمارك والضرائب علي تصديرها لمنتج المشروع فان الشركة طلبت من الحكومة انشاء شبكة صرف صحي بالتعاون معها..!!

ارتبطت الأجور في شركة المملكة للتنمية الزراعية التي يملكها الملياردير السعودي الوليد بن طلال بنوع العمل المزاول بغض النظر عن المستوي التعليمي، ومما يؤكد هذا أن من بين من يعملون تحت مسمي «عامل فني» يتقاضون ٢٠جنيها يومياً أيضاً، أي أن التعليم لم يكن معياراً في تحديد دخل العمالة الزراعية فمعايير تحديد الأجر ترجع إلي الأهمية والحاجة إليه، اضافة إلي حجم الأعمال الموكلة للفرد، وعلي سبيل المثال أجر المهندس المسئول عن الالات والمعدات أعلي بكثير من أجر مدير المشروع نفسه..!!.. أضاف المركز في نهاية تقريره أن برامج الاصلاح الاقتصادي أدت إلي نتائج سلبية علي أسواق العمل الزراعي، حيث زادت معدلات البطالة، وانخفضت القيمة الحقيقية للأجور.

،،، نقلاً عن جريدة السوم السابع بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠٩ :

الضربات المتتالية التى وجهت مؤخرا إلى الأمير الوليد بن طلال ومشاريعه فى مصر، والتى بدأت بالحرب التى شنها عليه وزير الرى

السابق محمود أبوزيد، واتهامه بأنه أحد أهم عوامل تخريب مشروع توشكى والتى كانت السبب فى تدهور شعبية الأمير، ووضع اسمه فى قوائم المغضوب عليهم شعبيا..وعلى الرغم من أن خطايا الأمير فى توشكى لايتحملها، فحكومة الحزب الوطنى تتحمل الجزء الأكبر من هذه الخطايا، فهى التى وقعت عقد تخصيص ١٢٠ ألف فدان للوليد بن طلال فى توشكى، بقيمة ٥٠ جنيها للفدان، يتم سدادها بأقساط سنوية لم يدفع منها سوى ١٠ جنيه للفدان الواحد، وأغفل العقد المبرم بين الوليد والحكومة، أى حق للدولة فى الإشراف والرقابة أو تحصيل مقابل المياه والكهرباء والبنية التحتية، وتجاهل إثبات أى حق لوزارات الرى والزراعة والكهرباء المعنية بمشروع توشكى فى متابعة التزام الأمير بالتنفيذ، واكتفت الحكومة بتدارك الأخطاء الجسيمة فى عقد الوليد بتخصيص مائتى ألف فدان لشركتى الراجحى والظاهرة المصرية الإماراتية بعقود جديدة أضافت إليها ٣ ملاحق تضمن حق الدولة فى الإشراف، وسحب الأرض فى حال عدم الجدية، وهو ماأغضب الأمير، وجعله يهدد تارة بالانسحاب من المشروع وتارة أخرى ببيع ٥٠ ألف فدان من المشروع، ويبدو أن هذا أغضب وزير الرى السابق الذى فتح النار على الأمير، وكان نتيجة ذلك الإطاحة بأبوزيد.

ورغم انتصار الوليد بن طلال حتى الآن فى معركته مع وزير الرى، إلا أن بهذه الهجمة اهتزت صورة الأمير، وكشفت ألاعيبه، واهتزت صورته وصور هؤلاء المسؤولين أمام الرأى العام، ولم يعد أمام الوليد والمروجين له فى مصر، إلا استخدام الطريقة الأمريكية فى إعادة تصحيح صورته، ويتردد أن وراء هذه الحملة وزير فى حكومة الدكتور نظيف، مستعينا ببعض كبار المسؤولين فى الدعاية فى مصر والعالم العربى، واعتمدت خطة الوليد على تدشين أكبر حملة دعاية فى الصحف والفضائيات، هدفها إبراز الدور الاجتماعى والإنمائى الذى يقوم به الوليد من خلال مؤسساته الخيرية المتعددة.. ويبدو أن مهندسى الحملة نسوا أن الوليد لم يقدم أى مشروع خيرى فى مصر، وأن هذه المشاريع خاصة بالسعودية والإمارات ولبنان، ولم يكن لمصر أى نصيب فى مليارات الرجل، إلا إذا كان الوليد يعتقد أن الاستثمار فى توشكى هو عمل خيرى. الحقيقة أن كل هذه الأعمال لا تعد ١% من

المشاريع الخيرية التى قدمها الوليد فى أوروبا وأمريكا، وأنه لم يمول مشاريع استثمارية وإنمائية فى الوطن العربى. وما جرى الإعلان عنه، لا يعدو كونه قنابل دخانية تبقى محصورة فى، وسائل الإعلام، خطط لها بعض من ربط مصيره بمصير الوليد، لأن توجيه أى ضربة له، يعنى توجيه ضربات لهم، وسقوطه يعنى سقوطهم، فليس غريبا أن يقف وزراء من حكومة نظيف خلف حملة إعادة تلميع الرجل مرة ثانية، بهدف إعاد تسويقه شعبيا على طريقة الترويج للسلع الغذائية المضروبة.

الوليد نسى أن الأعمال الخيرية لا يحتاج لبروباجندة إعلامية، فهى ليست سمنا أو عبوات كولا أو مربى أو حلاوة طحينية، بل هى عمل خيرى يقوم به رجل الأعمال دون ضجة، إلا إذا أراد الوليد ومن وراءه إعاده تصحيح وإغراء الشعب المصرى بتلك المؤسسات الخيرية التى ليس لها وجودعلى أرض مصر، ومايروج له فى الأقطار العربية لا يعد شيئا بالمقارنة بما يقوم به من استثمارات فى الغرب، حتى وصل الأمر إلى أن يصفه أحد أعوانه السابقين بأن «اسم الوليد أصبح صنواً لكل شركة خاسرة أومتعثرة أو مفلسة فى الغرب» وبدلا من التفكير فى حملات تلميع للوليد يصرف فيها الملايين، فإنه من الضرورى أن يعترف الوليد ومن وراءه فى حكومة الدكتور نظيف، بأن مشروع توشكى تحول على يديه إلى كابوس، بعد أن كان حلما قوميا لكل المصريين.

(٥) نقلاً عن موقع جريدة اليوم السابع بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٠٩ كتبت رانيا بدوي:

علم اليوم السابع أن مجلس الوزراء فى اجتماع له قبل إجراء التعديل الوزارى الأخير، أوصى بضرورة تشكيل لجنة وزارية عاجلة تكون مسئولة عن ملف التنمية فى سيناء، وكان من بين أعضاء اللجنة الدكتور محمود أبوزيد وزير الموارد المائية والرى السابق، وتضم أيضا وزير الاستثمار محمود محيى الدين، وأمين أباظة وزير الزراعة، ومحمد منصور وزير النقل، ويوسف بطرس غالى وزير المالية، إلى جانب ممثلين من جهات أمنية. وناقش الاجتماع فكرة بيع ترعة السلام لمستثمر رئيسى أو عدد من المستثمرين.

كما أن مجلس الوزراء تعرض إلى الدراسات السابقة التى تلقاها، والتى تشير إلى عدد من المعوقات أمام استكمال حفر الترعة، وأبرزها أنها فى حاجة بعد الكيلو ٨٠ إلى مضخات رفع للمياه، لأن الأرض فى هذه المنطقة أعلى بنحو ١١٥ مترا، وأن عملية الرفع ستتكلف ما يقرب من ٥ مليارات جنيه، وهو ما دفع الحكومة إلى إرجاء المشروع ووضعه جانبا، غير أن الدكتور محمود أبو زيد وزير الموارد المائية السابق، طرح فكرة ضرورة البدء فى المشروع من جديد وإعطائه الأولوية لمواجهة الأزمات الاقتصادية، بعد أن أكد أن استكمال الترعة سيترتب عليه زراعة ١٣٥ ألف فدان، وهى أرض شديدة الخصوبة، وأمام هذا الاقتراح، جاءت فكرة بيع ما تبقى من ترعة السلام لعدد من المستثمرين لاستكمال المشروع.

وأن محمود محيى الدين أخذ تكليفا بإعداد دراسة عن بيع الترعة ووضع ضوابط البيع، وذلك بعد أن تغلبت هذه الرؤية على رؤية أخرى طرحت فى الاجتماع، وهى عدم التملك الكامل للترعة والاكتفاء بحق الانتفاع، فى حين رأت مجموعة أخرى أن فكرة الامتلاك هى الأفضل حتى يشعر المستثمر بالأمان ويقبل على الشراء، خاصة وأن المبلغ المطلوب ضخم، مستشهدين بقرار رئيس الوزراء السابق د. عاطف عبيد الذى اعتمد على مذكرة دكتور محمد الغمراوى رئيس الهيئة العامة للاستثمار السابق عام١٩٩٨ يقول فيها: إنه يحرم تمليك الأراضى فى سيناء فقط وما يمكن تقديمه للمستثمر هو حق انتفاع يتراوح ما بين٣٠ و٤٠ عاما، بعدها يعاد النظر فى مشروعه. ولكن كان المقصود آنذاك الاستثمار فى الصناعة والزراعة ولم تكن بعد فكرة بيع ترعة السلام فى خطة الحكومة.

وقال المهندس حسب الله الكفراوى وزير الإسكان الأسبق إن دراسات الجدوى الخاصة بترعة السلام الحالية ليست هى دراسات الجدوى التى أجريت فى عهده، مشير إلى أن مكان الترعة الحالي ليس كما هو فى دراسة الجدوى الأصلية.

وقال إن خطة تعمير سيناء كانت مبنية على مايسمى بـ "ترعة الإسماعيلية"، وكان المفترض لها أن تمر من تحت قناة السويس وتصل إلى القطاع الأوسط فى سيناء وتزرع ٤٠٠ ألف فدان، وأضاف

الكفراوى أن الحفر الذى تم للترعة الحالية جاء بعيدا عن المكان المحدد فى دراسات الجدوى التى تمت فى عهده، وكان سيمر بالقرب من مبنى هيئة قناة السويس.
وأرجع الكفراوى فشل الاستمرار فى ترعة السلام إلى مرورها فى منطقة سهل الطينة، والذى تصل فيه الملوحة لدرجة أعلى من ملوحة البحر الأبيض المتوسط، وتحتاج إلى خمس سنوات غسيل، وقال الكفراوى إن الحكومة كانت تعلم ذلك ومع هذا حفرت الترعة فى مكانها الحالى.
(٦) نقلا عن جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠٠٩ ، رانيا بدوي تحاور فاروق الباز:
وضعت الحرب على غزة الأخيرة الكل فى مأزق، فوصول الصواريخ الإسرائيلية إلى الحدود المصرية والمطالبة بقوات دولية على الحدود المصرية لمراقبة الأنفاق أعادت طرح السؤال القديم: إلى متى سنترك سيناء صحراء جرداء، والبدو فيها ما بين منتم للوطن وناقم عليه.. ولماذا لا نكمل حلم الرئيس السادات بتعمير سيناء، وبناء حائط صد بشرى بيننا وبين إسرائيل؟!
واستبشر المصريون خيراً عندما دفعت أحداث غزة والأزمة المالية العالمية الحكومة المصرية لإعادة النظر فى ملف سيناء وطرح أفكار تحت عنوان عام وهو «التنمية المتكاملة لشبه جزيرة سيناء» لردع الخطر الإسرائيلى من ناحية، والمساهمة فى حل الأزمة المالية بالاستثمار فى الأرض المباركة من ناحية أخرى،
ولكن الفرحة تحولت سريعاً إلى غصة عندما صرح الدكتور محمود أبوزيد، وزير الرى السابق فى حوار نشرته «المصرى اليوم»، بأن الحكومة ستطرح ما تبقى من ترعة السلام لاستثمار القطاع الخاص وهو ما أعادنا لنقطة الصفر من جديد ودفعنى لمقابلة الدكتور فاروق الباز عالم الچيولوچيا العالمى ومدير مركز دراسات الفضاء بجامعة بوسطن لفتح ملف أكبر مشروعين قوميين فى مصر «ترعة السلام» و«توشكى»،
فكانت المفاجأة الأولى أنه لم يتم استشارته فى المشروعات القومية الكبرى المرتبطة بمجال تخصصة، رغم ما وصل إليه من عالمية

واعتراف دولى بأبحاثه وعمله فى أكبر مؤسسة فضاء فى العالم «وكالة ناسا» والمفاجأة الثانية كانت الطريقة التى تدرس بها هذه المشروعات التى تكلف الدولة المليارات ويعقد عليها مستقبل الأجيال القادمة..

وردود المهندسين القائمين على تنفيذ هذه المشروعات والتى يقول عنها عالمنا فاروق الباز إنها «تخبيص وكلام فارغ».. فى حوار يكشف فيه لأول مرة كواليس دراسة «ترعة السلام» و«توشكى»:

* دكتور فاروق هل أنت راض عن مشروع ترعة السلام بوضعه الحالى؟ وهل لديك أسباب علمية لتوقف المشروع أم أنها فقط أسباب مالية كما تصرح الحكومة؟

- ترعة السلام فكرة رائدة ومبادرة طيبة كان الغرض منها توصيل مياه نهر النيل إلى سيناء، إذ كان الرئيس الراحل أنور السادات مقتنعاً بضرورة تعمير سيناء لإعاشة عدة ملايين من البشر وحل أزمة التكدس السكانى فى وادى النيل والدلتا، ولأنه كان يشعر أن خلو سيناء من الناس يشجع الغزاة والطامعين فى واجهة مصر الشرقية.

لم يتم التخطيط لـ«ترعة السلام» بناء على معرفة مستفيضة بخواص المكان والتربة المحلية، وأول مشكلة، حفر بداية الترعة فى سهل الطينة دون تغليفها..

وقد زرت المكان مع مجموعة چيولوچية وقابلنا المهندس المسؤول وأوضحنا أنه إذا لم تغلف الترعة فى هذه المنطقة فسوف تختلط مياه النيل بالمياه المالحة فى سهل الطينة الذى لا تنمو فيه نباتات وقلت للمهندس «الأرض التى نقف عليها الآن متشبعة بالمياه ومع ذلك أنظر على مدى النظر فى المساحات الشاسعة من حولك هل توجد أى نبتة خضراء، هل يوجد برعم واحد رغم وجود المياه؟ مستحيل أن ينمو الزرع لأن الملوحة زيادة عن اللزوم»..

فقال المهندس إنهم درسوا ذلك وجزموا بأن المياه الحلوة سوف تطفو فوق المياه المالحة.. فذكرنا لهم أن ذلك يتم فى وسط هادئ وبعمق كبير للمياه ولكنه لم يقتنع.. واستمر فى العمل بقناعاته التى أدت إلى توقف المشروع.

* وكيف نحل أزمة سهل الطينة؟

- ببساطة عن طريق تغليف مجرى المياه فى طول المسافة التى تسير فيها المياه بالأسمنت.

* وهل تم الأخذ برأيك فى هذا المقترح؟

- لا.

* لماذا؟

- لا أعرف.. ولاتنس أن هذه البرامج لها خطة وميزانية وتقوم شركات بتنفيذها ولو أخذ رأينا قبل إعطاء هذا العرض للشركات كان من الممكن تدارك المشكلة من البداية لكننا أحياناً نعرف بالمشروع بعد إسناده للشركات والاتفاق معها فيكون الموضوع قد انتهى.

* إذا كانت الحلول بهذه البساطة فما العقدة إذن.. ألا يملك المهندسون القائمون على هذا المشروع العلم الكافى لاكتشاف حل بسيط كهذا؟

- المهندس لا يعرف أن هذا أمر چيولوچى علمى وبالتالى لا يدرك الفارق بين لون الأرض السوداء من الصفراء، ولا يفكر لماذا لا ينبت الزرع بالرغم من أن هذا المكان مشبع بالماء.

* وأين الدراسات الخاصة بالچيولوچيا وطبيعة الأرض؟

- كل شىء مكتوب ومدون وموجود فى مكاتب الوزارات ولكن قلما يذهب أحد ليرى هذه الدراسات بل قليلون أيضاً يذهبون لمعاينة هذه الأماكن على الطبيعة.

* هل يتم الاعتماد على أهل الثقة أم أهل العلم فى إعداد المشروعات؟

- أهل الثقة موجودون فى كل شىء.. والمهندسون الذين أسندت إليهم المهمة لديهم الخبرة الكافية ولكن ليس لديهم العلم العام والرؤية الشاملة.

* الدكتور محمود أبوزيد، وزير الرى السابق أخبرنى أن الحكومة تدرس طرح ما تبقى من ترعة السلام للاستثمار لحل المشكلة فما رأيك؟

- بعيداً عن كل الحلول السياسية المطروحة أعتقد أن الحل العلمى هو مراجعة خطة «ترعة السلام» من أولها إلى آخرها، وليس هناك عيب فى الاعتراف بالخطأ لكى يتم تصحيح المسار فى صالح النفع العام.. أما الخطأ فهو التمادى دون مراجعة الخطة الحالية..

وأقترح إعداد دراسة مستفيضة من جديد لما تم إنجازه لكى يمكن التعرف على ما يجب فعله.. وتحديد المسار الآمن للقناة بناء على علم بالواقع، كما يجب البدء فى دراسات المؤسسات البحثية الحكومية وليس الشركات المنتفعة مثل مجموعة تضم خبراء من المساحة الچيولوچية ومعهد التربة ومركز الصحراء، عندئذ يمكن تعديل المسار وحماية مياه الترعة من التملح والتسرب.

* دكتور فاروق دعنى أنتقل معك إلى ملف ممر التنمية.. لماذا لم تنفذ الحكومة مشروع «ممر التنمية» الذى تقدمت به حتى الآن؟

- الحكومة ليست مسؤولة عن الرد على مقترحى بإنشاء ممر التنمية أعلى حافة الهضبة فى صحراء مصر الغربية بمحاذاة وادى النيل والدلتا فالحكومة فى النهاية حرة فى اختيار المشاريع التى تتفق مع خطتها ومع هذا فأنا أعلم أن رئيس الوزراء دكتور أحمد نظيف طلب من مجموعة وزارية النظر فى المقترح من نواحيه الفنية المختلفة، وأعتقد أن اللجنة برئاسة الدكتور عثمان محمد عثمان انتهت من الدراسة المذكورة وتعد تقريرها للعرض على رئيس الوزراء.

* قال لى وزير شاهد على هذه المرحلة إن ممر التنمية هو فكرة الرئيس السادات وليس فاروق الباز وقد طرحها أثناء جولة له مع رئيس السودان حيث وعد الشعب الشقيق بأن يكون لهم ميناء على البحر المتوسط وللوصول إلى هذا الميناء يجب أن يكون هناك ممر فى الصحراء الغربية بمحاذاة الوادى والدلتا ويمكن استغلاله لصالح مصر أيضاً؟

- الرئيس السادات كانت لديه مشروعات ممتازة فى إطار شعار «غزو الصحراء»، وقد سافرت معه إلى مواقع عديدة فى أنحاء الصحراء الغربية وواحاتها.. ولكن للتاريخ لم أسمع منه قط أى كلام عن إقامة ممر بمحاذاة الوادى والدلتا بهدف التنمية الزراعية والصناعية والسياحية ونقل الناس والمنتجات من مكان لآخر كما هو مخطط فى الممر، وإن كنت قد تحدثت عن هذا المشروع وفكرته الأولية فى بادئ الأمر مع شخصين الأول هو الصديق الدكتور إبراهيم كامل والثانى الصديق الوزير الأسبق المهندس حسب الله الكفراوى..

وهما فقط من أطلعتهما على الخطوط العريضة للمقترح قبل عرضه على الحكومة رسمياً فى منتصف الثمانينيات.. ومع كل هذا لا يهم أبداً من الذى اقترح أولاً، الأهم هو كيف نقوم بما ينفع مصر ويؤمن مستقبل أبنائها.

ممر التنمية عبارة عن خط يبدأ من العلمين ويسير بمحاذاة وادى النيل حتى يصل إلى حدود السودان، حتى يتم مستقبلاً الربط مع السودان، على أن يمر بأماكن المياه الجوفية، والثروات المعدنية وبالتالى يمكن إقامة مصانع فى هذه المنطقة، على أن يتم ربط هذا الممر بخطوط عرضية مع وادى النيل.

* ألا تراها مدة طويلة جداً فقد تقدمت بالدراسة بداية الثمانينيات ومازالوا يدرسونها حتى الآن؟

- عندما تقدمت بالمشروع فى الثمانينيات كانت الحكومة هى التى تقوم بتمويل هذه المشروعات والحكومة لم يكن فى استطاعتها القيام بذلك آنذاك، وليست لديها القدرة المادية إذ قيل لى صراحة وقتها «العين بصيرة والإيد قصيرة»، والقطاع الخاص فى مصر كان مهلهلاً وقتها.. لذا توقفت عن عرضه منذ عام ٨٧ وطوال هذه المدة كان المشروع لدى الحكومة حتى أعدت عرضه ثانية منذ حوالى عامين ونصف العام تقريباً. وتم تشكيل لجنة من ٤٠ شخصاً تدرس المشروع ولو رفضوه سأعيد عرضه مرة ثالثة ورابعة.

* ولماذا فى مشروع توشكى لم تكن اليد قصيرة؟

- هذا موضوع مختلف.. مشروع توشكى مساحته محدودة وكانت بها بركة مياه سابقاً، وسيتم توصيل المياه من السد العالى إليه عندما يأتى الفيضان، إضافة إلى المياه الجوفية الموجودة مسبقاً فالوضع أسهل.

* هل استشاروك فى موضوع توشكى؟

- لا. نهائياً، ولديهم علماؤهم.

* ألست من علمائهم؟

- لا، وعمرى ما كنت داخل المطبخ الحكومى.

* ولكنك عالم مصرى والمشروع وطنى قومى؟

- لو استشارونى لأدليت فوراً برأيى ولكن لم يحدث.

* ولكنك اعترضت فى البداية على أمور فنية فى المشروع وليس فقط فكرة ربطه بالوادى والدلتا؟

- كنت فعلاً من المعترضين فنياً فى البداية، حيث كانت الفكرة الأولى هى نقل المياه بكميات هائلة من بحيرة ناصر على مدى ٨٥٠ كيلو متراً مروراً بالواحات الخارجة والداخلة حتى الفرافرة، وكان ذلك المخطط يشمل ترعة مفتوحة بعرض ٢٠٠ متر وعمق ٣٦ متراً، وكان ذلك فى نظرى ونظر الآخرين شيئاً لا يعقل، لأن نقل كمية هائلة من المياه فى ترعة مفتوحة إضافة إلى التبخر، ينتج عنه مشكلات عديدة، منها أن القناة معرضة للطبيعة، وبالتالى لا يمكن أن تمر بسلام وسط الكثبان الرملية التى يمكن لأى منها أن تسد القناة المفتوحة مراراً،

وقمت بإعطائهم دراسة كاملة عن سلبيات هذا المشروع، وقلت إن هناك ضمن المجرى ٧١ كيلو خطوطاً للكثبان الرملية ستؤدى إلى سد المجرى، وقيل لى إنه يوجد جهاز لتنقية المياه من الرمال، وقلت وأين ستعرف مكان سد الرمال؟ ولو لديك هذا الجهاز أين ستضع فيشة الكهرباء.. فى الجبل أم فى الصحراء؟! يعنى كلام مالوش لازمة، وغير علمى.

ثانياً: هناك طبقة من الطفلة غير المسامية تغطى أسطح كل المنخفضات فى الصحراء الغربية التى توجد فيها الواحات، والطبقة الطينية توجد فقط هنا وهناك، إذن فإن وصول كميات هائلة من المياه إلى الواحات دون أن يمكن تصريفها لأنها فى منخفضات سيؤدى إلى تجمع المياه، وبالتالى تكون مرتعاً للذباب والناموس، وما يأتى معهما من الأمراض التى تلوث البيئة المحيطة بأكملها، مما يؤدى إلى كارثة للمنطقة بالكامل.

* قيل إنك تقدمت لرئيس الجمهورية برسالة عاجلة تشرح له فيها الوضع وأسباب اعتراضك، بعدما نصحك المهندس حسب الله الكفراوى بذلك، ونقل الرسالة للرئيس شقيقك الدكتور أسامة الباز؟

- لم أتقدم بمذكرة لرئيس الجمهورية، لأنه لا يخطط للمشروعات التنموية، ولكن هذا العمل يقوم به الجهاز الحكومى التنفيذى، لذلك قدمت اعتراضى على المشروع فى شكله الأول لرئيس الوزراء فى

ذلك الوقت كمال الجنزوري، وكذلك إلى وزير الزراعة واستصلاح الأراضي الدكتور يوسف والي، وألقيت محاضرات في هذا الصدد أولاً في نقابة المهندسين، ثم الجمعية الجيولوجية، ثم الجامعات، ومنها إلى الصحافة ووسائل الإعلام.

* وهل أخذوا برأيك؟

- في نهاية الأمر اقتنع الدكتور يوسف والي بما أقول، خاصة قبيل لقائنا مع الوزيرة الدكتورة فينيس جودة التي كانت وزيرة الدولة للبحث العلمي آنذاك، وبحضور مجموعة من وكلاء الوزارة والمتخصصين في أمور التربة والمياه وما إلى ذلك، وأعلن الدكتور يوسف والي أن قناة توشكي بدلاً من مدها لمسافة ٨٥٠ كيلو متراً سوف تقتصر على ٦٧ كيلو متراً،

إضافة إلى ١٠٠ كيلو متر من القنوات الفرعية التي توصل المياه إلى أماكن صالحة للزراعة غرب بحيرة ناصر، ومعنى ذلك أن المشروع اقتصر على استصلاح الأراضي الصالحة للزراعة غرب البحيرة، مع الاستفادة من مياهها، وهذا شيء يجب أن نشجعه لأن فيه الخير لمصر.

* رغم أنهم أخذوا باعتراضاتك الأولى ونفذ بشكل تراه مناسباً كما قلت، فإن نتائج مشروع توشكي لم تظهر بعد؟

- مشروع توشكي منعزل، وعدم وجود طريق سهل وسكة حديد سريعة لنقل الناس والبضائع من وإلى باقي أجزاء الوطن، هو سبب عدم الاستفادة الكاملة من المشروع، وعدم لمسه على أرض الواقع، لذا يصعب إقامة حياة مستدامة فيه.

* هل منطقي أن يدفع في مشروع المليارات وفي النهاية لا توجد به حياة مستدامة، وهل يجب أن نغض البصر عنه مادامت المسائل الفنية فيه صحيحة؟

- الحل في ممر التنمية، فهو الذي سيحل مشكلة توشكي في غمضة عين، وهو ليس حلاً لتوشكي وحدها، وإنما للتزايد السكاني وللتوسع العمراني ومدخل للتنمية والاستثمار.

* هل يوجد في مصر منهج علمي نسير عليه؟

- المنهج العلمي واحد في جميع أنحاء العالم ولا يتغير.

* إذن ما مشكلتنا؟

- إننا كمجتمع لا نضع خطين تحت أهمية العلم والتعليم، فنحن لا ننظر للعلم على أنه الهدف الأساسى فى الحياة، ولو فعلنا لتغيرت حياتنا، وما نفتقده فى مصر هو وجود الدافع الشخصى لجمع العلم والمعرفة وثقة طالب العلم فى أن استمرار دراسته وتقدمه فى مجال العلم، يعنى مزيداً من ثقته بذاته ومزيداً من احترام الآخرين له.

*وما سبب نظرتنا المتجاهلة للعلم.. المواطن أم طريقة التربية فى البيوت والمدارس، أم نظام الحكم، أم الحالة الاجتماعية من فقر ومعاناة اقتصادية، أم كل هذه العوامل مجتمعة؟

- السبب فى تكميم الطفل الصغير وهو ظاهرة أسرية مصرية لا يوجد لها مثيل فى العالم، ويتسبب الآباء باتباع سياسة إخراس الأبناء فى قتل كل منابع الإبداع والتفكير لدى الطفل، سواء داخل الأسرة أو فى المدرسة، فأنا أتذكر أن مدرس الأحياء فى المدرسة الثانوية كان يعطينا الفرصة لتشريح الحيوانات، وكان هناك تشجيع للتجريب والمبادرة.

أما الآن فالمدارس لا تعطى الفرصة للطالب حتى يعبر عن رأيه، والأمر نفسه يحدث فى الجامعة، وكذلك فى العمل، ويتم تحطيم روح المبادرة عند الإنسان منذ الطفولة، فماذا تتوقعين لحال العلم بعدها؟!

* هناك دراسة لمنظمة العمل العربية تتحدث عن العلاقة بين البحث العلمى والاستبداد السياسى وديكتاتورية الأنظمة الحاكمة؟

- فى نظرى أن هذا لا يدخل ضمن ديمقراطية الدولة أو عدمها ولا أربط بين الاثنين، والدليل أن روسيا والصين لا يوجد عندهما ديمقراطية من أى نوع، ومع ذلك متقدمتان علمياً، ورغم وجود التكميم السياسى فإن الفرد تتم تربيته وتعليمه بشكل جيد، ويتم إطلاعه دائماً على المتغيرات، الحكاية ليست ديمقراطية ولكن نظرة الإنسان إلى الطفل الصغير، ووضع حقوقه فى الاعتبار وتربيته على منهج الاختيار والمبادرة والتجريب، فهم مستقبلنا وهم من سيبنون البلد وليس نحن.

* وماذا عن الفقر ألا يؤثر على رغبة الأفراد فى الحصول على العلم؟

- أنتمى لعائلة فقيرة، وكنت أحصل على مصروف شهرى ٣ «تعريفة» لأركب الأتوبيس ولم تكن تكفى، فكنت فى نهاية الشهر أسير يومياً من سراى القبة حتى جامعة عين شمس، وكان نصف الشهر يأتى علينا وليس فى البيت «نكلة» ولا طعام ولا شراب، وكنا نستلف من البقال ونأخذ منه الطعام الأساسى لنا على النوتة، حتى يأتى أول الشهر ويدفع أبونا الدين للبقال.
وليس عيباً أن يكون الشاب فقيراً، العيب ألا تكون لديه إرادة قوية لتحقيق ما يريد، والوضع ليس مفتعلاً له خصيصاً، بل هو وضع عام فى البلد «بلدنا كده» فهل نظل مسودى الوجوه وناقمين على الحياة أم نسعى لتحسين أحوالنا بالعلم، نحن فى حاجة إلى سحب حالة الإحباط من نفوس وصدور شبابنا إذا كنا نحبهم ونحب البلد ونريد له التقدم.
* هل أنت راض عن مستوى التعليم فى مصر؟
- لا، على الإطلاق، والحل فى تحسين أحوال الجامعات وفتح باب المنافسة، فقد كان لمصر دور ريادى فى الرقى العلمى والفنى، ولكن انهار المستوى رويداً رويداً حتى تأخرت مصر فى كل فروع العلم والمعرفة، فى نفس الوقت الذى ازداد فيه دخل دول الخليج التى أنفقت الكثير على الدعم المالى للتعليم والبحث العلمى والصحة، فتقدم الكثير منها مثل قطر والسعودية والإمارات، وفى نفس الوقت خطت دول فقيرة مثل الأردن وتونس وحتى سوريا خطوات لا بأس بها، ولكن الوضع فى مصر مازال محزناً.
* هل تعتقد أن مصر فى الظروف الحالية قادرة على إنشاء مشروع نووى سلمى؟
- لو تمت الاستعانة بالشباب المصرى وضمهم إلى برنامج تدريب محدد لغرض ما ممكن جداً أن يصبحوا أفضل من أى مكان فى العالم.
* وهل لدينا هذه المراكز القادرة على التدريب والتأهيل؟
- يوجد لدينا البعض ولا يوجد الكل، ولكن ما الذى يمنع إرسالهم فى بعثات للخارج مثل الهند وروسيا وأمريكا، وأقوم بتجميع كل العلم لنصل لأفضل شىء، وصدقينى من الممكن أن يصل شبابنا إلى أفضل مما توصلت إليه باقى الدول، فالخامة المصرية بالتدريب الجيد ممكن أن ترتقى إلى أفضل مستوى.

* ألا تعتقد أننا تأخرنا كثيرا فى هذا المجال؟
- المشروع مطروح منذ عهد الرئيس جمال عبدالناصر، وكان هناك علاقة بين عبدالناصر ونهرو فى الهند، واتفقا على التعاون فى مجالى تصنيع صواريخ تذهب إلى القمر وقنابل نووية، وقد صنعت بالفعل الهند صواريخ ترسلها إلى القمر بل وصنعت القنبلة الذرية، فى حين أننا لم نرسل صاروخا للقمر وعملنا هيئة الطاقة الذرية التى لم تنتج لا قنبلة ولا «نووى سلمى»، ومفاعل إنشاص لم ينتج شيئا، فهل هذا يصدق؟!
الهند التى كانت أفقر منا فى الستينيات وكانت لديها مجاعة، بل والأدهى أنها تتحدث حوالى ٣٠٠ لغة ولديها تعددية دينية ومختلفون مع بعضهم البعض فى الثقافة والطبقات الاجتماعية، ومع ذلك أصبحوا أفضل منا ولم نفعل ربع ما فعلته الهند، فقد تأخرنا كثيرا، الهند التى كانت تعانى مجاعات كل سنة وقفت مع نفسها وقالت سنطعم أنفسنا خلال ١٥ سنة.. وعملوها.
مصر تستطيع بسهولة أن تعود منارة للمنطقة إذا أصلحت ونستطيع أن نفعل ذلك فى عقدين من الزمان كما فعلت دول مثل ماليزيا وكوريا الجنوبية وتركيا، وأملى كبير فى أن تستعيد مصر بفضل شبابها مكانتها بين الأمم.
* ماذا لو تم إسناد المشروع إلى شخص لا علاقة له بالعلم بعدما تردد عن إسناده من الباطن لبعض رجال الأعمال وشخصيات حكومية؟
- سيخرب.
* وما رأيك فى أن يكون على رأس المجالس العلمية المتخصصة فى مصر رجل سياسى؟
- يبقى البحث العلمى فى مصر حيخرب، لأنه لا يمكن لهذا الشخص أن يدعم أفكار العلماء، وتدعيم مشروعاتهم وأى مشروع وقتها لن يصلح بل سيفسد.
«ولا أعرف إذا كان الدكتور فاروق الباز يعرف أن السيد كمال الشاذلى على رأس المجالس المتخصصة أم أنه أجاب فى العموم لأنه غير متابع لحركة رؤساء الهيئات فى مصر بحكم تواجده خارج البلاد».

(٧) هنالك علامة استفاهم كبري في نشاط هذه الجمعية ، لعل اخر علامه استفهام يمكن رصدها في هذا المجال هو اتصالات الجمعية الخاريجيه اذ ان قانون الجمعيات الاهليه التابع لوزاره الشئون الاجتماعيه التي تم تغيير اسمها نهايه عام ٢٠٠٥ ليصبح وزاره التضامن الاجتماعي ينص علي عدم قيام اي من جمعيات المجتمع المدني بالاتصال باي جهه خاريجيه او تلقي تبرعات من اي جهه خاريجيه و هو امور قامت بها جمعية جيل المستقبل .. اذ انها استضافت السيدة/اليزابيث تشيني مساعدة وزير الخاريجيه الامريكية للشئون الديموقراطيه و رئيسة قسم متابعه مبادره الديموقراطيه بالشرق الاوسط التابع لوزارة الخاريجيه الامريكه و فوق كل هذا هي الابنه الكبري لنائب الرئيس الامريكي وقتذاك/ديك تشيني .

كما اجرت الجمعيه مباحثات مع رئيس مجموعه المملكه القابضه الامير/الوليد بن طلال بن عبد العزيز آل سعود و كذلك الامر مع الرئيس الامريكي السابق/بيل كلنتون .

اما عن تلقي الاموال من جهه اجنبيه فلا يوجد دليل و لكن وجود السيد/احمد المغربي حامل الجنسيه السعوديه داخل مجلس اداره الجمعيه في حد ذاته يعتبر دليلا نظرا لانه رجل اعمال يتبرع للجمعية بنسبه لا باس بها كل عام.

(٨) هذه الاسماء و مناصبهم تعود الي عام ٢٠٠٦، حيث كانت جزء من مقال كتبته في مجلة أخبار ديجتال، و التي كانت بدورها مجلة جامعية عبارة عن مشروع تخرج عدداً من طلاب الجامعة و كنت واحداً منهم.

(٩) تقرير من جريدة الشروق بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠٠٩ بعنوان " الإيكونوميست: انشغال المصريين بخلافة مبارك يعوق تقدم البلاد" ، هذا نصه:

جددت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية فى عددها الذى يصدر اليوم ـ السبت ـ الحديث عن مسألة الخلافة السياسة فى مصر، وقالت إن حالة عدم اليقين بشأن مستقبل البلاد تتسبب فى حالة من العصبية بين المصريين.

وأضافت المجلة البريطانية المرموقة، بعد استعراض الأسماء والجدل الدائر فى المجتمع المصرى، أن كل تطور سياسى فى مصر ينظر إليه من زاوية الإعداد لخلافة الرئيس حسنى مبارك، وأن سيطرة هذا التفكير على الرأى العام يعوق تقدم البلد على نحو منتظم، ويحول دون وجود نقاش صحى حتى فى أروقة المؤسسة الحاكمة ذاتها.

وقد استعرضت المجلة البريطانية الأسماء المتداولة فى الشارع المصرى وعلى مواقع الإنترنت والفيس بوك «وقالت إن هناك أسماء جديدة تطرح على الساحة مثل الدكتور محمد البرادعى الذى سيترك منصبه قريبا فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية وعمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية».

وأشارت المجلة فى فقرات مطولة إلى الوضع الراهن فى مصر تحت حكم مبارك واحتمالات انتقال السلطة إلى رئيس مجلس الشعب أو رئيس المحكمة الدستورية العليا بشكل مؤقت فى حال فراغ المنصب.

ونقلت «الإيكونوميست» عن الدكتور أسامة الغزالى حرب رئيس حزب الجبهة قوله إن هناك احتمال حدوث «فراغ سياسى» فى البلد..

وأشار الغزالى إلى أن المؤسسة العسكرية هى «المؤسسة الوحيدة القادرة على ملء هذا الفراغ، وربما نرى دلائل على ذلك».

لكن الإيكونوميست أشارت إلى أن عملية انتقال السلطة فى الدول العربية تتبع قواعدها الخاصة.

(١٠) من اهم رجال الحركه : محمد فريد حسنين ، حمدين صباحي رئيس حزب الكرامه الناصري (حزب غير مرخص) ، عصام الاسلامبولي ، ابو العلا ماضي رئيس حزب الوسط الاسلامي (حزب غير مرخص) ، عبد الحليم قنديل ، جورج اسحاق ، محمد السعيد ادريس ، امين اسكندر ، احمد بهاء الدين شعبان .. صدر البيان التاسيسي لها في يوليو ٢٠٠٤ و اول تظاهره كانت مظاهره صامته امام دار القضاء العالي في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤ .. و تعتبر ائتلافا بين عددا من التيارات منها الاخوان المسلمون واليسار و الناصريون و الشيوعيين (!!)

(١١) الي جانب الدعم الامريكي، يحظي بدعم البرلمان الاوروبي ايضا .. يراسه ايمن نور و نائب الرئيس هو هشام قاسم المعروف في

واشنطن بعلاقاته الواسعه مع اللوبي اليهودي كما اجري عددا من المباحثات مع وزراء اسرائيليون .. و من قاده الحزب مني مكرم عبيد المقربه وقتذاك من كونداليزا رايس مستشارة الرئيس الامريكي بوش ووزيرة خارجيته.

(١٢) اعترف سعد الدين ابراهيم انه تلقي اموالي من جورج سوريس، و من الكونجرس الامريكي.

(١٣) المعارضه المصريه في اوروبا بزعامه احمد صابر .. مهندس الجبهه هو محمد فريد حسنين الذي زار اسرائيل من قبل مما جعل التيار الاسلامي المصري في اوروبا يتخوف من التحالف مع الجببه الوليده .

(١٤) عبر كتاب :

Robert Springborg, Mubarak's Egypt: Fragmentation of the Political Order.

يقول هذا الباحث الامريكي:

كان من المتفق تماماً مع الخلفية العسكرية لمبارك، أن يسعى ضمن ما كان يسعى إليه في أعقاب توليه السلطة في مصر، إلى استعادة ما فقده الجيش من تقدير لدوره بالإضافة إلى بعض النفوذ السياسي

وكان أبو غزالة المرشح النموذجي ليصبح رجل مبارك.. حيث أكد الفارق بينهما في السن -عامان فقط- والرتبة سلطة مبارك، ولم يحدث أن كان أبو غزالة ومبارك متنافسين في القوات المسلحة، حيث كان أبو غزالة متخصصاً في المدفعية في حين كان مبارك طياراً حربياً، وقد تلقى كل منهما تدريباً في الاتحاد السوفيتي، انتهيا

منه في توقيت متقارب عام ١٩٦١

كما كتب روبرت سبرنجبورج في موضوع أخر من كتابه :"منذ ١٩٧٩، حين كان أبو غزالة ملحقاً عسكرياً في واشنطن، ومبارك نائباً للرئيس، عمل الاثنان معاً في تطوير برنامج المعونة العسكرية مع الولايات المتحدة"

وفي موضوع ثالث: "وبالرغم من أن مبارك وأبو غزالة يمتلك كل منهما صفات شخصية متميزة، ويشتركان في الخبرات، الأمر الذي سهل قيام هذه العلاقة السياسية الحميمة، فإنه في الواقع، كان الرجلان

مختلفين اختلافاً كبيراً. فأبو غزالة شخصية ذات منطق واضح، قوية وطموح. كما أن مقابلاته غير المسجلة مع الصحفيين الأمريكيين، تعطي المشاهد انطباعاً بقدرته على مواجهة المسائل مباشرة وبشكل محدد - بعكس مبارك - الذي يعطي انطباعاً بأنه حمل عناء الرئاسة كرهاً، وقرر - بصرف النظر عن الواجب - أداء الوظيفة بأفضل ما يمكنه. ويعطي أبو غزالة انطباعاً بأنه يتطلع إلى السلطة، ويريد تنفيذ برنامجه، ويتمتع أبو غزالة بجاذبيةٍ شخصية مختلفة عن الشخصية التي يوحي بها المظهر لمبارك. وإثر اغتيال السادات مباشرة، وقف أبو غزالة منتصباً، مشيراً بعصا المارشالية إلى القاتل الفار، مصدراً الأوامر بمطاردته، بينما لم يفعل مبارك ذلك. سعى مبارك - الذي يتمتع بمزاج إداري- إلى دمج اتجاهات عدة في السياسة المصرية، وإعادة بعض التوازن إلى العلاقات المصرية الخارجية، فيما يعد أبو غزالة محافظاً صريحاً، شديد العداء للشيوعية، وبالمقابل موالياً للولايات المتحدة، وقد أكد أن أمن مصر لا ينفصل عن أمن الولايات المتحدة وحلف الأطلنطي. وبعكس تفضيل مبارك الواضح للعلمانية، فقد اكتسب أبو غزالة صورة التدين، وهو يتمتع بالشعبية داخل العديد من الدوائر الدينية، وترتدي زوجته وحدها تقريباً بين زوجات الوزراء الحجاب الإسلامي في المناسبات العامة"

الطريف أن الباحث الأميركي يشير إلى قضية كرة القدم والتفاؤل، وتأثيرهما على شعبية الرجلين، فقد "كان أبو غزالة يتمتع بحسن الطالع، إذ كان يتناوب مع الرئيس في حضور مباريات كرة القدم المهمة، وتصادف أن فاز منتخب مصر لكرة القدم في عددٍ من المباريات المهمة التي كان المشير يتقدم فيها الحضور، ما زاد من شعبيته. وقد استمر هذا الارتباط حتى أصبح في عام ١٩٨٦ نكتة شائعة.

(١٥) محمد الباز، المشير - قصة صعود وانهيار أبو غزالة.

(١٦) اصدر الرئيس مبارك قراراً بعزل المشير محمد ابوغزالة من منصب وزير الدفاع والانتاج الحربي وتعيينه مساعداً للرئيس بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٨٩.

(١٧) المصدر :

George Crile: Charlie Wilson's War: The Extraordinary Story of How the Wildest Man in Congress and a Rogue CIA Agent Changed the History of Our Times.

(١٨) نقلاً عن جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٥ ابريل ٢٠٠٩ :

محمد حبيب:«الإخوان» يشترطون إلغاء الطوارئ وإعادة الحريات والانتخابات النزيهة لقبول ترشيح جمال مبارك

قال محمد حبيب النائب الأول لمرشد الإخوان المسلمين، إن الجماعة لن تخاطر بالدخول فى مواجهة مفتوحة مع الدولة بالخروج إلى الشوارع في مظاهرات، حتى لا تسحقها قوات الأمن، وذكر فى مقابلة مع وكالة «رويترز» أن الغوغاء يمكنهم استغلال المواجهة أو المظاهرات لتخريب الممتلكات العامة، وهو ما يُعد فوضى ترفضها الجماعة، على حد قوله.

ووصفت «رويترز» حبيب، بأنه الخليفة المحتمل لمنصب المرشد فى جماعة الإخوان، التى وصفتها هى الأخرى بأنها أقوى جماعة معارضة فى مصر، وقال حبيب إن أبناء الجماعة لن يخوضوا مسار المواجهة إلا إذا تأكدوا من تمتعهم بمزيد من التأييد الشعبى.

وتوقع حبيب أن تدخل مصر مرحلة صعبة بسبب الأزمة الاقتصادية الحالية والسياسات الحكومية، التى وصفها بالقمعية، وقال: نحن مقبلون على - أو نعيش - حاضر مظلم وينتظرنا مستقبل قاتم والعياذ بالله، وإذا كانت هذه السياسة جايبها جمال مبارك، فأنا أتصور أن ذلك سيكون له تأثير سلبى على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وجدد حبيب ما جاء فى تصريحات سابقة لقيادات الجماعة، بقوله إن الإخوان لن يعارضوا سعى جمال مبارك لرئاسة الجمهورية، بشرط أن يتزامن ترشحه مع إصلاحات مثل إنهاء الطوارئ وإعادة الحريات المدنية وإجراء انتخابات نزيهة، وهى شروط قال عنها حبيب إن الدولة ليس مرجحًا أن تحققها، مشيرًا إلى أن حركات الاحتجاج الأخيرة جعلته أقل ثقة فى أن نجل الرئيس سيخلف والده فى المنصب.

وتوقع حبيب ألا ينجح الإخوان فى الاحتفاظ بنفس حصتهم من المقاعد البرلمانية فى الانتخابات المقبلة بسبب ما وصفه بحملات حكومية ضد الجماعة.

،،، و نقلاً عن جريدة الدستور في نفس اليوم، ٢٥ ابريل ٢٠٠٩:

نائب المرشد: رفض التوريث موقف يجب أن تتكاتف فيه كل القوي السياسية وليس الإخوان فقط

كتب- عبدالمنعم محمود:

أكد الدكتور محمد حبيب- النائب الأول لمرشد جماعة الإخوان المسلمين- رفض جماعته بشكل واضح ترشيح جمال مبارك لوراثة حكم مصر خلفًا لوالده، نافيا ما نقلته وكالة أنباء رويترز بأن الإخوان لن يعارضوا سعي جمال مبارك إلي منصب رئيس الجمهورية إذا جاء ترشيحه مع إصلاحات مثل إنهاء حالة الطوارئ، وإعادة الحريات المدنية، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة، وهي شروط قال حبيب إنها ليس من المرجح أن تفي بها مصر.

مضيفا: إن الجماعة تضع فارقا بين مساحتين، أولاهما سلطان مبارك الابن كونه نجل رئيس الجمهورية وحقه في الترشح شريطة أن يترك سلطان أبيه ويتحول إلي مواطن عادي شأن جميع المصريين وأن تتعدل كل الشروط المقيدة لحق الترشح علي الرئاسة في المادة ٧٦ من الدستور التي حرمت كل المواطنين من الترشح علي هذا المنصب.

أما المساحة الثانية وهي رفض الإخوان المسلمين ترشيح شخص جمال مبارك جملة وتفصيلا نظرًا لأجندته الأمريكية، قائلا: جمال مبارك يسعي إلي تنفيذ أجندة أمريكية مرفوضة لا تتفق مع أوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي لن تؤدي إلا إلي مزيد من الاحتقان والتوتر والغليان، مضيفا أن هذه الأجندة لا ترعي سوي مصالح رجال الأعمال ولا تراعي البعد الاجتماعي والطبقي لجميع المصريين.

وقال حبيب: كيف نوافق علي شخص متترس بكل الإجراءات الاستثنائية والتدابير الشاذة، من تكبيل الحريات والتضييق علي الإخوان وتلفيق التهم وإحالة المدنيين للمحاكمات العسكرية.

وعن الموقف الذي ستتخذه الجماعة في حيال عملية التوريث لمبارك الابن أكد حبيب أن هذا الموقف يجب أن تتخذه جميع القوي السياسية وليس الإخوان فقط ويكون مدعوما بحراك شعبي وجماهيري يدفع النظام للإصلاح والتغيير والذي يتم عن طريق صندوق الانتخابات والمظاهرات العارمة والعصيان المدني، إلا أنه شدد علي أن هذا الموقف يحتاج تكاتف كل القوي السياسية مع الحراك الشعبي- موضحا أنه دون موافقة وحركة الجماهير لن تنجح حركة رفض التوريث.

وأضاف أن الإخوان يراهنون في رفض عملية التوريث علي الشعب المصري وحركته فقط وأن يكون لدي المصريين رغبة في الإصلاح والتغيير، قائلا نحن نجتهد في تحريك الشعب ولن نيأس من ذلك لأنه فرس الرهان في هذه المعركة.

هوامش الفصل الثانى

[1] في إحصائية هامة تدل على مدى الانحدار الذي وصل إليه تحقيق العدل والأمان للناس بالقانون الوضعي، صدر تقرير إحصائي من وزارة العدل المصرية تبين فيه بوضوح الحجم الهائل للجرائم في مصر، بل وازديادها عام بعد عام، فقد بلغت الجرائم التي تداولتها المحاكم المصرية مليونًا و٨٩٦ ألفًا و٥٩٤ قضية تم تداولها خلال العام ٢٠٠٤، بزيادة قدرها مليون و٣٢٦ ألف قضية عن تلك التي نظرتها قبل أقل من عشر سنوات مضت (ملحوظة هذا الإحصاء يشمل الجرائم التي تم تداولها رسميًا، بخلاف التي لم يبلغ عنها أو تم التراض فيها أو تم إخفاؤها بطريقة ما).

رصد تقرير الإحصاء القضائي الخاص بعام ٢٠٠٤م، ١٥ مليونًا و٩٠٠ ألف قضية تقريبًا، وبمقارنته بتقرير ١٩٩٦م سنجد أن نسبة الفصل في القضايا تراجعت إلى ٨٠,٨٧% في الأول، بينما كانت عام ٩٦ تبلغ ٨٣,٤%، وبينما كانت القضايا المدنية عام ٩٦ مليونًا و٧٩٣ ألفًا، والجنائية ١١ مليونًا و٥٨٧ ألفًا و٥٨١ قضية، والأحوال الشخصية مليونًا و١٨٩ ألفًا و٥٠١ قضية، بلغ عدد القضايا المدنية عام ٢٠٠٤م مليونًا و٨٤٢ ألفًا و٨٧٦ قضية، وارتفع عدد القضايا الجنائية إلى ١٢ مليونًا و٥٤٣ ألفًا و١١٣ قضية، والأحوال الشخصية مليونًا و٥١٠ آلاف و٦٠٥ قضايا!.

وأشار التقرير إلى أن جرائم القتل العمد زادت بنسبة ١١,١٢%، وزادت جرائم الشروع في القتل بنسبة ٥٤,٧%، أما جرائم الضرب المفضي لموت فزادت بنسبة ٨٧,٣%، بينما زادت جرائم الضرب بنسبة ١٣,٨%، ووصلت الزيادة في جرائم السرقات ٢٣,٨%، و٦٤% فيما يخص جرائم الشروع في السرقة، وزادت نسبة قضايا الرشوة بمعدل بلغ ٥٩,٦%. وزاد معدل جرائم تزييف النقود بنسبة ١١٦,٤٥%، وبلغت الزيادة في نسبة جرائم الاختلاس خلال هذه السنوات ١٩,٤%، وزادت قضايا العنف وهتك العرض بنسبة ٣٣,٢٢%، فيما بلغت نسبة الزيادة في جرائم الاغتصاب ٧٤,٦٦%.

التزايد المذهل في معدلات الجرائم طال أيضًا قضايا الأحداث؛ حيث زادت جرائم القتل العمد بين الأحداث بنسبة ٣١,٥%، بينما زادت قضايا الضرب المفضي لموت بنسبة ٨٣,٣٣%، أما جرائم السرقات فزادت نسبتها بمعدل ٦,٢٥%، وارتفعت نسبة قضايا السلاح بمعدل ٦٥,٨٥%، وارتفع معدل جرائم الشروع في السرقة بنسبة ٤٦,٦٦%، وبلغ عدد قضايا «الجواهر المخدرة»، وهو المصطلح الذي يطلق على الأطفال العاملين في مجال تجارة المخدرات، بنسبة ٦٦%. ومن الجنايات إلى الجنح، مازالت معدلات الزيادة تدق نواقيس الخطر، حيث ارتفع معدل قضايا التزوير بنسبة ٩٠%، وبلغ معدل الزيادة في قضايا الضرب ١٤,٣٤%، وزادت جرائم النصب وخيانة الأمانة بمعدل ٩٩,٩%، وتوقفت نسبة الزيادة في جرائم الإصابة الخطأ عند ٤,٨%. ووصل معدل الزيادة في قضايا الشروع في السرقة إلى ١٢,٩%، وزادت قضايا السكة الحديد بنسبة ٦١,٩٥%، وقضايا التنظيم والإدارة - البلدية - بنسبة ٣,٤٧%.قضايا التشرد تراجعت بمقدار ١٥,٥٤%، في حين زادت نسبة قضايا جنح الصيدليات بمعدل ٢٠,٨٣%.

وإلي جنح الأحداث ننتقل مع التقرير، لنضع أيدينا على ارتفاع جرائم الهروب من المراقبة بنسبة ٨٢,٢٤%، بينما زادت قضايا المحال العامة والصناعية بنسبة ٢٧٥%، ووصل معدل الزيادة في جرائم القتل الخطأ إلى ١١,٥%، بينما تراجعت قضايا الضرب بنسبة ٤٣,٥٦%، في مقابل زيادة مرعبة في جرائم النصب وخيانة الأمانة بلغ معدلها ٦٤٨%.

ووصل معدل الزيادة في قضايا السرقات والشروع فيها إلى ٢٩,٩٨%، ووصلت الزيادة في قضايا السكة الحديد إلى ١٢٧,٨%، ترتفع إلى ٢٦٦% فيما يخص قضايا التنظيم، وزادت قضايا التشرد بمعدل ٧٨,٧٩%. المخالفات لم تسلم من ذلك الارتفاع المرعب في زيادة نسبتها؛ حيث ارتفعت نسبة المخالفات المرورية لتصل إلى ما يفوق الثلاثة ملايين ونصف المليون مخالفة! ورصد التقرير أيضًا أعداد وسمات المحكوم عليهم الشخصية والأسرية، ليكشف عن ارتفاع

نسبة الرجال «العزاب» المحكوم عليهم بمعدل ٢٤٢%، بينما ارتفعت نسبة الأنسات المحكوم عليهن بمعدل ٢١٨%.
ملف الأحوال الشخصية يكشف عن ارتفاع قضاياها بالنسبة للمسلمين بمعدل ٣٠,٥%، بينما بلغت نسبة الزيادة بالنسبة لغير المسلمين ١٠٣%، فيما تناقصت قضايا الحبس للنفقات بمعدل ٢,٦%.
وبالانتقال إلى جزء شديد الأهمية من التقرير، وهو الخاص بجرائم الكسب غير المشروع، نجد أن لجان فحص إقرارات الذمة المالية كشفت عن ٤٦١٤٨٠ جريمة كسب غير مشروع، بمعدل زيادة يبلغ ١٤٣,٧% عن الجرائم المماثلة عام ١٩٩٦.
(٢) مقال منشور عبر الموقع الالكتروني لقناة العربية بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠٠٩ ، هذا نصه :
كشفت دراسة علمية جامعية عن أن ٦٨ % من النساء العاملات في الحكومة والقطاع العام بالعاصمة المصرية يتعرضن للتحرش الجنسي من قبل رؤسائهن وزملائهن، سواء بالقول أو بالفعل.
وقالت دراسة -قام بها أستاذ علم النفس ظريف شوقي، وأستاذ علم النفس المساعد عادل محمد هريدي، وقدمت إلى جامعة القاهرة للحصول على ترقية علمية، ونشرت في مجلة كلية الآداب المتخصصة في الأبحاث التي يجريها أساتذة الجامعة- إن المتحرش تبدو عليه سمات "الجنتلمان"، ويبدأ تحرشه بالكلام مع الزميلة، وإبداء الإعجاب، وتنتهي بطلب اللقاء، مرورا بتعمد النظر إلى أماكن حساسة، ولمس بعضها، وإلقاء النكات الخارجة.
وتكونت عينة الدراسة من ١٠٠ موظفة في الأجهزة الحكومية والقطاع العام من المقيمات بمدينة القاهرة الكبرى، يدين ٨٧% منهن بالإسلام؛ مقابل ١٠% بالمسيحية، فيما رفض ٣% ذكر الديانة أو الحالة الاجتماعية.
وتشكل نسبة المتزوجات منهن ٦٤% ؛ مقابل ٣٣% آنسات. وبلغ متوسط عدد سنوات خبرتهن في العمل من ٧,٩ إلى ١٠,١ أعوام. وكان الرئيس المباشر في حالة ٦٧% رجال ، مقابل ٣٢% نساء. وقال ٢٧% منهن إنهن يشغلن موقعاً قياديًا، مقابل ٧٣% ذكرن أنهن مرؤوسات. وبالنسبة للتعليم، فقد أشار ٤١% منهن إلى أن مستوى

تعليمهن متوسط، مقابل ٤٧% للجامعي، في أكدت ١٠% منهن أن تعليمهن فوق الجامعي.

وتمثلت أكثر السلوكيات التي اتفقت النساء على اعتبارها تحرشاً في لمس اليد بطريقة متعمدة (٧٨%)، ولمس أجزاء من الجسم (٧٦%)، والنظر إلى أماكن حساسة من الجسم (٧٦%)، ومحاولة التقبيل (٧٣%)، وامتداح القوام (٧٢%)، والتهديد والإغراء لتتجاوب معه جنسيًّا (٧٢% قررن ذلك)، أما المواعدة وإلقاء نكات جنسية فكان ترتيبها أقل.

أما الملفت، كما ذكرت الدراسة، فإن ٢٤% من النساء رأين أن لمس جزء من الجسم لا يعد تحرشاً، فيما قرر ٢٢% أن لمس اليد ليس سلوكا تحرشيا كذلك، بل إن ٢٧% من المشاركات اعتبرن أن محاولة التقبيل لا تعد تحرشاً. وهو ما يعني حسب الدراسة، ارتفاع سقف ما يعتبر تحرشاً في أذهانهن، ليقتصر فقط على الممارسة الجنسية الكاملة، وهو ما قد يجعلهن أكثر تسامحاً وتحملاً لما عدا ذلك من سلوكيات قد تعتبر تحرشية من وجهة نظر أخريات.

وأكدت الدراسة أن عمر المتحرش يقع بين عامي ٢٩ سنة و٥٩ سنة، ومتعلم تعليماً عالياً (٥٠% ذكرن ذلك)، متزوج (٦٤,٣%)، ومدة زمالته بالضحية متوسطة (٤٢,٩%)، وخبرته في العمل كبيرة (٦٤,٣%)، وعلاقته قوية برؤسائه (٧٨,٦%)، مدخن (٤٧,٦%)، وله سوابق تحرش بزميلات (٦١,٩%). كما أن مظهره غير جذاب (٥٠%)، رغم كونه متحدث لبق (٧١,٤%)، ودمه خفيف (٥٩,٥%)، وعينه "زايغة"، أي يحاول دائما اختلاس النظر إلى الموظفات (٨٣,٩%)، ويمزح مع زميلاته (٨٥,٧%)، وشخصيته قوية (٦٤,٣%)، وغير متدين (٧٣,٨%)، واجتماعي (٩٠,٥%).

وأكدت ٤٦% من العينة أنهن تعرضن لتحرش لفظي فقط، بينما أشارت ٦٨% إلى أنهن تعرضن للتحرش بشكل عام، منهن ٤٦% لتحرش لفظي، و٢٢% للتحرش اللفظي والبدني معاً.

من جهته أكد أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس قدري حفني، أن التحرش يرجع إلى رواسب ثقافة العبودية الموجودة منذ القدم، حيث كان التحرش محرماً فقط في حالة ارتكابه ضد الحرائر، أما الإماء

فكان التحرش بهم طبيعيا، وهي نفس الطريقة التي يفكر بها المتحرشون، حيث يعتبرون المرأة التي تعمل لديهم أو تحت رئاستهم ملكا لهم، ويعاملونها على أنها سلعة، مطالبًا بتشديد العقوبة ضد المتحرشين وتخليص العلاقات الاجتماعية من ثقافة الملكية التي تسيطر عليها.

[٣] تقرير نشر عبر الموقع الالكتروني لقناة العربية بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٨ ، هذا نصه :

ضبطت أجهزت الأمن المصرية ٥٥٠ حالة تحرش جنسي بفتيات المدارس في أحياء القاهرة، وأمرت وزارة الداخلية بتحرير محاضر وإحالة المتهمين إلى النيابات المتخصصة لتتولى التحقيق معهم، وذلك وفق بيان أصدرته مديرية أمن القاهرة الأربعاء ١٩-١١-٢٠٠٨، وحصلت "العربية نت" على نسخة منه.

وشملت الحملة محلات ومقاهي للانترنت الموجودة أمام المدارس، والتي يعرض بعضها أفلاما جنسية، حيث تم ضبط ٦ مقاهي انترنت تعمل بدون ترخيص، و٥ محلات تقوم بعرض مواد مخالفه وتستقبل الطلاب المتسربين من المدارس.

وقد أمر اللواء فاروق لاشين، مدير الإدارة العامة لمباحث القاهرة، بشن حملة على مدارس القاهرة، فور تعدد شكاوى أسر الفتيات، ونفذت تحت إشراف اللواء أمين عز الدين مدير المباحث الجنائية بالقاهرة، وذلك وفق مصدر في وزارة الداخلية تحدث لـ"العربية.نت".

وتم عرض هذه الحالات على اللواء إسماعيل الشاعر مساعد أول وزير الداخلية الذي أمر بإحالة المتهمين إلى النيابات المتخصصة لتتولى التحقيقات.

وقال ضابط في وزارة الداخلية، رفض نشر اسمه، إن "الحملة جاءت بعد تعدد البلاغات عن التحرش بالفتيات أمام مدارس القاهرة".

وأضاف"أن معظم من تم ضبطهم في مرحلة عمرية ما بين الـ١٦ و١٨ عاما، وأن الحملة جاءت لتحقيق الانضباط في هذه المناطق"، مؤكدا "أنه تم نشر الشرطة السرية في المناطق التي وردت منها معظم الشكاوى لضبط حالات التحرش بشكل قانوني".

وأشار المصدر إلى أن "أن أجهزة الأمن ضبطت منذ فترة سابقة ما يقرب من ٣٠٠ شخص بتهمة التحرش ومعاكسة الفتيات والسيدات في القاهرة أيضا"،مؤكدا "أن التحرش الجنسي أصبح يشكل رعبا لدى أولياء الأمور في المدارس والجامعات وقد لمسنا هذا من خلال هذه الشكاوى، لذلك تقوم أجهزة الأمن المصرية بالتواجد المستمر في شوارع القاهرة وبجوار المدارس والجامعات بشكل سري لتحقيق الانضباط دون الإخلال بأمن المواطنين ".

كما شملت أيضا الباعة المتجولين ومفترشي الطريق وبائعي السلع التافهة أمام المدارس والمتسولين حيث تم ضبط ٦٥٣من هذه المذكورة.

(٤) تقرير منشور عبر موقع قناة العربية بتاريخ ٢٣ اكتوبر ٢٠٠٨ ، نص المقال:

حذر تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية، المواطنين الأمريكيين في مصر من التحرش الجنسي وسيارات الميكروباص وخدمات الإسعاف، نقلا عن تقرير لوكالة أمريكا إن أرابيك الأربعاء ٢٢-١٠-٢٠٠٨.

وقال التقرير إن "النساء اللاتي ليس في صحبتهن أحد معرضات للتحرش الجنسي والإساءة اللفظية"، مؤكدا أن السفارة الأمريكية "تلقت تقارير متزايدة خلال الشهور الستة الأخيرة عن تعرض أجنبيات للمسات جنسية في سيارات الأجرة والأماكن العامة".

ودعت الحكومة الأمريكية، مواطنيها الذين يلتقون بمصريين على الإنترنت أو خلال التجول في البلاد إلى أخذ الوقت اللازم لمعرفتهم قبل دراسة مسألة الزواج، مشيرة إلى أنه "ليس من النادر قيام مصريين بالدخول في عمليات زواج من أمريكيين (أو أمريكيات) بغرض الهجرة فقط، فالعلاقات التي تطورت من خلال المراسلة، وخصوصا تلك التي بدأت على الانترنت، تكون عرضة بشكل خاص للتلاعب".

وأضاف التقرير: "والسفارة رصدت العديد من قضايا الإساءة ضد أزواج (أو زوجات) أمريكيين، وعادة ما تنتهي حالات الزواج

بالطلاق عندما يحصل المصري على بطاقة الإقامة أو الجنسية في الولايات المتحدة".

وحول خدمات المرور، ذكرت الخارجية الأمريكية أن قيادة السيارات بمصر تمثل "تحديا" في بلد لديه واحد من أعلى معدلات وفيات الطرق في العالم" بحسب التقرير، محذرة من ركوب سيارات "الميكروباص" في شوارع العاصمة المصرية "المحمومة".

وقال التقرير: "يبدو أن معظم إشارات المرور في مصر لا تعمل، لكن التقاطعات مليئة بدلا من ذلك برجال شرطة يستخدمون حركات صامتة بالأصابع للإشارة إلى من يمكنه التحرك".

وإلى ذلك، وصف تقرير الخارجية الأمريكية، خدمة الإسعاف في مصر بأنها "لا يُعتمد عليها"، منتقدا مستوى الخدمة الصحية إجمالا باعتبارها "لا ترقى إلى المعايير الأمريكية".

وأشار التقرير، الصادر الثلاثاء، إلى قلة وحدات العناية المركزة في المستشفيات المصرية، وعدم توافر أطباء متخصصين أو رعاية صحية كافية في الفنادق والمراكب النيلية.

وعلى الصعيد الأمني، قالت الخارجية الأمريكية إن على الأمريكيين في مصر توخي الحذر إزاء السفر إلى المناطق الحدودية، مشيرة إلى حادثة اختطاف ١١ سائحا أجنبيا و٨ مصريين في سبتمبر في المنطقة الصحراوية الجنوبية الغربية بالقرب من الحدود المصرية مع ليبيا والسودان.

من ناحية أخرى، نوه التقرير بتراجع معدلات الجريمة في مصر إجمالا، ولكنه حذر بالتحديد من انتشار حوادث اختطاف الحقائب والنشل.

(٥) تقرير لقناة العربية بتاريخ ٤ اكتوبر ٢٠٠٨ :

عادت حوادث التحرش الجماعي بالفتيات للظهور خلال أيام عيد الفطر في مصر، حيث ألقت أجهزة الأمن على عشرات الشبان قاموا بالتحرش بفتيات في أحد أحياء القاهرة.

وكان نحو ١٥٠ شابا تجمعوا في شارع جامعة الدول العربية بحي المهندسين في القاهرة على رصيفي الشارع، وهاجموا الفتيات والنساء المارات، ووصل الأمر إلى حد تمزيق ملابس بعضهن.

وألقت أجهزة الأمن القبض علي ٣٨ شاباً، وتحفظت علي ٣ فتيات من ضحايا التحرشات للاستماع إلي أقوالهن، بحسب تقرير نشرته صحيفة "المصري اليوم" القاهرية السبت ٤-١٠-٢٠٠٨.

وكانت أجهزة أمن الجيزة قد تلقت إخطارات من شرطة النجدة المتواجدة في شارع جامعة الدول العربية، تفيد تجمع أعداد كبيرة من الشباب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٢ سنة على أرصفة الشارع، وأنهم يرتكبون أفعال تحرش جنسي بالفتيات.

وانتقلت ٤ من سيارات الشرطة إلي الشارع، وتمكن الأمن من القبض علي ٣٨ شاباً فيما هرب الباقون، وذكرت فتيات من ضحايا التحرش - إحداهن منتقبة - إن الشباب هاجموهن بالأيدي ومزقوا ملابس البعض ونزعوا حجاب واحدة، وأن تجمعات من الشباب كانت تحاصر فتيات في مواقع متفرقة من الشارع.

كلفت النيابة الشرطة بإلقاء القبض علي باقي المتهمين، وبدأت تحقيقات مع المقبوض عليهم تحت إشراف المستشار هشام الدرندلي المحامي العام لنيابات شمال الجيزة.

وفي سياق متصل، قالت تقارير نشرته صحيفة "القدس العربي" اللندنية السبت إن أجهزة الأمن في القاهرة ضبطت ٥٣ حالة تحرش ومعاكسة وقضية تسهيل بغاء و٥٢ جريمة أخرى خلال حملاتها أمام دور السينما والحدائق العامة ووسط البلد في أول أيام العيد.

وتحررت المحاضر اللازمة وأحيل المتهمون إلى النيابات المختصة للتحقيق. وتم القبض على ربة منزل في روض الفرج (٣٥ سنة)، أثناء عقدها صفقة بغاء على مقهى وعرض ساقطة (١٨ سنة) من إمبابة على أحد راغبي المتعة الحرام، كما ألقي القبض على ٥٣ متهماً بالتحرش الجنسي والمعاكسات طاردوا الفتيات في مناطق الزحام، خاصة في وسط المدينة.

وكانت قضية "التحرش الجنسي الجماعي" شغل الرأي العام المصري خلال العيد العام الماضي، وأحدثت ضجة كبيرة اتهمت خلالها الراقصة دينا بإثارة الشباب بعد قرارها أن تقوم بـ"الدعاية" لفيلمها "عليا الطرب بالثلاثة" على طريقتها الخاصة.

وتشير بعض الإحصاءات والأرقام العربية إلى أن ظاهرة التحرش باتت مفزعة في العديد من الدول العربية وأنها لم تعد مجرد أمر شاذ تقوم به قلة منحرفة، وإنما سلوك متزايد من قبل العديد من الشباب العربي المراهق والكبير على السواء.

،،، تقرير من جريدة المصري اليوم بتاريخ ٤ اكتوبر ٢٠٠٨ :

تكررت حادثة التحرش الجنسي الجماعي، مساء أمس الأول، في شارع جامعة الدول العربية بحي المهندسين، إذ تجمع ما يزيد علي ١٥٠ شاباً علي رصيفي الشارع، وهاجموا الفتيات والنساء المارات، ووصل الأمر إلي حد تمزيق ملابس بعضهن. ألقت أجهزة الأمن القبض علي ٣٨ شاباً، وتحفظت علي ٣ فتيات من ضحايا التحرشات للاستماع إلي أقوالهن.

كانت أجهزة أمن الجيزة قد تلقت إخطارات من شرطة النجدة المتواجدة في شارع جامعة الدول العربية، تفيد تجمع أعداد كبيرة من الشباب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٢ سنة علي أرصفة الشارع، وأنهم يرتكبون أفعال تحرش جنسي بالفتيات.

انتقلت ٤ من سيارات الشرطة إلي الشارع، وتمكن الأمن من القبض علي ٣٨ شاباً فيما هرب الباقون، وذكرت فتيات من ضحايا التحرش - إحداهن منتقبة - إن الشباب هاجموهن بالأيدي ومزقوا ملابس البعض ونزعوا حجاب واحدة، وأن تجمعات من الشباب كانت تحاصر فتيات في مواقع متفرقة من الشارع.

كلفت النيابة الشرطة بإلقاء القبض علي باقي المتهمين، وبدأت تحقيقات مع المقبوض عليهم تحت إشراف المستشار هشام الدرندلي المحامي العام لنيابات شمال الجيزة.

،،،، تقرير اخر من موقع قناة العربية بتاريخ ١٧ نوفمبر ٢٠٠٨ :

قضت محكمة مصرية الاثنين ١٧-١١-٢٠٠٨ بحبس متهم بالتحرش الجنسي بالفتيات في شارع جامعة الدول العربية بالقاهرة في عيد الفطر الماضي، سنة مع الشغل، وأفرجت عن ٣٦ شخصا، فيما حولت متهما آخر إلى محكمة الأحداث نظرا لحداثة سنه.

وقالت المحكمة في حيثياتها أنها اطمأنت لاقول شاهد الاثبات وهو صحافي تواجد أثناء وقوع التحرش، علاوة علي تحريات المباحث الجنائية حول الواقعة.

ويذكر ان جريمة التحرش الجنسي غير واردة في القانون المصري، لكن القضاة يستخدمون بندا في قانون العقوبات يجرم "الفعل الفاسق" في حالات التحرش الجنسي.

وتعود القضية إلى ثاني أيام عيد الفطر المبارك عندما شهد شارع جامعة الدول العربية الذي يرتاده الكثير من السياح العرب، تحرشا جماعيا بالفتيات، حيث تلقت أجهزة أمن الجيزة إخطارات من شرطة النجدة المتواجدة في الشارع، بتجمع أعداد كبيرة من الشباب تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٢ سنة على الأرصفة، وأنهم يرتكبون أفعال تحرش جنسي بالفتيات.

وألقت أجهزة الأمن القبض علي ٣٨ شاباً، وتحفظت علي ٣ فتيات من ضحايا التحرشات للاستماع إلي أقوالهن، وذكر بعضهن وبينهن منتقبة أن الشباب هاجموهن بالأيدي ومزقوا ملابسهن، ونزعوا حجاب واحدة، وأن تجمعات من الشباب كانت تحاصر فتيات في مواقع متفرقة من الشارع.

وقد باشرت النيابة التحقيقات مع الـ٣٨ شابا الذين تم القبض عليهم، وتم تحويلهم الي محكمة جنح العجوزة التي اصدرت حكمها صباح اليوم الاثنين برئاسة المستشار طارق حامد رئيس المحكمة، بمعاقبة المتهم إسلام مجدى (١٩ سنة) بالحبس سنة مع الشغل.

وأخلت المحكمة سبيل ٣٦ منهم، وأحيل المتهم محمد مدحت لمحكمة الأحداث نظراً لصغر سنه، وتم تقديم المتهم إسلام مجدى إلى المحاكمة التى عاقبته بالحبس سنة مع الشغل والنفاذ.

وقالت المحكمة فى حيثيات حكمها، إنها اطمأنت لأقوال شاهد الإثبات، وهو الصحفى خالد إدريس بجريدة الوفد، كما أنها اطمأنت لتحريات المباحث حول الواقعة.

وكانت محكمة مصرية عاقبت في ٢١ اكتوبر الماضي شابا تحرش بمخرجة أفلام وثائقية في ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة بالحبس ثلاث سنوات. ولا يوجد في القانون المصري مواد تعاقب على جريمة

التحرش الجنسي، لكن القضاة يستخدمون بندا في قانون العقوبات يجرم "الفعل الفاسق" في حالات التحرش الجنسي.
وكان المركز المصري لحقوق المراة نشر هذا الصيف تقريرا افاد بان ٨٣% من المصريات و٩٨% من الاجنبيات يتعرضن للتحرش الجنسي. ووافقت ١٢% فقط من ٢٥٠٠ سيدة ابلغن المركز بتعرضهن للتحرش على تقديم شكوى للشرطة.

(٦) تقرير لقناة العربية بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠٠٨ :

أكد المركز المصري لحقوق المرأة، وهو منظمة غير حكومية مصرية تعنى بشؤون المرأة، أن أكثر من ٨٠ % من النساء يتعرضن للتحرش الجنسي في مصر.

وقالت مديرة المنظمة نهاد ابو القمصان في مؤتمر صحفي، الخميس ١٧-٧-٢٠٠٨، إن المركز توصل إلى هذه النتيجة بعد أن "أجرى دراسة على ٢٠٢٠ رجلا وامرأة من بينهم ١٠٩ نساء أجنبيات في القاهرة الكبرى".

وكشفت "ابو القصمان" لـ"العربية.نت" عن مشروع قانون جديد لوقف التحرش الجنس ساهم المركز في الإعداد له بنسبة كبيرة وأن المجلس القومي للمرأة سوف ينتهي من صياغته قريبا.

ويعرّف المركز التحرش الجنسي بأنه "كل سلوك غير لائق له طبيعة جنسية يضايق المرأة أو يعطيها إحساسا بعدم الأمان".

وتوضح نتائج الدراسة التي اطلق عليها "غيوم في سماء مصر" ان نسبة التحرش سواء بالمصريات أو الأجنبيات في ازدياد.

وحسب الدراسة فإن ٨٣% من النساء المصريات و٩٨% من الاجنبيات اللاتي شملتهن الدراسة اكدن انهن تعرضن للتحرش.

واشارت ٤٦،١% من المصريات و٥٢،٣% من الاجنبيات الى انهن يتعرضن للتحرش بشكل يومي في الشارع وفي المواصلات العامة.

واوضحت ابو القصمان ان ٤٢% من الرجال الذين شملتهم الدراسة اقروا بأنهم تحرشوا بنساء.

واكدت الدراسة ان النساء المحجبات، وهن الغالبية في مصر، يتعرضن كذلك للتحرش. وهو ما اعتبرته، ابو القمصان، يدحض

الحجة القائلة إن النساء يتعرضن للتحرش "لانهن يرتدين ملابس غير محتشمة".
وتعتقد ابو القمصان ان هناك "تناقضا في المجتمع المصري الذي يشهد نسبة تدين مرتفعة لم تمنع تزايد التحرش"، واعربت عن اسفها لأن المصريات "يلمن انفسهن عندما يتعرضن للتحرش رغم انهن الضحية".
وكشفت نهاد أبو القمصان، مدير المركز المصري لحقوق المرأة، في حديث لـ"العربية.نت"، عن مشروع قانون جديد لوقف التحرش الجنس ساهم المركز في الإعداد له بنسبة كبيرة وأن المجلس القومي للمرأة سوف ينتهي من صياغته نهائيا هذا الصيف لتقديمه إلى مجلس الشعب المصري في دور الانعقاد القادم عقب الإجازة البرلمانية.
وأكدت نهاد أبو القمصان أن القانون الجديد يضع مفاهيم دقيقة لمعنى التحرش الجنسي وفق المعايير الدولية، وسيوضح طرق إثبات التحرش الجنسي، وطرق العقاب التي تصل الى السجن والغرامات المالية، وهناك تنسيق بيننا وبين وزارة الداخلية المصرية لصياغة القانون بالإضافة الى عدد من أعضاء مجلس الشعب المصري.
وأوضحت أن الصياغة النهائية للقانون لم تكتمل بعد، ولكن هناك جدية في إصراره وسيكون ثمرة لجهود ثلاث سنوات مضت منذ الحديث عن التحرش الجنسي في وسائل الإعلام المصرية.
وأضافت أنه رغم وجود بعض مواد القوانين التي تعاقب على خدش الحياء أو الاغتصاب في قانون العقوبات المصري، الا أن مفهوم التحرش أبعد من ذلك بكثير وأعمق فالاغتصاب جريمة في حد ذاته وليس مجرد تحرش جنسي مثلا.
وبالنسبة الى المظهر العام للنساء اللاتي تعرضن بالفعل للتحرش، كشفت نتائج الدراسة أن المحجبات اللواتي يرتدين بلوزة قصيرة هن الأكثر تعرضا للتحرش.
وقد أوضحت النتائج على عينة الدراسة من الأجنبيات إلى أنهن كانت لديهن توقعات عن التحرش الجنسي فى مصر وكان لذلك تأثيرا سلبيا على نظرتهن لمصر، ولكن هذا لا يمنع زيارتهن إلى مصر مجددا، في حين أفادت ١٧ % منهن أنه لم يكن للتحرش أي أثر سلبي على

نظرتهن للمجتمع المصري، كما أشارت ٧ % أنهن فكرن فى أن يغادرن مصر وألا يعدن إليها.

وخلصت نتائج الدراسة إلى وجود ردود فعل سلبية على كافة المستويات سواء من قبل ضحية المتحرش أو على مستوى الجمهور الشاهد لفعل التحرش، فبالنسبة إلى ضحية المتحرش أوضحت نتائج الدراسة أن الغالبية العظمى من النساء لم يفعلن شيئا إزاء تعرضهن للتحرش مما يعد من أكثر المعوقات صعوبة أمام جهود الحد من ممارسة التحرش الجنسي.

(٧) تقرير لقناة العربية بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٧ :

على عكس المتوقع، أكدت دراسة علمية صدرت في القاهرة أن نسبة الجرائم تزيد في شهر رمضان بمعدل ٢٠ إلى ٣٠ % عن غيره من شهور السنة، ما جعل الشهر الفضيل مرتبطا بانتشار نوع معين من السرقة، هو السرقة داخل المساجد وأثناء الصلاة.

وتوصل الدكتور أحمد المجدوب، أستاذ القانون الجنائي والخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، في الدراسة التي وضعها، إلى أن جرائم السطو المسلح والنشل والسرقة تزيد في شهر رمضان، كذلك تزيد معدلات الجرائم الزوجية كالضرب والإهانة والطرد من المنزل والقتل لأتفه الأسباب خاصة قبل الإفطار أو خلال العشر الأيام الأخيرة من الشهر الكريم.

وفي حديثه لـ"العربية.نت" أكد المجدوب أن هذه الدراسة تم الرجوع فيها للإحصاءات التي تصدر حسب التقويم الميلادي. وهو ما اضطره لضبط الإحصاءات الميلادية مع شهور رمضان، على مدار السنوات محل الدراسة. وخلصت النتيجة إلى استنتاج أن الجرائم تزيد في رمضان عكس المتوقع.

أما سبب ذلك، فهو أن شهر الصوم لم يعد، عند الكثيرين، فترة للتقوى والإمساك والعبادة، بل تحول إلى شهر الاحتفالات والسهر على المقاهي وأمام شاشات الفضائيات. وبالتالي لم يعد الدين مؤثرا بما فيه الكفاية كوازع يمنع الناس من المعاصي وارتكاب الجرائم.

وأشار المجذوب إلى أن التحدي الاجتماعي على أشده في رمضان، "ففي الفنادق الكبيرة والأندية تقام خيم رمضانية ليس لها صلة بشهر

رمضان، بل إنها مرتع لنساء عاريات إضافة إلى الغناء والرقص حتى وقت السحور".

وقال: "إن رمضان أصبح يرتبط بانتشار نوع معين من النشل والسرقة. ومنها السرقة داخل المساجد وأثناء الصلاة، وهذا يدل على مدى الانحطاط الإيماني الذي وصل إليه البعض. في ذات الوقت تقل سرقات المساكن والمحال التجارية وذلك بسبب سهر الناس لساعات متأخرة من الليل. كما تزيد جرائم العنف والمشاجرات لأن الذين ينقطعون عن تناول المخدرات يصبحون عصبيين وسريعي الانفعال".

وأكد أن الزحام في رمضان يؤدي إلى زيادة واضحة في جرائم التحرش الجنسي داخل وسائل النقل العام وفي الأسواق، وفي أماكن المراكز التجارية، إذ اشتهرت منذ سنوات حادثة اغتصاب "فتاة العتبة"، والتي حدثت أيضا في الأيام الأخيرة من شهر رمضان.

ولفت إلى أن مساحة الحوادث في الصحف اليومية تزداد خلال رمضان، أما في الأيام العادية تكون عادة صفحة الحوادث نصف صفحة فقط، بالإضافة إلى التنوع الكبير في الجرائم، اغتصاب، هتك عرض، عنف، وسرقات.

من ناحية أخرى، قال المجدوب إن ظاهرة العنف ضد الأسرة تزيد في رمضان بسبب زيادة الاستهلاك وقائمة الاحتياجات المتعددة خلال الشهر، والتي ينوء بها الأزواج مع إلحاح الزوجات دون مراعاة لظروف الزوج المالية، كما أن الإعلانات التلفزيونية تعلي من سقف الاستهلاك في رمضان وبالتالي تزداد الخلافات ويصبح جو الأسرة مشحون بالغضب.

ويلاحظ تكرار نوع معين من جرائم القتل، وهو أن يلقي الزوج بزوجته من شرفة المنزل، وقد تكررت هذه الجريمة في أكثر من شهر رمضان، خاصة خلال العشرة أيام الأخيرة من الشهر حيث تزداد الطلبات أكثر مع قدوم عيد الفطر.

يذكر أن "ملتقى الحوار للتنمية وحقوق الإنسان" بالقاهرة قد أصدر تقريرا حول "جرائم الفقر في مصر" في يناير ٢٠٠٦ قال فيه إن الفقر هو الدافع الأول لجرائم القتل والسرقة والانتحار.

في حين أشار تقرير للأمم المتحدة حول التنمية الإدارية في مصر إلى أن ٣٤ مليون مصري يعيشون في فقر مدقع، وانخفض دخل ٣١% من المصريين إلى ١٠٠ جنيه شهريا.

كما أشار التقرير إلى أن ١٠ ملايين من المصريين لا يستطيعون الحصول على احتياجاتهم من الغذاء، خاصة بعد موجة ارتفاع الأسعار الأخيرة.

وكشف تقرير حديث للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء أن ١٢ مليون مصري يعيشون في العراء بلا مأوى، وأن هؤلاء يعيشون في المقابر والعشش والكراجات والمساجد وتحت السلالم.

وفي إجابته على سؤال عن انخفاض الدخل وزيادة معدلات الفقر كسبب في زيادة العنف والجريمة بمصر، خاصة خلال شهر رمضان، يؤكد المجدوب صحة هذه الأسباب، "خاصة إذا علمنا أن عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر يزيدون يوميا، ولا ننسى أيضا أن هناك ٦,٥ مليون شاب عاطل من خريجي الجامعات، و٦٥% من الجرائم التي تشهدها مصر سنويا يرتكبها عاطلون عن العمل".

(٨) تقرير لقناة العربية بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٠٧ :

بالتزامن مع نشر دراسة تشير إلى احتلال مصر المركز الأول بين الدول العربي في معدلات الجريمة الجنسية، كشف مصدر في وزارة الداخلية المصرية أن إدارة مكافحة جرائم الآداب ضبطت أكثر من ٤٥ ألف جريمة آداب منذ بداية عام ٢٠٠٦ وحتى مارس ٢٠٠٧، بينما شهد العام ٢٠٠٦ أكثر من ٥٢ ألف جريمة تحرش جنسي واغتصاب.

وكانت دراسة حديثة أجرتها أستاذة القانون الجنائي بالمركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية فادية أبو شهبة حول الموضوع، خلصت فيها إلى أن مصر تأتي في المرتبة الأولى بين الدول العربية من ناحية ارتفاع معدلات الجرائم الجنسية.

وتحدثت صاحبة الدراسة لـ "العربية.نت" عن "تزايد ملحوظ في عمليات اغتصاب الإناث في مصر خلال الفترة الأخيرة"، مضيفة إن "هناك فئات مهنية لم تكن موجودة من قبل في قائمة الجناة، وعلى رأسهم أطباء ورجال دين ومدرسون ورجال شرطة وهو ما ينذر بكارثة ويهدد سلامة وأمن المجتمع".

وحذرت أبو شهية في الوقت ذاته من خطورة انتشار ظاهرة اغتصاب المحارم والأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٨ سنة والاغتصاب الجماعي والاغتصاب المقترن

بقتل الضحية، مطالبة بتغليظ الرادع القانوني وسرعة إجراءات التقاضي في جرائم الآداب حتى يتم معالجة هذا الخلل.

وقد شهد البرلمان المصري مناقشة ساخن حول عدد جرائم الاغتصاب في البلاد، كشف خلالها مساعد وزير الداخلية اللواء أحمد ضياء الدين إن إدارة مكافحة جرائم الآداب قامت بضبط ٤٥ ألفا و٢٣٢ قضية آداب في الفترة بين بداية ٢٠٠٦ وحتى مارس ٢٠٠٧. بينما ارتفعت جرائم التحرش الجنسي والإغتصاب بأكثر من النصف لتصل إلى ٥٢ ألفا و٦٨٥ قضية في ٢٠٠٦، بعدما اقتصرت على ٢١ ألفا و٢١٠ قضايا في العام الذي سبقه.

وأكد ضياء الدين، خلال رده على بيان للنائب الإخواني محسن راضي أمام لجنة الدفاع والأمن القومي في البرلمان، أن إحصائيات مصلحة الأمن العام في مصر كشفت وجود ٥٤ جريمة هتك عرض واغتصاب خلال العام الماضي فقط، محذرا من حدوث كارثة اجتماعية وأخلاقية إذا لم يتم معالجة هذا الخلل.

كما أرجع سبب ارتفاع معدلات الجرائم الجنسية إلى انتشار التقنيات الحديثة والانترنت والعري الفضائي الذي يتعرض له الشباب على مدار اليوم.

وكان النائب الإخواني محسن راضي قدم بيانا للجنة الدفاع والأمن حول زيادة جرائم الاغتصاب، مستشهداً بإحصائية حديثة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر تقول إن ٢٠ ألف حالة اغتصاب وتحرش جنسي ترتكب في مصر سنويًا.

وذكرت الإحصائية إن هناك حالتي اغتصاب تتم كل ساعة تقريبًا، وأن ٩٠% من جملة القائمين بعمليات الاغتصاب عاطلين.

بدوره تحدث الخبير النفسي د. أحمد عبد الله لـ "العربية.نت"عن دراسة أجراها، أظهرت أن ٦٠% من الفتيات والنساء في مصر يتعرضن للتحرش الجنسي، سواء كان تحرشا لفظيا أو من خلال

الصورة، أو باللمس عن طريق مس أجزاء من جسد الأنثى، فضلا عن أقصى درجات التحرش وهو الاغتصاب".
وأكد عبد الله على وجود عدة أسباب لانتشار هذه الجرائم، "منها ضعف الرادع الاجتماعي والقانوني، وزيادة الدوافع لدى الشباب لارتكاب مثل هذه الأفعال. فهناك رغبات جنسية تغذيها وسائل الإعلام الإباحية وليس هناك قناة شرعية تفرغ فيها هذه الشهوة".
يذكر أن المركز المصري لحقوق المرأة في مصر، خلال حملة قام بها في مارس الماضي لمحاربة التحرش الجنسي، كان قد طالب في مارس الماضي، طالب بنشر "دروس العفة" بين طلبة المدارس حتى لا يقعوا ضحية للإغراءات الجنسية وللتحرش.
[٩] تقرير لقناة العربية بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٠٧ :
قالت دراسة أعدها المركز المصري لحقوق المرأة حول التحرش الجنسي في مصر، إن ٤٠ % من المصريات يتعرضن للتحرش الجنسي من خلال "اللمس".
وأشارت الدراسة - التي جرت على عينة من ١٠٨٢ استمارة - إلي أن التحرش لا يقتصر فقط على عمر أو طبقة اجتماعية معينة، ولكنه يعوق تقدم المرأة ديموغرافياً، مؤكدة أن أبرز الأشكال الشائعة للتحرش هو اللمس بنسبة ٤٠%، يليه التحرش بالألفاظ البذيئة بنسبة ٣٠%، بحسب تقرير لصحيفة المصري اليوم الاحد ٢٥-٣-٢٠٠٧ .
وأوضحت النتائج أن ٣٠% من المعتدى عليهن يتعرضن للتحرش الجنسي يومياً و٢% فقط منهن يلجأن إلى الشرطة عند تعرضهن للتحرش، مؤكدة أن النساء لا يثقن في أن النظام القانوني الراهن يوفر لهن الحماية من المتحرشين بهن.
وأكدت الدراسة التي أجريت في عدة محافظات، منها القاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية وقنا والمنيا وسوهاج والأقصر، أن أعلي نسبة للتحرش كانت ضد الفتيات اللائي يذهبن للمدرسة سيراً على الأقدام أو بالمواصلات، ثم النساء أثناء توجههن من وإلي العمل أو في موقع عملهن، موضحة أن النسبة المئوية الأعلي لأشكال التحرش الجنسي الأكثر شهرة هي المضايقة الشفهية والتي تتضمن كلمات قاسية وقحة تصف أجزاء جسد المرأة.

وقالت الدراسة: حتي النساء الأكبر سنا يواجهن أشكالاً مختلفة من التحرش بنسبة عالية، مما يعني أن مظهر البنت أو عمرها الصغير ليس مكمن إثارة الرجال للتحرش بالنساء كما يعتقد الكثيرون.
وأوضحت أن شكل رد الفعل الشفوي تجاه التحرش والمتمثل في النظر أو القول حصل على ٦,١٣% من نسبة المشاركات، بينما بلغت نسبة من آثرن السلامة ولم يتخذن أي رد فعل تجاه مضايقتهن، نحو ٦,٢٩% وكانت نسبة من طلبن المساعدة من السلطات ٢% فقط.
وكانت القاهرة قد شهدت في عيد الفطر الماضي أحداث تحرش جنسي في وسط العاصمة أمام بعض دور السينما، وهو ما أثار جدلا كبيرا حولها خاصة مع نفي جهات أمنية لوقوع هذه الأحداث، وطالبت ناشطات نسائية بحماية المرأة في شوارع القاهرة.
(١٠) تقرير لقناة العربية بتاريخ ٩ نوفمبر ٢٠٠٩ :
تظاهر الخميس ٩-١١-٢٠٠٦ مئات السيدات والفتيات، بينهن عدد من طالبات الجامعة الأمريكية والجامعات الأخرى في القاهرة أمام مبنى نقابة الصحفيين احتجاجا على أحداث التحرش الجنسي التي شهدتها منطقة وسط العاصمة أمام بعض دور السينما في أول أيام عيد الفطر الماضي وهو ما أطلقت عليه بعض وسائل الاعلام حالة "السعار الجنسي".
ونظمت تلك المظاهرات عدد من الجمعيات والمنظمات النسائية وشارك فيها عشرات من الرجال، فيما ذكرت ناشطة نسائية لـ"العربية.نت" أن التحرشات الجنسية تحولت إلى سلوك يومي يشهده الشارع المصري وبعض الأماكن ووسائل النقل العامة مثل الاتوبيسات، متهمة بعض رجال الشرطة في الدوريات الراكبة أو الثابتة بالتحرش أيضا بالنساء.
وقالت لمياء لطفي الناشطة في مؤسسة المرأة الجديدة- وهي منظمة حقوقية نسائية مصرية- لـ"العربية.نت" إن خوف النساء من السخرية والاستهزاء والتعرض للتحرش الجنسي داخل أقسام الشرطة وراء الإحجام عن عدم التقدم ببلاغات عما حدث لبعضهن في وسط البلد أو ما يتعرضن له يوميا في الشارع والاتوبيسات وفوق الكباري وفي أماكن التنزه بالحدائق.

ونظمت تلك المظاهرات الاحتجاجية التي تميزت بلافتات تنتقد التحرشات الجنسية كل من مؤسسة المرأة الجديدة، ومؤسسة قضايا المرأة، والمركز المصري لحقوق المرأة، ومنظمة المرأة العربية.

وتضمنت تلك اللافتات شعارات تطالب بتوفير الأمن النفسي والبدني للنساء في الشارع، من بينها "أنا وأنت من حقنا نمشي بأمان وكفاية معاكسة.. الشارع لنا.. اوقفوا التحرش الجنسي.. الكبت ليس عذرا.. أين دور الشرطة؟"".

وأكدت لمياء لطفي أن حالات التحرش الجنسي بالنساء أصبحت تجري بشكل اعتيادي يومي وليست مقصورة على أيام العيد فقط، لكن الجديد أنها تحولت من حالات يقوم بها أفراد بالألفاظ والاحتكاكات المباشرة، إلى شكل منظم جماعي أول يوم العيد في وسط البلد وصل لتقطيع ملابس النساء، وهو ما كشفته بعض وسائل الإعلام ومدونات الانترنت.

وقالت لمياء عبر الهاتف لـ"العربية.نت" من مكان المظاهرة أمام نقابة الصحفيين: التحرشات الجنسية سلوك يومي نتعرض له سواء في العيد أو غير العيد. حوادث أول أيام العيد ليست السابقة الوحيدة في ذلك. الأمور وصلت لحد من الصعب السكوت عليه، فحتى رجل الشرطة في الشارع من خلال وجوده في دورية الأمن الراكبة أو الثابتة يتحرش بالنساء. هذا أمر معتاد ولا نتكلم بشأنه لأول مرة.

وأضافت: لم أكن من شهود عيان السعار الجنسي الذي اجتاح وسط البلد أمام دور السينما، لكني استمعت إلى شهادات من بعض صديقاتي جاء فيها: "كن داخل سيارات "التاكسي" عندما مررنا على المكان وسمعنا صرخات الضحايا اللاتي تم الامساك بهن وتعريتهن من بعض ملابسهن".

واستطردت: استمعت أيضا لشهادات أصحاب المحلات في المنطقة الذين أكدوا أنهم جعلوا من محلاتهم ملاذا للهاربات من تلك التحرشات.

وقالت لمياء: كما تم توزيع بعض الصور التي التقطت للتحرشات، اضافة إلى ما كتبه وصوره أصحاب المدونات مثل الصحفي وائل عباس وهم شهود ثقة عندنا وإن كانوا ليسوا كذلك عند الجهات الأمنية.

وواصلت لمياء لطفي: الكثيرون تساءلوا: لماذا لم تقدم الضحايا بلاغات حول ما تعرضن له؟.. المشكلة أنهن يخشين التحرش بهن في أقسام الشرطة أيضا، فهناك خبرة سابقة استقينها ممن ذهبن سابقا للشكوى من مثل هذه الأمور، بأنهن يواجهن سخرية واستهزاء وأسئلة سخيفة وتحرشات، وتحميلهن تبعات ما حصل لهن، كاتهامهن بارتداء ملابس مثيرة أو تعمد جذب الشباب لمعاكستهن والتحرش بهن.
ومضت تقول: رجال الشرطة لا يفرقون بين الشباب والفتيات في المظاهرات ويقومون بسحل الجميع على حد سواء. والمجتمع نفسه لا يرحم المرأة التي تتعرض للتحرش ويعتبرها مسؤولة عن جريمة الاعتداء عليها جنسيا أو نفسيا او لفظيا لأنها غير محجبة مثلا أو لا تغطي شعرها، مع أنه كانت محجبات ومنقبات أيضا بين من تعرضن لاعتداءات التحرش الجنسي في وسط القاهرة.
وتحدث الصحفي المصري عوض المغازي من موقع المظاهرة أيضا قائلا إن الملفت هو مشاركة أعداد كبيرة من طالبات الجامعة الأمريكية اللاتي أكدن أنهن عرضة للتحرشات الجنسية يوميا، وقد جئن حاملات لافتات مكتوبة باللغة الانجليزية تندد بهذا السلوك الذي يصفنه بأنه أصبح شائعا بصورة مخيفة.
وأضاف: يطالبن في تلك اللافتات بتوفير الأمن النفسي والبدني لهن واحترام أخلاق المجتمع، فهن على حد قولهن يسمعن كلاما فاحشا علنيا على مسمع من الجميع دون رادع، ويتطور هذا الكلام أحيانا إلى اللمس خاصة في الاتوبيس والمترو، وقد تتعرض الفتاة التي تحاول الاعتراض أو المقاومة للأذى والضرب دون أن يتدخل أحد لحمايتها.
وقرأ المغازي استمارة وضعها ووزعها المركز المصري لحقوق المرأة أثناء المظاهرة. وطرحت هذه الاستمارة عدة أسئلة من بينها: هل حدث لك أو لأي أحد من معارفك تحرش جنسي.. هل تعرضت من قبل إلى أي من التعليقات الجنسية التي تثير الاشمئزاز.. هل تم لمسك أو الامساك بك رغما عنك من قبل؟"".
وتضيف الاستمارة أن هذه السلوكيات تسمى بالتحرش الجنسي، وأن الآثار التي تترتب عليها هي الشعور بالخوف والانفعال والاحباط وفقدان الثقة بالنفس والصدمة وعدم الأمان والاحساس بالخيانة، ويخلق

لديها نوعا من التوجهات المعادية للآخرين والتردد عن الدخول في مجالات العمل خوفا من التحرش بها، ومن الأثار الجسدية الشعور بالصداع والانتفاخ.
ونصحت الاستمارة المتحرش بهن باثارة الموضوع وسط العائلة والأصدقاء دون خوف وعدم التساهل مع حالة التحرش والابلاغ عنها فورا، وتشجيع النساء على الافصاح والاتصال بالمنظمة عن طريق بريدها الالكتروني.
ونقل عوض الغازي عن مروة مختار منسق البرامج في المركز المصرى لحقوق المرأة ان هذه المظاهرة ليست الأولى من نوعها، فقد نظم المركز مظاهرة احتجاجية عندما تم التحرش بالسيدات المتظاهرات أثناء الاستفتاء على المادة ٧٦ من الدستور التي أتاحت لأول مرة مبدأ الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٥.
وقالت إن مظاهرة اليوم لا تأخذ الطابع السياسي، لكننا نطالب بحماية الشرف، واصدار تشريع يجرم التحرش الجنسى اقتداء بالصين التى شرعت قانونا بهذا الشأن، خاصة وان قانون العقوبات المصرى يعاقب على هتك العرض والاغتصاب فقط. وعن تجربتها مع التحرش الجنسى قالت: مثلى وكثير من صديقاتي نتعرض للتحرش فى الشوارع والمواصلات، ومنذ عام ٢٠٠٠ زادت نسبة التحرش الجنسى بالبنات عموما ، ولم تسلم من التحرش السيدات المحجبات او السيدات فى سن الاربعين.
(١١) بيان صحفى مركز الجنوب لحقوق الإنسان يطالب بالتحقيق فى التسامح الأمنى ضد إنتهاك أعراض بنات المحروسة خلال أيام العيد :
رصد مركز الجنوب لحقوق الإنسان انتهاكات للحق في الحرية والأمان الشخصى طوال أيام عيد الفطر فى أماكن مختلفة من وسط القاهرة، حيث تم التحرش وانتهاك أعراض العديد من الفتيات فى مناطق مختلفة من عاصمة مصر المحروسة ، وبالتحديد فى منطقة وسط البلد أمام سينما مترو وشارع عدلي وميدان طلعت حرب وكورنيش النيل أمام ميدان عبدالمنعم رياض فى ظل غياب أمنى.
فقد رصد مركز الجنوب قيام مجموعات كبيرة من الشباب بالتحرش بالفتيات والنساء بالمخالفة للقانون فى ظل تسامح أمنى ، حيث توافرت

معلومـات لـدى المركـز بقيـام مجموعـات كبيـرة مـن الـشباب بتهديـد وملاحقـة والإعتـداء علـى الفتيـات خـلال أول وثـانى أيـام عيـد الفطـر بصورة وحشية وصلت إلى تجريد بعضهن من الملابس تحت سمع ومرأى من أفراد ألامن المحدودة في المنطقة.

كما أكدت المعلومات أن العدد القليل من الجنود وضباط الأمن الذين تـصادف وجـودهم أثنـاء الأحـداث لـم يكـن لهـم دور يـذكر فـى حمايـة الفتيـات اللاتـى تعرضـن للتحـرش والإنتهـاك، إذ تأكـد للمركـز عـدم تعرض أيا من المعتدين على الفتيات لأى نوع من أنواع العقاب فلم يتم القبض على أى من المعتدين نتيجة عدم توافر الحمايـة الأمنيـة اللازم توافرها فـى مثـل هذه الظـروف، وممـا يثيـر الدهشة أن هـذه الأحـداث كانت قد تكررت، حيث توافرت لدى المركز معلومات تفيد بتكرار هذه الأحـداث الهمجيـة التـى تمت ضـد الفتيـات فـي هـذا العيـد وعلـى مـدار الأعياد السابقة وفي احتفالات الحصول على كأس الأمم الأفريقية.

إن مركز الجنوب لحقوق الإنسان إذ يؤكد علـى أن مـا حـدث فـى وسـط مدينة القاهرة من تـصرفات مشينة لعدد كبير من الشباب يعتبر دليلاً علـى مـشكلات ضـخمة يعـانى منهـا المجتمـع المـصرى بـسبب الفقـر والبطالـة وتـأخر سـن الـزواج وسـيادة ثقافـة العنـف واللامبـالاة وعـدم احتـرام الاخـر فـى ظـل تـسامح المـسئولين عـن الأمـن، فإنـه يـدعو الـى العمل على عدم تكرار مثل هذه المظاهر المعبرة عن تـدهور المجتمـع الذي اصبح يلقي باللوم على الضحية بدلاً من القاء اللوم علـى المسئول الحقيقـي، كمـا يطالـب الـضحايا وأهـاليهم بعـدم مواجهـة الاعتـداءات بالصمت خوفاً من العار بل بالفضح والمطالبـة بعـدم إفـلات الجنـاة مـن العقاب.

إن تسامح أمن النظام مع ما حدث من انتهاكات فـى أيـام العيـد للفتيـات والنساء ليس بالأمر المفاجئ لأنه يذكرنا بتسامحه مع انتهاكـات مماثلـه تحدث ضد الأقليات من المسيحيين واللاجئين والنساء دون أدنـى تـدخل رادع من الأمن.

ان مركـز الجنـوب إذ يحـذر مـن أن مـا حـدث فـى وسـط القـاهرة ضـد النـساء والفتيـات لا يعبـر فقـط عـن تـسامح الدولـة مـع ثقافـة الإضـطهاد والعنف طالما أنها لا تتوجـه بـشكل مباشـر لكبـار المـسئولين فـى الدولـة

ومصالحهم، وإنما يعبر عن أن قطاعات واسعة من مجتمعنا المصرى وخاصة من الشباب الذين يفتقرون إلى التحقق على كافة المستويات، بداية من إنتخاب من ينوب عنهم مروراً باختيار ما يدرسونه من مناهج التعليم أو ما سيعملون به من وظائف إن وجدت. ففى مثل هذا الوضع يكون من السهل إختيار الأهداف الخطأ للتنفيث عن الشعور بالتهميش، وليس أدل على ذلك من ازدياد حالات الاضطهاد ضد الاقليات مثل اللاجئين والمسيحيين والنساء باعتبارها الحلقات الأكثر ضعفاً فى مجتمع لا يشعر الإنسان فيه بأن له دور يذكر فى تقرير مصيره.

إن مركز الجنوب لحقوق الإنسان إذ يلقى باللوم بشكل كامل على مسئولى وزارة الداخلية وعلى رأسها وزير الداخلية ومسئولى أمن محافظة القاهرة فى عدم قيامهم بواجبهم فى الحفاظ على أمن المواطنين وحماية الفتيات والنساء من الإنتهاك والتحرش، فإنه يطالب بالتحقيق الفورى فى أحداث الإعتداءات التى تمت في أيام العيد فى منطقة من أهم مناطق العاصمة وهى وسط البلد، والعمل علىعدم تكرار ظاهرة إفلات الجناة من العقاب.

،،،،،،،،،، تقرير اخر من جريدة المصري اليوم بتاريخ ٣١ اكتوبر ٢٠٠٦ :

مع نهاية رمضان واحتفالات الجميع بالعيد، خرج المصريون إلي الشوارع، ومع الزحام الشديد تفاقمت إحدي الظواهر القديمة وبلغت درجة لم تصلها مطلقا ولم يتصورها أحد، فتحولت شوارع وسط البلد وبالتحديد منطقة طلعت حرب حول دور السينما ومنطقة الكورنيش وميدان عبد المنعم رياض والتحرير، كل تلك المساحة تحولت إلي منطقة للتحرش الجماعي بالنساء والفتيات،، ومن أتعسها حظها ومرت بتلك المنطقة سواء بمفردها أو بصحبة أحد أفراد الأسرة، تم التحرش بها واختطافها من بين يدي الأب أو الزوج أو الخطيب ليبدأ العشرات في تحسس جسدها. وتم التحرش بالمحجبات وغير المحجبات ورغم ذلك ظل البعض يتحدث عن الحجاب والحشمة، وأن البنات هي السبب في ما يحدث للشباب، وكأن مصر أصبحت لا تتسع للجنسين معا فيجب قتل جميع النساء حتي يستريح الرجال.

ومع تلك الأحداث، بدأ البعض يتحدث عن تقاعس الأمن وقلة عدد رجال الشرطة المنتشرين في الشوارع لتأمين تلك الأيام المزدحمة التي يخرج فيها أغلب المصريين إلي الشارع. وأعتقد البعض أن القانون لدينا لا يعاقب علي تلك الجرائم البشعة، لكن الحقيقة أن لدينا قانوناً رادعاً والمشكلة كلها في عدم وعي الناس به وعدم تعاون الناس مع المجني عليهم واقتياد الجناة إلي قسم الشرطة للإدلاء بشهادتهم عما رأوه وسمعوه.

وأكد المستشار هشام البسطويسي نائب رئيس محكمة النقض أن القانون المصري يعاقب علي هتك العرض والاغتصاب بعقوبات رادعة ومناسبة تتدرج من الحبس حتي الأشغال الشاقة المؤبدة والإعدام. لكن بالتأكيد هناك فروقاً بين التطبيق هنا وفي الدول الأخري بأوروبا وأمريكا لكن ليست في تشديد العقوبات بقدر ما هي في تركيبة وأفكار المجتمع، فالفروق بيننا وبين تلك الدول هي إحساس المجتمع بالجريمة وقدر انزعاجه منها. ففي مصر قديما وبالخارج حاليا لا يهتم المجتمع بسلوك المجني عليها مهما كان سلوكها ومهما كانت سمعتها والجميع يجدون الحماية أمام القضاء لكن للأسف الآن في مجتمعنا أصبح الناس يبررون في كثير من الأحيان سلوك الجاني ويتهمون المجني عليها. فنسمع عبارات من نوعية: إيه اللي وداها هناك؟ إيه اللي خرجها لوحدها بالليل؟ وبالتأكيد «هي اللي مشيها مش كويس».

ولعل اللبس لدي البعض حول القانون المصري ناتج عن أنه لا توجد في القانون المصري جريمة اسمها «التحرش»، وتسمي تلك الجرائم بـ«هتك العرض» و«خدش الحياء» وهي كل فعل لا يصل إلي حد الاغتصاب مثل الكشف والتلامس وهو ما حدث طوال أيام العيد، ويمكن إثباته بشهادة الشهود أو التسجيلات أو الكشف الطبي لو كانت هناك آثار واضحة. وهذه تعتبر جنحة تتراوح عقوبتها بين السجن لمدة ٢٤ ساعة و٧ سنوات، وإذا حدثت في الطريق العام وفي وضح النهار فهي في هذه الحالة تعتبر ظرف مشدداً وقد تصل العقوبة في بعض الحالات إلي السجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة أما الاغتصاب فهو جناية قد تصل عقوبتها إلي الإعدام.

وعلي مدونة «علاء ومنال» تم تجميع كل لينكات المواقع والمدونات التي حاولت تغطية ما حدث طوال أيام العيد،، وأكدت المدونة أنه «احتفالا بنهاية رمضان الشباب المصري بينزل وسط البلد وبدل البمب والمراجيح والكحك والحاجات بتاعت زمان دي.. بيبقي فيه حفلة هتك عرض جماعي» ونصحوا «اللي ناوية تخلف بنات» بأن «تهاجر أحسن لها».

كما تلقي المركز المصري لحقوق المرأة العديد من الشكاوي من نساء رفضن الإفصاح عن هويتهن حول نفس الموضوع، وذكر المركز في بيان له أن هذا السلوك ينذر بانفجارات اجتماعية عديدة يدفع ثمنها بالدرجة الأولي النساء، كما قد تحد هذه الممارسات من مشاركة النساء في مناحي الحياة المختلفة نظرا لغياب الأمن في الشارع المصري.

وقال المركز: إنه يخشي من أن يكون عدم القيام بإجراء تحقيقات جدية في أحداث استفتاء مايو ٢٠٠٥ والشهيرة بـ«الأربعاء الأسود» والتي تم فيها التحرش بالمتظاهرات في الشارع، أن تكون أحد العوامل المساعدة علي مثل هذه الوقائع نظرا لغياب المسؤولية الجنائية والملاحقة لمرتكبي مثل هذه الأحداث.

وتعلق نهاد أبوالقمصان مدير المركز قائلة: إن هذه الوقائع تحمل مؤشرات عديدة وتدل علي أن الشعب في حالة انهيار اجتماعي.. الدولة منصرفة إلي الأمن السياسي علي حساب اهتمامها بأمن الشعب، مما أدي إلي انتشار ظواهر مثل السرقة بالإكراه والاعتداء علي الفتيات.

وتقول: المركز تلقي ألف شكوي تتعلق بالتحرش الجنسي بالفتيات والنساء في الشوارع في سنة واحدة، لتتعدي أرقام الشكاوي المتعلقة بقضايا الأحوال الشخصية والعنف ضد المرأة والزواج المبكر والختان.

،،،، خبر اخر من نفس الجريدة بنفس التاريخ :

قدم النائب المستقل مصطفي بكري طلب إحاطة عاجل لوزير الداخلية حول الحوادث الإجرامية التي وقعت في منطقة وسط البلد في اليوم الأول للعيد والتي تحرش فيها بعض الشباب الذين تحركوا بشكل جماعي بعدد من الفتيات والسيدات وقطعوا ملابسهن ومحاولة هتك عرضهن دون أن تتحرك الأجهزة الأمنية، كما أن الحوادث تكررت

في اليوم الثاني دون القبض علي أحد من الجناة، مما أثار حالة من الهلع والرعب الشديدة في الشارع المصري، خاصة أنها طالت الجميع بمن فيهم من سيدات يرتدين الحجاب والنقاب.

،،،، تقرير من جريدة المصري اليوم بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦ :

مشاهد حفلات التحرش الجماعي التي جرت وسط القاهرة أيام العيد، لو وردت في سياق رواية لنصبنا لكاتبها المشانق، واتهمته السلطات بالإساءة لسمعة مصر، التي لا يمكن أن ينحدر شبابها إلي هذا الدرك الأسفل من الانحطاط الخلقي، بحيث يسيرون في جماعات تتجاوز المائة، للتحرش الفظ بأي أنثي شاءت لها الأقدار أن تكون حينئذ وسط المدينة، بل ويصل الأمر إلي حد انتزاع ملابسها، والإمساك عنوة بمواضع العفة في جسدها، دون تمييز بين شابة وأخري في عمر أمهاتهم، أو بين محجبة ومتحررة.

لكن للأسف حدث هذا وسط القاهرة، وكنت قد قرأت عنه بعدة مدونات إلكترونية، ولم أصدق، وبتعبير أدق لم أكن راغباً بتصديق هذه الممارسات التي لم تعرفها مصر إلا في عصور الانحطاط كآخر أيام المماليك.

من هنا كان لزاماً أن أتحقق من صحة الأنباء بنفسي، وتوكلت علي الله قاصداً «وسط البلد»، التي كانت ذات زمن مضي نزهة الفقراء والأغنياء علي السواء، حتي أصبح مجرد السير فيها الآن مغامرة غير مأمونة العواقب، وهناك شاهدت أعداداً غفيرة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة حتي الثلاثين، يسيرون جماعات كالقطعان، وبدا واضحاً أن روح القطيع استحوذت عليهم، وكانوا يهتفون بعبارات قبيحة لايمكن نشرها، ووسط هذا الهدير هناك صوت نسائي يصرخ مستغيثاً، ليتحول الشارع إلي ساحة «سعار جنسي»، بينما المارة يتمتمون بعبارات إبراء الذمة من طراز «لا حول ولا قوة»، أو حتي يشبعون فضولهم بمتابعة هذا المشهد العبثي الشرير.

وتضعنا ناشطة اسمها «فدوي» في قلب الأحداث عبر شهادتها التي نشرتها بمدونتها الإلكترونية: «ظللت لفتره مذهولة ومرعوبة، فهاتفت (مالك) وأخبرته بما يحدث وظل الأتوبيس واقفا لفترة، وأخذت أراقب الموقف، فوجدت أطفالاً ربما في العاشرة أو الحادية عشرة، يشجعون

بعضهم علي الانضمام «يللا يا واد ندخل معاهم»، وينضمون بسرعة رهيبة للحشود، وأخذت أتامل ملامح الذعر علي وجه أم ممسكة بحرص شديد علي أيدي بناتها الثلاث كأنها تحاول إعادتهن لرحمها، وامتد الذعر إلي الرجال الذين يخرجون بصحبة بنات، فأخذوا ينكمشون أو يهرولون بسرعة لم أستطع رؤية وجوه الضحايا، لكنني كنت استمع للصرخات وأري الجموع الغفيرة وهي تجري مسرعة، «يااه أعداد ضخمة جدا، أكثر بكثير من أكبر مظاهرة».

شهادة أخري من المنصورة تضمنتها مدونة «مالك» جاء فيها: «أرسلت لي صديقة من المنصورة رسالة ترجوني محادثتها تليفونيا، واتصلت بها لتسترسل في الحكي والكلام علي لسان الصديقة: خرجت ثاني أيام العيد بوسط البلد في المنصورة ضايقتني المعاكسات الشديدة من الشباب، وهذا أمر عادي يحدث يوميا لكل فتاة تقريبا لكنه راح يتطور للملامسة بالأيدي، لكن ما حدث لي فلم أكن أتصور علي الإطلاق أن يحدث مع أي فتاة، خاصة في الشارع، فأثناء رجوعي للمنزل ومعي صديقتي بعد أن زهقنا من المعاكسات المستمرة بالألفاظ النابية، كنا نسير في شارع جانبي، وظهر أمامنا شاب في العشرينيات، وعندما اقترب منا فوجئنا به يفتح (سوستة بنطلونه) ويخرج (...)، فصرخت أنا وصديقتي وجرينا ولما سألتها ليه ما قولتوش لحد من الشارع علشان يجروا وراه قالت: «كنا خايفين، أحسن نروح القسم ونشهد وهيكون شكلنا ساعتها وحش قدام البيت والأهل»».

وفضلاً عما تضمنته المدونات الإلكترونية، فهناك شهادات سمعتها، إذ حرصت شخصيا كصحفي، علي التحدث مع الباعة الجائلين وأصحاب المحال وجنود المرور وغيرهم، وبدا لي أنهم جميعاً مصابون بصدمة مما حدث، خاصة أن الأمر لم يتوقف عند حدود واقعة وحيدة، بل تكرر علي مدي يومين علي الأقل، بنفس المجموعات الشبابية الرعناء التي لا يدري المرء إن كانت قد تشكلت عفوياً، أو أن هناك من هيأ لها الأمر، تمضي كالقطعان وسط القاهرة، وتهتف بعبارات قبيحة، وتتحرش بالإناث بوقاحة منقطعة النظير وسط سلبية رسمية وشعبية كأن شيئاً لم يكن، مما يعني أن خللاً يضرب روح هذه الأمة، وأن هذه السلوكيات ليست إلا إرهاصات أولية لقادم أسوأ، وهو باختصار ودون

التفاف «سيناريو الفوضي»، سواء جاء في صورة «ثورة جياع» أو «انتفاضة حرامية» أو شعبية لا تهم المسميات، المهم أن هذه الوقائع فتحت جرحاً ظل كثيرون ينكرونه، بل ويستنكرون مجرد الإشارة إليه، وهو أن ظاهرة «الهوس الديني» المتفشية في شتي أنحاء مصر الآن، ليست سوي أكذوبة كبيرة، تواطأت عدة أطراف في ترسيخها، بين سلطة سبق لها ولجأت لأساليب مماثلة مع محتجين سلمياً أمام نقابة الصحفيين، وشعب يتفرج علي المشهد وهو يلعن الجميع، و«دعاة جدد» استغرقتهم شهرة لم ينلها كبار العلماء وقد زعموا أنهم أفلحوا في إعادة الشباب للمساجد، لكن من دون أي مردود أخلاقي، يمكن للمرء أن يلحظه في سلوك هؤلاء، رغم انتشار مظاهر التدين التي لا تخلو من شبهة ادعاء مثل «الزبيبة» و«الإسدال» وغيرها من الشكليات، التي لم تفلح في بناء ضمائر هؤلاء الشباب فتضع أيديهم علي جوهر السلوك القويم ممثلاً بأبسط معاني الأخلاق الإنسانية.

لكن الأمر أكبر من مجرد اختزاله برؤية أخلاقية فقط، إذ أن هذا «السعار الجماعي» ليس أكثر من جرس إنذار مبكر لسيناريو فوضي، ربما ينفلت معه الجائعون والمحبطون والمأزومون في ممارسات أخطر من التحرش بالإناث، كاقتحام البنوك والمحال وتحطيم السيارات والمرافق، والمخيف أن خيارات التعاطي مع هذا السيناريو المرعب لا قدر الله حدوثه، ستنحصر في خيارين لا ثالث لهما: إما أن يقفز التيار الانتهازي المتلفع بالدين للسطو علي مقدرات البلاد والعباد، أو أن يتدخل الجيش لضبط الأوضاع، وهذا هو الأرجح، ولكن هذا أيضاً سيجهض أي بارقة أمل بإمكانية إجراء إصلاح ديمقراطي في أطر سلمية.

المطلوب الآن باختصار هو تقصي حقيقة ما حدث بموضوعية وشفافية، ونواجه أنفسنا بالحقائق تمهيداً لبحث سبل التعامل مع الأمر، ليس من أجل منع تكراره فحسب، بل حتي لا يتفاقم ويؤدي لما هو أسوأ.

،،،، مقال الاديبة سحر الموجي بجريدة المصري اليوم بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦ :

أفقدتني مصر الدهشة في الآونة الأخيرة. فمن محرقة الفنانين في بني سويف إلي عبارات وقطارات الموت إلي المياه الملوثة بـ«لا مؤاخذة»، بين هذا وذاك فقدت الدهشة. لكن أيام عيد الفطر المبارك أعادت إلي بعضا منها، لكنها للأسف دهشة حزينة. قرأت في جريدة «الوعي المصري» الإلكترونية، عما حدث في وسط البلد أول أيام عيد الفطر المبارك. قرأت الوصف المفصل لحالات الانتهاك الجنسي الفاحش للفتيات أمام سينما مترو بشارع طلعت حرب، بعد أن قامت أعداد كبيرة من الشباب بتحطيم شباك التذاكر. ولقد شهد حالة «السعار الجنسي» (حسب وصف الجريدة) مجموعة من الصحفيين، ومن بينهم وائل عباس الذي سجلت كاميرته ما تيسر، رغم مطاردة الشباب لهم من أجل سرقة الكاميرا، ورفض الأمن التصوير لسبب غير معلوم.
وهذا الكلام جزء من شهادة شاهد عيان: «وجدنا أعداداً غفيرة من الشباب تصفر وتركض باتجاه شارع عدلي. تحركنا معهم لنري ماذا يحدث.. فوجئنا بفتاة في أوائل العشرينات، تعثرت علي الأرض والتف حولها عدد كبير من الشباب يقومون بتحسس أجزاء من جسدها ونزع ثيابها عنها.
لم أفهم ولم أستوعب بمعني أدق ما يحدث. قامت الفتاة مسرعة مرة أخري وحاولت الركض في أي اتجاه الي أن رأت مطعماً.. دلفت الي الداخل وحوّط الشباب المطعم ولم ينصرفوا، إلا بعد أن صاح آخر (فيه واحدة تانية قدام ميامي).
ركض الجميع باتجاه شارع طلعت حرب مرة أخري ووجدت هناك فتاة محاصرة تماما داخل دائرة محاطة بمئات من الشباب، يحاولون أن يتحسسوا جسدها وينزعوا عنها ملابسها. أنقذ الفتاة هذه المرة سائق تاكسي قام بإركابها، لكن الشباب لم يدعوا التاكسي يمر، وشكلوا حوله دائرة، وأصروا أن تهبط الفتاة من العربة الي أن تدخل أحد عساكر الأمن رافعا (القايش)، محاولاً ضرب كل من يجده أمامه.
لم ينفض الجمع بسهولة، إلا بعد ظهور فتاتين ترتديان عباءات خليجية. أحاطوا بهما تماما وقام عدد كبير منهم باحتضان الفتاتين وإخلاعهما الأحجبة.. وكان هناك أطفال في الحادية عشرة والعاشرة من العمر يقومون بالدخول من تحت العباءات.

فتاة أخري، تدخل بعض أصحاب المحال، وقاموا برش المياه علي الشباب وجذب الفتيات إلي داخل المحال.
بعدها بقليل ظهرت فتاة أخري، كانت ترتدي أيضا حجاباً وعباءة. قام أيضا الشباب بمحاصرتها ونجحوا هذه المرة في إخلاعها العباءة، لكن استطاع أمن إحدي العمارات في أن يجذبها إلي الداخل، ويغلق باب العمارة ويمنع الشباب من الوصول».
ورغم تقديري لانهماك الحكومة في الركض وراء قطار النووي، الذي عدانا وقزح، ومعرفتي أنه لا وقت لديها للتافهين من أمثالي، فأنا أهديها جزءاً من وصف هذا اليوم. كما أنني مصرة علي التطفل عليها بكبشة أسئلة غبية: هل النووي أهم من الجنسي؟ وهل كنتم من الأساس قد منحتم هؤلاء الشباب «وطناً» حقيقياً فيه التعليم والرعاية الصحية ولقمة عيش كريمة ومشروع بيت وامرأة وطفل، أم أن انتهاكاتكم لحقوقهم الإنسانية هي السبب في إطلاق شياطين هذه العدوانية الخارجة علي كل الأطر الأخلاقية؟ هل بإمكانكم استشارة علماء النفس، فيما قد ينتج عن توليفة الكبت الجنسي والجهل وافتقاد الحياة الإنسانية ؟ وأين ذهب أمنك يا حكومة في هذا اليوم، وهو الذي يسد عين الشمس وقت المظاهرات؟ وما رأي رجال الدين (من يعمل منهم في مواقع حكومية ومن هو مستقل) فيما يحدث، أم أن تحريم التماثيل ومنع الكتب وفتاوي تفضيل اليد اليمني عن اليسري في الأكل وتحريم العري في سرير الزوجية وتحليل زواج الـ«فريندز» قد شغلت بالكم إلي الحد، الذي لم يجعلكم تتبينوا حال أمتكم الإسلامية يوم انتهاء الشهر المبارك؟ وبأي عين تنتفضون عند إساءات الغرب للإسلام، وهذا هو حال شبابكم ولم نسمع من أحدكم حساً ولا خبرا ؟
إن يوما كهذا من شأنه أن يسقط حكومات ويفيق شعوبا كاملة علي عمق الهاوية التي وقعت فيها. لكن أياما كهذا وأسوأ أصبحت تمر علينا فنبتسم لها في تبلد ونتركها تمضي. هي أيام أفقدتنا النخوة التي تجعلنا نصون نساءنا، والوعي الذي يؤهلنا لإدراك أسباب المأساة الأخلاقية التي نعيشها.
،،، تقرير من مجلة إسلام أون لاين الالكترونية بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦ :

بدأت حالة من الغضب المكتوم تسود مصر إثر حوادث تحرش جنسي قام بها عدد كبير من الشباب طيلة أيام عيد الفطر ضد فتيات من المارة في شوارع قلب العاصمة القاهرة، وهو ما وصل إلى حد تجريد بعضهن من الملابس وسط غياب شبه تام للدور الأمني.

وتعليقًا على الاعتداءات، أكد الدكتور عمرو أبو خليل، مدير مركز الاستشارات النفسية والاجتماعية بالإسكندرية (شمال)، لـ"إسلام أون لاين.نت" أنها تأتي في سياق "هروب جماعي" يسلكه الشباب بمختلف مستوياتهم الاجتماعية في مواجهة واقع مضطرب يغيب فيه دور الدولة، سواء الاجتماعي أو السياسي.

أول من كشف الاعتداءات كان كاتبو المدونات على الإنترنت الذين شاهد بعضهم الوقائع بأنفسهم وصوروها، وأطلقوا عليها "أحداث الثلاثاء الأسود" ٢٤-١٠-٢٠٠٦ الذي صادف أول أيام عيد الفطر في مصر.

وفي مدونته "مالكوم إكس" يروي مالك مصطفى في مقال بعنوان "السعار الجنسي في وسط البلد" ما شاهده مساء قائلاً: "إن أعدادًا غفيرة من الشباب كانت تصفر وتركض في اتجاه شارع عدلي، فتحركنا معهم لنرى ما يحدث وفوجئنا بفتاة في أوائل العشرينيات تعثرت على الأرض والتف حولها عدد كبير من الشباب يقومون بتحسس أجزاء من جسدها ونزع ثيابها عنها".

ويضيف أن الشبان كانوا يهاجمون أي فتاة أو سيدة تسير بدون مصاحبة رجل، وأنهم تحرشوا ببعض المحجبات والمنتقبات.

ويتابع: "وظهرت فتاتان ترتديان عباءات خليجية فأحاط بهما الشباب تمامًا، وقام عدد كبير باحتضانهما وخلع حجابيهما، وكان هناك أطفال في نحو العاشرة من العمر يدخلون تحت العباءات".

وذكر مالك أن الفتاتين هربتا للاحتماء بالمطاعم أو المحلات التي نجح بعض أصحابها في إيقاف سيارات أجرة لإنقاذهما.

وتجمع الوقائع المنشورة في المدونات على أن عدد رجال الشرطة في قلب القاهرة كان قليلاً، ولم يتمكنوا من منع التحرشات.

وروى وائل عباس بدوره في مدونته "الوعي المصري" التي وضع عليها شريط فيديو للاعتداءات، ما شاهده من تحرشات.

وفي عدد اليوم الإثنين من صحيفة "المصري اليوم" المستقلة روى الكاتب الصحفي، نبيل شرف الدين، ما شاهده من اعتداءات في ثاني أيام العيد قائلاً: "شاهدت أعدادًا غفيرة من الشباب تتراوح أعمارهم بين الثانية عشر والثلاثين يسيرون كالقطعان هاتفين بعبارات قبيحة، ووسط هذا الهدير كان هناك صوت نسائي يصرخ مستغيثا، بينما المارة يتمتمون بعبارات إبراء الذمة، مثل: لا إله إلا الله".
وفي تحليله لتلك الاعتداءات، قال الدكتور عمرو أبو خليل: إن وصف الشهود للوقائع يدل على أن منفذيها لم يكونوا في وعيهم، مرجحًا وقوعهم تحت تأثير المخدرات التي قال إنها انتشرت مؤخرًا بصورة غير مسبوقة، مشيرًا إلى أن الأعياد أصبحت مواسم لتعاطي أنواعها المختلفة.
واستدل أبو خليل على ذلك بأن: "التحرش الجنسي سابقًا كان يمارس معظم الأحيان ضد المبالغات في التبرج، وتمثل غالبًا في محاولات تلامس يبدو عفويًا في وسائل المواصلات، لكن الاعتداءات الحالية شملت محجبات ومنتقبات، مما يدل على أن هؤلاء الشباب لم يكونوا واعين".
واعتبر الخبير الاجتماعي أن الأغاني المصوّرة "الفيديو كليب" التي تحوي مشاهد إثارة لعبت دورًا في وقوع هذه الحوادث، موضحًا أن عدة أغاني من هذا القبيل تتضمن لقطات لمجموعات من الرجال تطارد نساء، وتتحرش بهن جنسيًا علانية في الشوارع.
وحول دلالة هذه الحوادث قال أبو خليل: إنها تمثل "هروبًا جماعيًا"، موضحًا أن الشباب يشعر بحالة من "الضياع التام"، وبالتالي يحاول الاعتراض والتمرد مثلما حدث في الغرب خلال فترة ستينيات القرن العشرين مع جماعات "الهيبيز" التي تمردت على أوضاع مجتمعها بطرق شاذة.
وأرجع أبو خليل هذه الحوادث إلى عاملين هما غياب الأمن السياسي والتدعيم الاجتماعي. وأوضح أن: "سهولة الوصول إلى المخدرات وتعاطي الشباب لها بهذه الأعداد الغفيرة، ونزولهم وهم تحت تأثيرها ليعيثوا فسادًا في الشارع لعدة أيام متتالية، فضلاً عن ضعف التمثيل الأمني يدل بالتأكيد على غياب دور الدولة".

وبالنسبة لغياب "التدعيم الاجتماعي" والتي تمثل في قلة عدد المدافعين عن الفتيات، ففسرها أبو خليل بقوله: "إن جزءًا من ثبات الإنسان على المبادئ كالشهامة والعزة والكرامة ينبع من شكر المحيطين به على شهامته ودعمه في مواقفه".

واستطرد: "أما الآن فمعظم الأفراد لا يتحلون بالشجاعة في مثل هذه المواقف خوفًا من عدم تلقي يد المساعدة إذا ما تعرضوا لاعتداء بسلاح مثلاً، إضافة إلى انتشار السلبية واللامبالاة والأنانية، ناهيك عن استخفاف الناس بمن يتبنّون تلك المواقف".

وحظيت الاعتداءات باهتمام كبير في الشارع المصري، حيث حققت مدوّنة "مالكوم إكس" أرقامًا قياسية في عدد زوارها بلغت قرابة ١٨ ألف شخص، كما وصلت التعليقات الغاضبة على هذه الوقائع إلى حوالي ٧٠٠ تعليق.

واعتبر نبيل شرف الدين في مقاله أن ما حدث يعني أن هناك "خللاً يضرب روح الأمة"، وأن هذه السلوكيات "إرهاصات" لقادم أسوأ يتمثل في "ثورة جياع أو انتفاضة شعبية".

وفي مقال ثان بصحيفة "المصري اليوم" انتقدت الأديبة والناشطة النسائية، سحر الموجي، بشدة الحكومة وحمّلتها المسئولية قائلة: "رغم تقديري لانهماك الحكومة في الركض وراء قطار النووي فإنني مُصرّة على التطفل عليها ببعض الأسئلة".

واستدركت: "هل كنتم في الأساس قد منحتم هؤلاء الشباب وطنًا حقيقيًا فيه التعليم والرعاية الصحية ولقمة عيش كريمة ومشروع بيت وامرأة وطفل، أم أن انتهاكاتكم لحقوقهم الإنسانية هي السبب في إطلاق شياطين هذه العدوانية".

وتساءلت باستنكار: "أين ذهب أمنك يا حكومة في هذا اليوم وهو الذي يسدّ عين الشمس وقت المظاهرات السياسية.. إن يومًا كهذا من شأنه أن يسقط حكومات ويفيق شعوبًا كاملة على عمق الهاوية التي وقعت فيها".

وبدوره ندد "مركز الجنوب لحقوق الإنسان" في بيان بالاعتداءات الجنسية، معتبرًا أنها: "دليل على مشكلات ضخمة يعاني منها المجتمع المصري كالفقر والبطالة وتأخر سن الزواج وزيادة ثقافة العنف".

،،، تقرير من موقع قناة العربية بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٦ :
تسود مصر حالة من الغضب بعد حوادث تحرش جنسي قامت بها اعداد كبيرة من الشباب في شوارع وسط القاهرة مساء اول وثاني ايام عيد الفطر ورأى فيها كتاب ومثقفون دليلا على "خلل يضرب روح الامة" وربما مقدمة "لثورة جياع او انتفاضة شعبية".
وكان كتّاب المدونات على الانترنت، الذين شاهد بعضهم الوقائع بنفسه وقام بتصويرها، اول من كشفها واطلقوا عليها "احداث الثلاثاء الاسود".
ويروى مالك مصطفي في مدونته "مالكوم اكس" ما شاهده بنفسه في شارع طلعت حرب بوسط مدينة القاهرة بينما وضع وائل عباس على مدونته "الوعي المصري" شريط فيديو قام بتصويره.
ويقول مالك في مقال بعنوان "السعار الجنسي في وسط البلد" انه شاهد مساء الثلاثاء الماضي (اول ايام العيد في مصر) مع عدد من اصدقائه "اعدادا غفيرة من الشباب تصفر وتركض في اتجاه شارع عدلي (وسط القاهرة) فتحركنا معهم لنرى ماذا يحدث وفوجئنا بفتاة في اوائل العشرينات تعثرت على الارض والتف حولها عدد كبير من الشباب يقومون بتحسس اجزاء من جسدها ونزع ثيابها عنها".
ويضيف ان الشبان كان يهاجمون أي فتيات او سيدات يسرن بدون مصاحبة رجال وانهم تحرشوا ببعض المحجبات والمنقبات. ويتابع ان فتاتين "ترتديان عباءات خليجية ظهرن فاحاط بهم الشباب تماما وقام عدد كبير باحتضان الفتاتين وخلع حجابيهما وكان هناك اطفال في الحادية عشرة والعاشرة من العمر يقومون بالدخول من تحت العباءات".
ويقول مالك مصطفى ووائل عباس ان الفتيات كن يهربن للاحتماء بالمطاعم او المحلات التي نجح بعض اصحابها في ايقاف سيارات اجرة لنقلهن بعيدا عن وسط المدينة.
وتؤكد الوقائع المنشورة في المدونات ان عدد رجال الشرطة في قلب القاهرة كان قليلا فلم يتمكنوا من منع التحرش.
واثارت هذه الحوادث اهتماما كبيرا وحقق موقع "مالكوم اكس" ارقاما قياسية في عدد الزوار اذ بلغ عدد الذين قرأوا تقريره عن هذه الوقائع

قرابة ١٨ الف شخص ووصلت التعليقات الغاضبة عليها الى حوالي ٧٠٠ تعليق. وانعكس هذا الاهتمام في الصحف المصرية.

واليوم الاثنين، انتقدت الاديبة والناشطة النسائية سحر الموجي بشدة في مقال نشرته صحيفة "المصري اليوم" المستقلة الحكومة المصرية وحملتها مسؤولية ما حدث. وقالت الموجي "رغم تقديري لانهماك الحكومة في الركض وراء قطار النووي (مشروع احياء البرنامج النووي المصري المجمد منذ عشرين عاما) فإنني مصرة على التطفل عليها ببعض الاسئلة".

وتابعت "هل كنتم (المسؤولون في الحكومة) في الاساس قد منحتم هؤلاء الشباب وطنا حقيقيا فيه التعليم والرعاية الصحية ولقمة عيش كريمة ومشروع بيت وامراة وطفل ام ان انتهاكاتكم لحقوقهم لانسانية هي السبب في اطلاق شياطين هذه العدوانية الخارجة عن كل الاطر الاخلاقية". وتساءلت "اين ذهب امنك يا حكومة في هذا اليوم وهو الذي يسد عين الشمس وقت المظاهرات" السياسية. وتابعت "ان يوما كهذا من شأنه ان يسقط حكومات ويفيق شعوبا كاملة على عمق الهاوية التي وقعت فيها".

وفي المصري اليوم ايضا اكد الكاتب نبيل شرف الدين انه نزل الى وسط المدينة ثاني ايام العيد (الاربعاء) فشهد بنفسه احداثا مماثلة. وقال "شاهدت اعدادا غفيرة من الشباب تراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والثلاثين يسيرون جماعات كالقطعان وكانوا يهتفون بعبارات قبيحة لا يمكن نشرها ووسط هذا الهدير كان هناك صوت نسائي يصرخ مستغيثا بينما المارة يتمتمون بعبارات ابراء الذمة من طراز لا اله الا الله".

وتابع "ان ما حدث يعني ان هناك خللا يضرب روح هذه الامة وان هذه السلوكيات ليست الا ارهاصات اولية لقادم اسوا وهو باختصار ودون التفاف سيناريو الفوضى سواء جاء في صورة ثورة جياع او انتفاضة شعبية".

وقال "مركز الجنوب لحقوق الانسان" في بيان ان "مجموعة كبيرة من الشباب قامت طوال ايام العيد بالتحرش بالنساء والفتيات في وسط البلد ووصل الامر الى حد تجريد بعضهن من الملابس ولم يكن للعدد القليل

من رجال الامن دور يذكر في حماية الفتيات". وأكد المركز الحقوقي ان "ما حدث في وسط القاهرة يعتبر دليلا على مشكلات ضخمة يعاني منها المجتمع المصري بسبب الفقر والبطالة وتأخر سن الزواج وزيادة ثقافة العنف".

(١٢) نقلاً عن موقع قناة العربية بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٧ :

فيما يعد جرسا للإنذار أكدت دراسة حديثة أن فتيات الفيديو كليب و"موديلات" الإعلانات في الفضائيات تسببن في ارتفاع معدلات الطلاق إلى ٧٠ ألف مطلقة في مصر خلال العامي الماضي فقط.

وقالت الدراسة إن احباطات الحياة الزوجية تدفع الأزواج إلى الهروب إلى فتيات الفضائيات للبحث عن نوع جديد من المتعة الجنسية في ظل واقع محبط يعيشه الرجل مع زوجته.

وأشارت د. عزة كريم، الرئيسة السابقة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة، في دراستها إلى تزايد نسب الطلاق في السعودية والإمارات والكويت والأردن وكافة البلاد العربية والسبب هو الهجمة الشرسة لفتيات الفيديو كلب ونجمات الإغراء الفني اللائي يظهرن شبه عاريات ما يهدد الزوجات ويدفع الأزواج إلى البحث عن أخرى.

وتنقل الدراسة عن إحدى الزوجات خلافها الدائم مع زوجها بسبب مقارنته الدائمة بينها وبين عاريات الفيديو كليب والإعلانات، ويعترف كثير من الأزواج أنهم طلقوا زوجاتهم وتزوجوا أكثر من مرة بسبب ما يشاهدونه على شاشات الفضائيات من مشاهد خليعة في حين تنهمك زوجاتهم في عمل المنزل وتربية الأبناء.

وتناولت الدراسة إعلانات الفيديو كليب والعلاقات الزوجية حيث أفادت إن ٩٠% من الإعلانات تستخدم فيها جسد المرأة كمثير جنسي لترويج السلع، مقابل ٨% هي نسبة الاهتمام بشخصية المرأة، وأوضحت أن ٨٠% من الإعلانات يركز على القيم الاجتماعية السلبية، و٨٩% على القيم الاقتصادية السلبية، وهو ما جعل الدكتورة عزة تخلص إلى أن الإعلانات تسهم في بث قيم وسلوكيات سلبية لها إيحاءات ومعان جنسية وسيئة.

وأكدت إحصاءات حديثة ارتفاع معدلات الطلاق في السعودية من ٢٥ في المائة إلى ٦٠ في المائة خلال الـ ٢٠ سنة الماضية، في حين

وصلت النسب في مصر طبقاً لإحصائية لجاز التعبئة والإحصاء إلى ٧٠ ألف مطلقة خلال العام ٢٠٠٦ فقط.

تؤكد الدراسة أن الفضائيات سرقت كثيراً من الأزواج من زوجاتهم بل ومن داخل بيوتهم إذ غيرت من أمزجتهم وتطلعاتهم في الحياة الزوجية فبعد أن كان الزوج مقتنعاً بزوجته ولا يرى غيرها أصبح الآن يري كل ساعة نساء جميلات يمارسن بعض الحركات الجنسية المغرية والمثيرة والتي لا تعرف الزوجة ممارستها مما يزيد من المشاكل والخلافات بين الأزواج.

وقالت د. عزة كريم الخبيرة الاجتماعية بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر وصاحبة الدراسة للعربية.نت "إن فتيات الفيديو كليب وموديلز الإعلانات ونجمات الإغراء اللائي يظهرن بشكل دائم على الفضائيات يهددن الزوجات خاصة أن الواقع الذي يعيشه الأزواج يجذبه إلى هذه الفتيات ويجعله غير قانع بجمال زوجته التي أرهقتها المشاكل اليومية وأثرت بالسلب على اهتمامها بزوجها الذي يقارن دوما بين زوجته وفتيات الفضائيات العاريات والمثيرات للغرائز.

وقالت الدراسة إن احباطات الحياة الزوجية والواقع المحبط الذي يعيشه المواطن العربي بصفة عامة سواء كان إحباط سياسي أو إحباط اجتماعي يدفع الأزواج إلى الهروب إلى فتيات الفضائيات للبحث عن نوع جديد من المتعة الجنسية بهدف التنفيس عن رغباته المكبوتة.

وحملت الدراسة الفضائيات مسؤولية المساهمة في إبراز صور متناقضة ومختلفة للرجل ومعاملته وأسلوب الحياة الزوجية فتصوره متسلطاً عنيفاً سهل الخيانة يمارس أساليب الضغط على المرأة ومنها ما يصور الرجل مثالياً يفيض بالعواطف ويحقق لزوجته كافة متطلباتها وكلتا الصورتين تسبب للزوجة مشاكل فتدفعا للتمرد والإحساس بالظلم من الحياة الزوجية المليئة بالمقارنات الظالمة.

وتضيف "تشعر المرأة أنها في حالة ظلم اجتماعي وعاطفي ما يدفعها إلى اتخاذ أساليب شرعية وقانونية لإنهاء حياتها الزوجية وذلك عن طريق اللجوء إلى المحكمة لطلب الطلاق أو الخلع دون الرجوع إلى

الزوج، فالطلاق يزداد طردياً مع انتشار الأغاني الراقصة والخليعة والأفلام والمسلسلات خصوصاً المدبلجة.

وقالت د.عزة كريم في دراستها إن الدراما الفضائية تغرس الصراع السلطوي بين الزوجين وتنمي الشعور بالفردية داخل الأسرة ويؤدى زيادة حدة الصراع بين الزوجين إلى زيادة نسب الطلاق.

وأكدت أن تأثير الفضائيات يزداد على الحياة الزوجية كلما كانت الزوجة صغيرة السن وفي بداية حياتها الزوجية ما يدفع المرأة لإنهاء حياتها لزوجية باللجوء إلى المحكمة لطلب الخلع أو الطلاق.

وتناولت الدراسة إعلانات الفيديو كليب والعلاقات الزوجية حيث أفادت أن ٩٠% من الإعلانات تستخدم فيها جسد المرأة كمثير جنسي لترويج السلع وذلك باللعب على الوتر الجنسي عند المستهلكين في حين تعتمد الإعلانات بنسبة ٨% على صورة المرأة وصوتها.

وأوضحت الدراسة أن ما بين ٦١-٨٠% من الإعلانات يركز على القيم الاجتماعية السلبية، و٨٩% تركز على القيم الاقتصادية السلبية، وهو ما جعل الدكتورة عزة تخلص إلى أن الإعلانات تسهم في بث قيم وسلوكيات سلبية لها إيحاءات ومعان جنسية وسيئة.

وتؤكد د. عزة كريم في حديثها للعربية.نت أن العلاقات الزوجية ورؤية الزوجين لبعضهم البعض تأثرت بما يبث خلال الفضائيات ما يدفع العديد من الأزواج إلى تغيير واقعه الفعلي ونمط سلوكه وعلاقاته الزوجية بفعل ما يشاهده من أفكار وعروض فنية ودرامية وغنائية على شاشة القنوات الفضائية.

وأضافت: إن الفضائيات تبث الأنماط المستوردة والغريبة عن واقعنا العربي والإسلامي وأغلبها أفكار تتسم بالتفاهة والسطحية وتهدف إلى المتعة والترفيه فقط، وهو ما يؤدى إلى حدوث نوع من الاغتراب للشخصية العربية وتسطيح وعي المشاهد.

وترى د. كريم إن التسطيح الفني والمشاهد التافهة أدت إلى حدوث نوع من الخلل في تحديد الأدوار بين الزوجين داخل وخارج المنزل فكل منهما يوجه أصابع الاتهام إلى الآخر ويحمله مسئولية أخطاءه.

وأوضحت: هذه التراكمات السلبية والخلافات إلى الطلاق وقد ساعد على تفاقم هذا الوضع الغير صحي ظهور علاقات جنسية بديلة خلال

الفضائيات لا تتناسب مع جو الأسر العربية وهو ما يدفع الزوجين إلى إجراء مقارنات بين ما يشاهد في الفضائيات والواقع والتناقض بينهما تكون نتيجته الحتمية الانفصال.
وأنهت د. عزة كريم حديثها مؤكدة أن الفضائيات أدت إلى حدوث انقلاب حاد داخل أفكار ومشاعر الجماهير، وحدوث بلبلة فكرية وعاطفية وساعدت على الخلط بين الحلال والحرام والصواب والخطأ والأخلاق الرذيلة والحميدة وهو ما يتطلب مراجعة ووقفة من قبل مسئولو هذه القنوات حتى لا ينهار البناء الاجتماعي والأخلاقي للأسرة العربية.
(١٣) نقلاً عن جريدة المصري اليوم بتاريخ ٧ نوفمبر ٢٠٠٨ :
«كنت أرتدى عباءة وحجاباً وقفازاً باليد، وأسير مع ابنة شقيقى، ٣ سنوات، ولم يشفع لى ذلك فى التعرض للتحرش» بهذه الكلمات بدأت زوجة شابة، ٢٣ سنة، حديثها عن تعرضها للتحرش فى مدينة ٦ أكتوبر مساء أمس الأول.
أحدث ضحايا التحرش متزوجة منذ شهرين، فوجئت أثناء سيرها فى أحد الشوارع بشخص يسير خلفها وعندما اقترب منها أمسك بصدرها وأجزاء حساسة من جسدها لتسقط على الأرض وتستغيث بالمارة.
التحقيقات التى جرت بإشراف المستشار حمادة الصاوى، المحامى العام لنيابات جنوب الجيزة، كشفت أن المتهم يدعى محمود حمدى رجب ١٩ سنة، عامل معمارى ومقيم فى الحى «١١» بمدينة ٦ أكتوبر، وقال شهود الواقعة أمام شادى فضلى، وكيل نيابة ٦ أكتوبر.
تحت إشراف فهمى راسخ، مدير النيابة، إن المتهم أمسك الضحية من أماكن حساسة وأنها سقطت واستغاثت بهم فأسرعوا لنجدتها.
الضحية قالت: المتهم قام بمعاكستى فى البداية وطاردنى مسافة ٥٠ متراً ثم اقترب منى وارتكب جريمته وأسقطنى على الأرض. فيما اعترف المتهم بمعاكسته لها، وأنه أثناء سيره خلفها سقط على الأرض فأمسك بملابسها وقدمها خوفاً من إصابته.
النيابة وجهت للشاب تهمة هتك العرض والتحرش بأنثى، وأمرت بحبسه ٤ أيام على ذمة التحقيقات، وطلبت تحريات المباحث حول الواقعة، ومن المقرر إحالة المتهم إلى محاكمة جنائية عاجلة.

تـأتى الواقعـة فـى أعقـاب أول حكـم تـصدره محكمـة جنائيـة مـصرية بمعاقبة سائق تحرش بفتاة بالسجن ٣ سنوات، وهو ما اعتبره قانونيون وقيـادات نـسائية رادعـاً لمنـع التحـرش، إلا أن الواقعـة تـأتى لتخـالف التوقعـات وتفـتح البـاب مـن جديـد أمـام البحـث عـن حلـول لمنـع هـذه الظاهرة.

(١٤) أصدر الدكتور أحمد المجدوب، خبير علم الاجتمـاع المصري فـي عـام ٢٠٠٣ كتابـه الرائـد "زنـا المحـارم.. الـشيطان فـي بيوتنـا" الـذي عرض فيه لتاريخيـة هذه الجريمـة فـي الحضارات القديمـة، وكيـف أن كل الأديان السماوية حرمتها. وفنّد خلـو القـوانين الوضـعية العربيـة مـن الأحكام الرادعة التي تطبق على مرتكب هذه الجريمة البشعة.

وكانت المفاجأة المدوية التي أطلقها المجدوب فـي كتابـه عرضـه لنتـائج أول دراسـة علميـة حـول جريمـة زنـا المحـارم فـي مـصر، مطبقـة علـى ٢٠٠ حالـة ممـن وقعـوا فـي هـذه الجريمـة، متخطيًـا بـذلك الـصعوبات البالغة التي تعترض طريق أي باحث موضوعي، يتصدى لهذه النوعية من المشكلات الاجتماعية التي تحاط بسياج كبير من الصمت والسرية في بلداننا العربية.

وجـاءت نتـائج الدراسـة محـددة لملامـح الشخـصيات التـي ترتكـب هـذه الجريمة، وهي أن غالبية الضحايا من الإنـاث مـن المتزوجـات، أو مـن الأرامـل والمطلقـات، فـي حـين أن الجنـاة الـذكور غـالبيتهم مـن غيـر المتزوجين. وأشارت الدراسة إلى أن مرتكبي زنا المحارم يعيشون فـي مـساكن ضـيقة، تعـوق خـصوصية الأفـراد داخلهـا، كمـا أنهـم مـن ذوي التعليم المنخفض، ويميلون لعدم التدين.

اجتهد المجدوب حتى يتمكن من تحديد ملامح هذه الظـاهرة فـي مـصر، فقد اجتهد حتـى حصل على عينة عشوائية من الجـرائم التـي تـم الإبـلاغ عنها على مدى خمس سنوات، وأضـاف عليها عددًا من الجرائم التي لم يـتم الإبـلاغ عنهـا، لكنـه علـم بوقوعهـا مـن الـضحايا النـساء أنفـسهن، وأيضًا من الضحايا الـذكور الـذين اتـصلوا بـه عـن طريـق وسـطاء، فـي سـعيهم لإيجـاد حـل لمـا يعانونـه بـسبب العلاقـة الآثمـة، فوصـل عـدد الحـالات إلـى ٢٠٠ حالـة شملت كل حـالات أشكال العلاقـة سـواء بـين الأب وابنته، أو الأم وابنها... إلخ.

وبدأ المجدوب ببيان النسبة المئوية في كل نمط من الأنماط الثمانية عشر كالتالي: بلغت نسبة نمط القرابة (أخ - أخته) ٢٥% يليه نمط (الأب - البنت) بنسبة ١٢%، فنمط (زوج الأم - ابنة الزوجة) بنسبة ٩%، ثم نمط (الابن - زوجة الأب) بنسبة ٦%، ومثله نمط (زوج الأخت - أخت الزوجة).

أما نمط (ابن الأخت - خالته) فقد بلغت نسبته ٥%، تليه نمط (الأم - الابن)، ونمط (ابن الأخ - العمة) و(الخال - ابنة الأخت) و(الأب - زوجة الابن) انخفضت لنسبة ٤%، وانخفضت لنسبة ٣% لنمطي (العم - ابنة الأخ)، و(ابن الأخت - زوجة الخال). فيما وصلت أنماط (ابن الأخ - زوجة العم) و(الأخ - زوجة أخيه) إلى ٢%.

وفي تعليقه على هذه النتائج قال الدكتور المجدوب: "نلاحظ أنه كلما ابتعدت القرابة انخفضت نسبة جرائم زنا المحارم، فيما عدا زنا (الأم - الابن) التي هي بطبيعتها قليلة ليس في مصر وحدها، بل في كل الدول عدا اليابان التي لاحظ المراقبون الغربيون أن الأمهات اليابانيات ما زلن حتى اليوم يستمنين لأبنائهم الشبان خلال النهار في العراء، وفي الليل في فراش الأسرة، عسى أن يحول دون وقوع الأسرة في حالة من الفوضى التي تصيب النظام في البيت!.

وحول الحالة الزواجية لضحايا زنا المحارم يقول الدكتور المجدوب: تبين أن نسبة اللاتي لم يسبق لهن الزواج من ضحايا زنا المحارم نسبتهن ٤٧,٥%، تليهن المتزوجات ونسبتهن ٢٦%، فالمطلقات ونسبتهن ١٨%، وأخيرًا الأرامل وبلغت نسبتهن ٨,٥% إلى العدد الإجمالي للعينة.

ويقول المجدوب ليس من شك في أن الإقامة معًا تُعَدّ عاملاً مهمًا في وقوع الزنا بالمحارم، وهو ما لاحظناه في زنا الإخوة بالأخوات والآباء بالبنات، وأزواج الأمهات ببنات الزوجات والذي يمثل ٧٦% من حالات زنا المحارم، حيث يرى الجناة الإناث بانتظام وهن يتصرفن على سجيتهن، ويرتدين ثيابًا قليلة، ويتحركن هنا وهناك بلا تكلف أو حذر. وقد ترتفع النسبة إذا أضفنا من الأنماط الأخرى الحالات التي كانت الضحية تقيم فيها مع الجاني في مسكن واحد مثل

الخال الذي يقيم مع الأخت وبناتها، والبنت المتزوجة وتقيم هي وزوجها مع أسرتها، بما في ذلك إخوتها.

ويتابع المجدوب: وفيما يتعلق بزنا الإخوة بالأخوات لم توجد بينهن متزوجات بينهن، وإنما وجدت أرامل بنسبة ٤%، ومطلقات بنسبة ١٦% من المجموع الكلي للأخوات اللاتي زني بهن إخوتهن، وهناك احتمالان: الأول أن تكون النساء قد عدن للإقامة مع أسرهن بعد ترملهن أو طلاقهن، والاحتمال الثاني أن يكون الإخوة الزناة قد انتقلوا للإقامة معهن فحدث ما حدث.

وفيما يتعلق بزنا الأبناء بالأمهات تبين أنه لم تكن بين الأمهات متزوجات، وإنما مطلقات بنسبة ٦٢,٥%، وأرامل بنسبة ٣٧,٥% من المجموع الكلي للأمهات، وهذا يُعَدّ مؤشرًا إلى أن عدم وجود زوج يلعب دورًا في وقوع الزنا، خاصة إذا كانت الأم قد حصرت عواطفها في ابنها، فتركته ينام معها في فراش واحد، حتى بعد أن بلغ وأصبح مراهقًا، بالإضافة إلى ضعف الوازع الديني لديها.

وفيما يتعلق بالحالة الزواجية للجناة فقد تبين أن نسبة الجناة غير المتزوجين تبلغ ٤٩,٥% إلى العدد الإجمالي لهم، يليهم المتزوجون بنسبة ٣٦,٥%، ثم المطلقون بنسبة ٩,٥%، وأخيرًا الأرامل ونسبتهم ٤,٥%.

وبالمقارنة بين نسب الجناة وما يقابلها لدى الضحايا نلاحظ ارتفاع نسبة الذين لم يسبق لهم الزواج من الجناة عن نظرائهم من الضحايا (٤٩,٥% مقابل ٤٧,٥%)، وكذلك ارتفاع نسبة المتزوجين من الجناة على نسبة المتزوجات من الضحايا (١٨% مقابل ٩,٥%).

وفيما يتعلق بارتفاع نسبة الجناة الذين لم يسبق لهم الزواج على نسبة الضحايا يقول المجدوب إنه يتفق وما أعلنه الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء في تقريره الذي نشرته جريدة "الجمهورية المصرية " في ١٢ مارس ٢٠٠٣، من أن عدد العزاب في مصر ممن تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والثلاثين بلغ ثمانية ملايين و٩٦٢ ألفًا و٢١٣ شخصًا، منهم خمسة ملايين و٢٣٣ ألفًا ذكورًا، وثلاثة ملايين و٧٢٨ ألفًا و٤٠٧ من الإناث، وهو ما يفسر لنا ارتفاع

نسبة الجناة الذين لم يسبق لهم الزواج على نسبة الضحايا اللاتي لم يسبق لهن الزواج.

يقول الدكتور المجدوب في توزيعه للضحايا حسب التعليم: نهدف من هذا الأمر التعرف على ما إذا كانت توجد علاقة بين المستوى التعليمي لهن، وبين ترديهن في حمأة الزنا مع محارمهن، وهل حصول المرأة على شهادة أعلى يجعلها أكثر استعصاء على العوامل التي تؤدي إلى زنا المحارم.

وتبين من الدراسة أن اللاتي لا يقرأن ولا يكتبن من الضحايا نسبتهن ٢٦,٥%، في حين بلغت نسبة اللاتي يقرأن ويكتبن ٢٨% انخفضت إلى ١٥% فيمن يحملن الشهادة الابتدائية، ثم إلى ١٣,٥% لمن يحملن الشهادة الإعدادية، وإلى ١٣% للحاصلات على الشهادة الثانوية، في حين لم تزد نسبة الحاصلات على شهادة جامعية على ٤%.

ومن المقارنة بين الضحايا والجناة يتبين الارتفاع الملحوظ في نسبة من لا يقرأن ولا يكتبن عن مثيلتها لدى الجناة (٢٦,٥% مقابل ١٥%)، وكذلك ارتفاع نسبة من يقرأن ويكتبن عن مثيلتها لدى الجناة (٢٨% مقابل ٢١%).

وأوضحت الدراسة أن نسبة الضحايا اللاتي يقمن في غرفة واحدة بلغت ٢٠%، في حين ارتفعت نسبة اللاتي يقمن في غرفتين إلى ٣١%، تليها نسبة من يقمن في ثلاث غرف وهي ٢٨%، فاللاتي يقمن في خمس غرف فأكثر وبلغت نسبتهن ٥,٥%. ويقول المجدوب في تعليقه على هذه النتائج: "عادة ما يستخدم عدد الغرف في المسكن للتعرف على المستوى (الاقتصادي - الاجتماعي) الذي ينعكس عادة على السلوك والعلاقات وطريقة الحياة، وهو ما يطلق عليه وصف الثقافة".

ويضيف: لاحظنا أنه في نمط القرابة (الأخ - الأخت) الذين ارتكبوا زنا المحارم بلغت نسبة من يقيمون منهم في غرفة واحدة ٣٠% إلى العدد الإجمالي للإخوة والأخوات الذين مارسوا هذه العلاقة الآثمة. وتتفق النسبة مع ما أسفر عنه الإحصاء العام للسكان الذي أجري في عام ١٩٩٦ الذي أفاد بأن ٣٠% من الأسر في مصر يقيمون في غرفة واحدة بمتوسط سبعة أفراد.

أما الإخوة والأخوات الذين يقيمون في غرفتين بلغت نسبتهم ٤٠% يليهم الذين يقيمون في ثلاث غرف، وبلغت نسبتهم ٢٠%، فالذين يقيمون في أربع غرف ونسبتهم ١٠%. وهكذا يكون الازدحام في غرفتين له نفس الأثر الذي للازدحام في غرفة واحدة، وربما أكثر بالنظر إلى أن الأبناء غالبًا ما ينامون متلاصقين على سريرين لا أكثر، حيث قد لا تتسع الغرفة لأكثر من ذلك، كما أن ضيق الشقة غالبًا ما يحول دون أن تكون لأعضائها خصوصية، وهو من أهم العوامل التي تؤدي إلى زنا المحارم.

وحول توزيع الضحايا حسب درجة تدينهن أشارت الدراسة إلى أنه بالنسبة للصلاة تبين أن اللاتي أجبن أنهن يصلين بانتظام بلغت نسبتهن ٢,٥% فقط، أما اللاتي يصلين أحيانًا فبلغت نسبتهن ٣١%، في حين بلغت نسبة اللاتي لا يصلين بالمرة ٦٦,٥%. ويعلق المجدوب على هذه النتائج بالقول: وهكذا تتسق إجابات الضحايا مع سلوكهن المشين، فغالبيتهن لا يصلين بالمرة، وحوالي ثلثهن يصلين أحيانًا مما يفسر لنا لماذا ارتكبن الجريمة البشعة، فلو كان لديهن وازع ديني قوي لامتنعن عنها، وبالذات كبيرات السن منهن كالأمهات والعمات والخالات وغيرهن.

وحول فريضة الصيام تقول الدراسة إن الضحايا اللاتي أجبن أنهن يصمن بانتظام بلغت نسبتهن ٣٠%، أما اللاتي يصمن بغير انتظام فقد بلغت نسبتهن ٣٧,٥%، وانخفضت إلى ٣٢,٥% لمن أجبن أنهن لا يصمن بالمرة.

ويعلق الدكتور المجدوب على هذه النتائج بالقول: "هكذا نلاحظ ميلاً واضحًا نحو عدم التدين لدى ضحايا زنا المحارم، وهو الذي يضعف الوازع الديني لديهن، بل يعدمه فيصبح إقدامهن على ارتكاب الجريمة سهلاً، إذا توافرت العوامل الأخرى التي تتفاعل فتؤدي إليه؛ فالمعروف عن الجريمة أن الجريمة بصفة عامة تقع إذا تغلبت الدوافع على الموانع.

(١٥) نقلاً عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٠٩:

أمر محمد داود رئيس نيابة مركز إمبابة بحبس المتهم باغتصاب نجلة شقيقته بكرداسة ٤ أيام على ذمة التحقيقات وإحالة الفتاة إلى الطب الشرعي لتوقيع الكشف الطبي عليها.
اعترف المتهم "م. ر" ٢٥ سنة نقاش بليبيا بارتكابه الواقعة، وذلك بتحريض من شقيقته "ص. ر" ٢٨سنة" ربة منزل "والدة المجني عليها" انتقاما من نجلتها "نورا" ١٥ سنة لاعترافها عليها وعشيقها أمام النيابة العامة بالاشتراك في قتل والدها "ج. م. ط" (فران)، للتخلص منه بعد اكتشافه خيانتها له.
وأضاف المتهم أمام محمد صلاح وكيل نيابة مركز إمبابة أنه توجه إلى العقار الذي تسكن به المجني عليها مع عمها بكرداسة، وطرق الباب عليها وأثناء قيامها بفتح الباب له هاجمها واعتدى عليها جنسيا وفر هاربا.
تعود أحداث الواقعة عندما كانت تربط بين "ص .ر" والدة المجني عليها وابن خالها "ت. م" (٢٦ سنة- بائع متجول) علاقة غير شرعية، واستغلت المتهمة فرصة سفر زوجها "ج. م. ط" (٣٧ سنة- فران) للعمل بليبيا، وتعودت ممارسة الرذيلة مع ابن خالها، فأنجبت منه طفلا رضيعا فاتفقت مع عشيقها على قتل زوجها فور عودته من السفر.
عاد الزوج فوضعت "ص" السم في طعام زوجها، ليفارق الحياة، بعدها قامت وعشيقها بتقطيع جثته عدة قطع، ووضعته بداخل أكياس من البلاستيك، ثم أودعته بداخل شنطة سفر، ووضعتها بداخل حائط من الخرسانة.
إلا أن نجلتها المجني عليها شاهدتهما أثناء ارتكابهما الجريمة واعترفت عليهما أمام النيابة ليتم حبسهما على ذمة القضية مما دفع الزوجة لتحريض شقيقها للانتقام من نجلتها باغتصابها.
[١٦] نقلاً عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٩ :
تعرضت سيدة في العقد السادس من العمر لواقعة تحرش جنسي داخل مسجد قادوس بالمحلة أثناء تأديتها صلاة الفجر بالمسجد، حيث شعرت السيدة بأحد الأشخاص يرفع جلبابها ويتحرش بها جنسياً.
تلقى اللواء رمزى تعلب مدير أمن الغربية، إخطاراً من قسم أول المحلة يفيد قيام السيدة "ا.ع. ف" ٥٣ سنة بالمعاش مقيمة بشارع فجر

الإسلام أثناء أدائها صلاة الفجر بمسجد قادوس قام أحد الأشخاص برفع جلبابها والتحرش بها جنسياً وعند استغاثتها تمكن الأهالى من ضبط المتهم ويدعى "ا م ن" ٢٤ سنة ترزى واعترف بارتكابه الواقعة.
تم تحرير المحضر رقم ١٤٨٤٠ لسنة ٢٠٠٩ جنح قسم أول المحلة وأخطرت النيابة العامة التى تولت التحقيق.
(١٧) مقال الاستاذ ابراهيم عيسى بجريدة الدستور بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٩ بعنوان "المتحرش الدكر":
أنا مقتنع تمامًا أنه كلما نقصت الرجولة وقل عدد الدُكرة (مشتقة من الدكر) زادت نسبة التحرش الجنسي بالمرأة، أول ما الرجالة في مصر شحوا والقوة الجنسية ضعفت وتآكلت بفعل فيروس «سي» والسكر والمخدرات والسرطان والتلوث في الجو لجأ الرجال إلي ادعاء قوة الذكورة التي تبحث عن فائض تنفيثي بالتحرش الجنسي بالمرأة في الشغل والشارع بل البيت كذلك، والجيل الجديد كمان ضارب البانجو وضارب بوزه وضارب بجذوره في البطالة والعطالة بيتحرش بعدوانية وفظاظة وفجاجة، وبينما تحتل مصر المركز الـ «١٣٤» اللي هوه - بالصلاة علي النبي - المركز الأخير في قائمة دول العالم من حيث كفاءة سوق العمل فإن مصر تحتل المركز الأول في التحرش الجنسي بالمرأة تليها للمفاجأة أفغانستان.
وقد وصفت جريدة «واشنطن بوست» ذات مرة مصر بأنها واحدة من أسوأ دول العالم في نسبة التحرش بالنساء في الشوارع والأماكن العامة.
وتخيلوا أن الولايات المتحدة وبريطانيا تصدر نشرات رسمية من وزارة الخارجية في عاصمتي البلدين تحذر النساء المسافرات إلي مصر من إمكانية تعرضهن لتحرشات جنسية ونظرات غير مرغوب فيها. حيث إن ٨٣.% من السائحات يتعرضن للتحرش الجنسي، يعني لا كرم ضيافة ولا أصول سياحة ولا أخلاق فرسان ويتعامل الدكر المصري مع السائحات علي طريقة «Im Egyptian».
وممكن طبعًا تقول إن المصري اللي يفضل مصري النيل رواه والخير جواه بيتحرش بالسائحات انتقامًا من الاحتلال الإنجليزي والعدوان

الثلاثي ولأن البعض في مصر يفضلونها شقراوات وباعتبار الخواجات سبايا وجواري!! فماذا تقول في المفاجأة أن المحجبات يمثلن ٧٢% من المتعرضات للتحرش حسب الدراسة التي أعدها المركز المصري لحقوق المرأة، (في تقدير دراسات إن ٧٠% من المصريات محجبات،!) وكشفت الدراسة عن أن ٦٤,١% من المصريات، يتعرضن للتحرش بصفة يومية، في حين أشارت ٣٣,٩% إلي أنهن تعرضن للتحرش أكثر من مرة وليس بصفة دائمة، بينما أكدت ١٠,٩% أنهن يتعرضن للتحرش بصفة أسبوعية، وفي المقابل تتعرض ٣,٩% للتحرش بصفة شهرية.

وفي دراسة مهمة عن التحرش الجنسي في مصر للباحثة هبة عبدالعزيز، جاءت النتائج صادمة إلي حد كبير، حيث اتضح أن نسبة من يتعرضن لأشكال التحرش بلغت ٨٩% في أوساط المرأة العاملة، بينما تنخفض النسبة إلي ٧٢% لدي طالبات الجامعة والمرحلة الثانوية، وأوضحت الدراسة أن هناك اتفاقا بين عينات الدراسة (نساء مصريات وأجنبيات وذكور) علي سبعة أشكال من التحرش والتي تتمثل في عدة أشكال منها:

أولاً: لمس جسد الأنثي، (لم إيدك جاك قطع إيدك).

ثانيًا: التصفير (فاكر نفسك عمرو دياب يا خفيف).

ثالثًا: النظرة الفاحصة لجسد المرأة، (عينك يندب فيها رصاصة من الرصاص الحارق الممنوع استخدامه دوليًا).

رابعًا: التلفظ بألفاظ ذات معني جنسي، (الحدق يفهم، لكن الحدق حمار).

خامسًا: الملاحقة والتتبع، (قربنا علي الحارة يا ندل وديني لتندم).

سادسًا: المعاكسات التليفونية (اقفل يا كلب عمي بيشتغل في مباحث التليفونات وحنقبض عليك).

سابعًا: المعاكسات الكلامية، (يا سم).

الغريب أن التحرش الجنسي ينتشر في الأيام المفترجة بالذات ونحن خارجون من شهر رمضان علي عيد الفطر، وفي عيد الأضحي طبعًا، يعني رغم حالة التدين ومظاهرها المنتشرة تلاقي انحرافات جنسية متسعة والمصيبة أن منتخب مصر حين يفوز بكأس الأمم الأفريقية فإن

العيال تخرج تتحرش بالبنات في الشوارع، هذا ليس تصرفًا يدل علي إحباط بل العيال ساعة ما بتفرح تتحرش، ساعة ما تحتفل بالعيد تتحرش وكان التحرش جائزة ومكافأة واحتفال، ثم التحرش أيضًا جماعي وعلني، مائة شاب يجرون خلف بنتين، وكأنه تعاون وتكاتف بين عشرات ومئات علي ارتكاب خطأ بلا ندم ولا تردد، ثم التحرش يتم بعنف وليس معاكسة وغزلاً زي زمان، ولا تقول لي بقي الكلام الحمضان بتاع الشهامة والجدعنة.

أول حاجة يستغفل بها المصريون أنفسهم ويضحكون علي ضمائرهم عندما يرون أو يسمعون عن جرائم التحرش إن البنت أو البنات يستاهلوا عشان لبسهم خليع أو عريانة أو إيه اللي خلاها تمشي مع خطيبها، الحل العبقري في اللامبالاة وشراء الدماغ وقلة الأصل أن نلوم الضحية ونقول إنها تستاهل، أصل طريقة لبسها.. أصل طريقة كلامها، وكل هذه مبررات بغيضة للتحرش، بينما لا يوجد أي مبرر للتحرش ولا ذنب يقع علي المتعرضات للتحرش، فالتحرش قد يطول الناس في بيت واحد، وقد يطول المحجبة والمحتشمة كما يطول غير المحجبة، الصغيرة مثل الكبيرة، بل هناك نسبة من المنقبات يتعرضن للتحرش كذلك، لكن مجتمعنا يحاول تبرئة الذكر بينما يلقي كل اتهاماته علي البنات وهو انحياز آخر يؤكد أن بيننا وبين التفكير العاقل مسافة طويلة قد لا نستطيع أن نقطعها بسرعة!.

(١٨) نقلاً عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩ :

أرجأت محكمة جنايات الإسكندرية برئاسة المستشار محمد السيد عبد النبى النطق بالحكم فى القضية رقم ٩٧٦٤ لسنة ٢٠٠٩ جنايات محرم بك والتى تجرد فيها شاب من لمشاعر الإنسانية حينما قام بهتك عرض الطفلة "م. ح " ٦ سنوات.

جاء ذلك حينما نادى نجار قدم للمدرسة لإصلاح أبواب الفصول على طفلة، ثم أوصد الباب خلفها وبدأ فى التودد اليها حتى قام بهتك عرضها بعد أن هدد الطفلة بمطواة أخرجها من جيبه ولم ينجدها منه سوى مناداة الدادة عليها فأسرع بإعادة هندمة ملابسها وحذرها من الحديث عما حدث حتى لا يقتلها.

وعندما عادت الفتاة إلى المنزل حكت لوالدها فتم الإبلاغ عن الواقعة التى تم إحالتها إلى المحكمة، وأمرت بتأجيل القضية للنطق بالحكم فى جلسة ٦ ديسمبر القادم بعضوية المستشارين جاد حلمى وأحمد عبد القادر وأمانة سر رزق عبد الدايم.

(١٩) نقلاً عن جريدة الوفد بتاريخ ٩ اكتوبر ٢٠٠٩ :

بعد ١٦ سنة من الزواج والحب والسعادة اكتشف الزوج أنه وقع ضحية زوجة خائنة قامت بخيانته مع أحد جيرانها وتصوير نفسها فيديو وبثها علي مواقع بالانترنت.. قصة أغرب من الخيال عندما تقرأ أحداثها تشعر بأنك ليس في أرض الواقع.. زوجة خائنة وزوج مخدوع."

وعن اكتشاف الزوج لخيانتة زوجته تكتب الصحيفة : "الصدفة وحدها كانت وراء اكتشاف الخيانة.. تفاصيل تلك القضية يرويها الزوج الذي تخطى عامه الخمسين وقع ضحية امرأة دمرت حياة أسرتها ومستقبل أطفالها.. وسط أحزانه ودموعه يقول عم رمضان: أنا حتى الآن في ذهول فقدت الثقة في كل الناس وقعت ضحية لزوجة لا تعرف الرحمة.. منذ ١٦ عامًا ارتبطت بزوجتي وأنجبت ٤ أطفال ومرت الحياة جميلة وهادئة بدون مشاكل.. حتى شاهدت تلك المقاطع التي تظهر فيها زوجتي على النت."

"ففي أحد الأيام قمت بالدخول على أحد المواقع الإباحية علي شبكة النت من باب الفضول وهذه المرة كانت الأولى والأخيرة لي لمشاهدة فيلم إباحي وأصبت بصدمة وذهول عندما وجدت أن السيدة التي تظهر في المشاهد هي زوجتي أم أولادي التي قضيت معها ١٦ عامًا لم أصدق نفسي وقمت بتدقيق النظر مرة أخرى للتأكد منها."

وتتابع الصحيفة على لسان الزوج : "وسقطت على الأرض من هول ما شاهدت.. وبعدها قمت بالدخول مرة أخري ووجدت ١١ فيلمًا إباحيًا تظهر فيها زوجتي مع أحد الأشخاص من قريتها بميت غمر بالدقهلية وتوجهت إلى منزلي وواجهت زوجتي بالمشاهد التي توجد على النت في مناظر مخلة في بداية الأمر أنكرت واتهمتني بالكذب والجنون وقمت بعرض تلك المشاهد عليها والتي تطابقت مع مواصفات جسدها ووجهها.. وهنا ثارت زوجتي وبكل برود أعصاب اعترفت بخيانتها

لـي منذ ١٦ سنة وهي مدة الزواج التي عشتها معها، وأنها تحب عشيقها منذ الصغر وبينهما قصة حب عنيفة، وأنه شاب مثلها واتهمتني بالعجز والشيخوخة."

وتضيف الصحيفة : "يسكت الزوج المكلوم لحظات قليلة يسترجع فيها شريط الذكريات الذي مر أمام عينيه.. وينهمر في البكاء عندما يتذكر أطفاله الصغار. ويعود للحديث مرة أخرى ويستكمل حديثه أنه فوجئ بكلام زوجته الذي أصابه بصدمة."

"وطلبت منها الانفصال والطلاق وترك الأطفال معه بدون فضائح إلا أنها طعنتني في رجولتي ورفضت وقالت إن أطفالي الأربعة ليسوا أولادي وهنا فقد الزوج السيطرة على أعصابه ويستكمل أنه قام بالاتصال بالنجدة وحرر محضراً يتهم فيه الزوجة بالزنا وأنكر نسب الأطفال له وعرض على النيابة هو وزوجته وعرض السي دي الذي يتضمن المشاهد والمقاطع الموجودة على النت ـ وطلبت توقيع الكشف الطبي على زوجته وتحليل DNA للأطفال الأربعة للتأكد ما إذا كانوا أولاده من عدمه."

ويتابع الزوج : "وقمت بإجراء تحليل خصوبة داخل مستشفى قصر العيني وبعض معامل التحاليل الخاصة وأكدت التقارير عدم قدرتي على الإنجاب."

(٢٠) نقلا عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩ :

أمرت النيابة العامة بمركز أخميم بسوهاج، بحبس ٦ أشخاص ٤ أيام على ذمة التحقيق بعد اختطافهم طالبة ثانوى داخل سيارة أجرة مملوكة لوالد أحدهم واغتصابها.

كان اللواء أحمد خميس، مساعد وزير الداخلية مدير أمن سوهاج، تلقى بلاغا من وحدة مباحث مركز شرطة أخميم يفيد تلقى القسم بلاغا "من م . ف" (٤٥ سنة) يفيد اختفاء ابنته طالبة الثانوى، وأن وراء اختفائها شبهه جنائية.

تم عمل فريق بحث بإشراف العميد عاصم حمزة مدير إدارة البحث الجنائى بالمديرية والعميد عصام الدين الحملى رئيس مباحث المديرية.

ودلت التحريات أن الطالبة المختفية تدعى "ع . م .ف" (١٧ سنة) طالبة بالثانوى التجارى، وأنه أثناء عودتها إلى المنزل، اختطفها

شخصان يستقلان السيارة رقم ٥٤٢٠ أجرة سوهاج ملك والد أحدهما، تحت تهديد السلاح، وذهبا بها إلى منطقة الكوامل الجبلية.
وهناك تناوبا اغتصابها، ثم بعد ذلك عادا بها إلى مدينة أخميم وهى فى حالة إعياء تام، وتم وضعها داخل شقة، واتصلا بأربعة آخرين من أصدقائهما ليتناوبوا اغتصابها أيضا.
تم القبض على المتهمين داخل الشقة مع الفتاة. وتم تحرير محضر بالواقعة، وبمواجهتهم بما أسفرت عنه التحريات اعترفوا بارتكابهم الواقعة. وتم إخطار النيابة العامة التى اطلعت على المحضر وأصدرت حكمها السابق.
(٢١) نقلاً عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٠٩ :
بدأت محكمة جنايات جنوب القاهرة اليوم أولى جلسات إعادة محاكمة كل من الكابتن الطيار "ن. ح. ع." (٤٨ سنة) بشركة مصر للطيران، وزوجته الدكتورة "د. م. ا." (٣٢ سنة ـ طبيبة بيطرية)، واثنين من العاملين بعيادتها.
حيث قام الطيار وزوجته بتحريض العاملين على اختطاف بواب الفيلا التى يملكها، وتقييده بإحدى أشجار حديقتها وإجباره على التوقيع على إيصالات أمانة على بياض، ثم هتكوا عرضه من خلال اعتداء المتهم الثالث عليه جنسيًا والتعدى عليه بالضرب وتصويره عاريًا بكاميرا المتهمة الثانية.
وقررت المحكمة تأجيل نظر القضية إلى جلسة ١٠ ديسمبر المقبل لاستدعاء شهود الإثبات فى القضية، وإعلان خبير الأصوات لتفريغ التسجيلات مع استمرار حبس المتهمين.
صدر القرار برئاسة المستشار محمد السيد عمر وعضوية المستشارين عبد العظيم حاتى وبدر حسن السبكى، بأمانة سر ممدوح غريب وعلاء فرج.
حضر المتهمون إلى قاعة المحكمة وتم إدخالهم قفص الاتهام ، إلا أن المحكمة قررت أن تكون الجلسة سرية نظرا لحساسية القضية وخطورتها فتم اقتيادهم إلى غرفة المداولة. يذكر أن محكمة جنايات القاهرة برئاسة المستشار أحمد سيد أحمد قد قضت فى ١٢ مارس من العام الماضى على الطيار بالحبس ٣ سنوات، وزوجته والعاملين فى

عيادتها بالسجن المشدد ٧ سنوات. إلا أن المتهمين قاموا بالطعن على الحكم أمام محكمة النقض والتى قضت بقبول الطعن وإعادة محاكمة المتهمين أمام دائرة جديدة للجنايات.

(٢٢) علم الاجناس البشرية ويقوم بدراسة البشر من ناحية التطور الطبيعي والثقافي والاجتماعي.

(٢٣) علم الفيسونومي physiognomy: علم وفن اكتشاف مزاج الأشخاص وشخصياتهم وطباعهم وأحوالهم النفسية والصحية من خلال الشكل والمظهر الخارجي وبالأخص الوجه، يقال أن أصوله ترجع لأكثر من ٢٥٠٠ سنة. عرفة اليونانيون كسقراط وأرسطو وعرفه الهنود والصينيون والرومان والعالم العربي وأثناء عصور النهضة الأوروبية قلت شعبيته بسبب ظهور علم الفرينولوجي في القرن التاسع عشر ثم عاود الظهور بقوة في القرن العشرين عن طريق علماء الشخصية.هذا العلم معترف به ووجد قبولا واسعا لحد يومنا هذا وله عدة تطبيقات فعالة.

(٢٤) اسمه الحقيقي چايوس فلاڤيوس ڤاليريوس أوريليوس كونستانتينوس ، ولد عام ٢٧ فبراير ٢٧٢ و توفي في ٢٢ مايو ٣٣٧، لقد كان حكمه لـ قسطنطين نقطة تحول في تاريخ المسيحية ففي عام ٣١٣ أصدر مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية وبذلك أنهى فترة اضطهاد المسيحيين. كما قام بإعادة أملاك الكنيسة المصادرة.

يوجد خلاف بين الباحثين إذا ما كان قسطنطين قد اعتنق المسيحية في شبابه تحت تأثير أمه هيلانة أو إنه تبني المسيحية تدريجياً خلال حياته. بالإضافة إلى ذلك كان قسطنطين قد دعى إلى عقد مجمع نيقية المعروف باسم المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥. وهناك اعتقاد اخر بان قسطنطين استخدم المسيحية سياسيا نظرا لزيادة اعداد المسيحيين. وانه اعتمد بعد وفاته على فراش الموت.

عام ٣٢٤ أعلم قراره بتحويل بيزنطة إلى روما الجديدة وقد قام عام ٣٣٠ بإعلانها عاصمة رسمية للإمبراطورية الرومانية. وقد تم تغيير اسم المدينة إلى القسطنطينية - على اسمه - بعد موت قسطنطين عام ٣٣٧. كانت القسطنطينية أول مدينة مسيحية في العالم ولم يسمح ببناء

معابد وثنية بها، وقد بقيت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حتى عام ١٤٥٣ حين فتحها العثمانيون وتم تغيير اسمها إلى إسلام بول عام ١٩٣٠.

في الواقع فإن نقل قسطنطين العاصمة من الغرب إلى الشرق يدل على بصيرته السياسية الحكيمة و نضوج فكره السياسي، حيث إنه أدرك أن اعترافه بالديانة المسيحية و سياسته الدينية لا يمكن أن تستطيع النجاح في روما حيث تكثر عبادة الآلهة الرومانية الوثنية، فجاءت فكرة نقل العاصمة إلى الشرق حيث يزداد عدد المسيحين و هي الفكرة التي نفذها فعلاً في عام ٣٣٠م

ولد قسطنطين في نايسوس (حيث تقع اليوم نيس في صربيا) عام ٢٧٢ أو ٢٧٣. والده كان الجنرال الروماني قسطنطين كلوروس ووالدته كانت هيلانة.

الإمبراطور قسطنطين اعتبر حكمه نقطة تحول أساسية في مسار الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية البيزنطية

تربى قسطنطين في بلاط دقلديانوس و هرب إلي بريطانيا و هناك نودي به إمبراطورا علي غاليا وأسبانيا وبريطانيا في عام ٣٠٦م خلفا لوالده. عبر جبال الألب وانتصر علي منافسه مكسنتيوس بن مكسيميانوس شريك دقلدياتوس في حكم الغرب عند قنطرة ملفيا على بعد ميل واحد من روما ، وباد هذا الطاغية هو وجيشه في مياه نهر التيبر في أكتوبر عام ٣١٢م .

[٢٥] في سنة ١٠٧١م، أنتصر السلاجقة الاتراك علي الرومان الشرقيين في موقعة مانزكريت وكان من أهم نتائج ذلك الانتصار تثبيت قدم الاتراك في آسيا الصغور وتأسيسهم سلطنة سلاجقة الروم. وطلب الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس الذي اعتلى العرش سنة ١٠٨١م المساعدة من مسيحيي أوروبا الغربية، للدفاع عن الإمبراطورية ضد الأتراك . وكان هؤلاء قد سيطروا على الأراضي المقدسة وهددوا الإمبراطورية البيزنطية كذلك. وأصبحت الحملات العسكرية التي قام بها مسيحييو أوروبا الغربية على الأراضي المقدسة تعرف باسم الحروب الصليبية. وخلال الحملة الصليبية الأولى،استولى الصليبيون على المناطق الساحلية من الأراضي المقدسة.وسواحل

سوريا -بلاد الشام، خلال الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤م، استولت جيوش الغرب على القسطنطينية، وكان ذلك يعود، جزئيًا، إلى رغبة تجار مدينة فينيسيا الإيطالية في الهيمنة على التجارة في الشرق الأوسط وفي تقويض أركان الكنيسة الأرثوذكسية.

نجح بعض رجال البلاط من البيزنطيين المهزومين، في تأسيس قواعد لهم في آسيا الصغرى واسترداد القسطنطينية سنة ١٢٦١م. ولكن استولى الأتراك العثمانيين على أجزاء من آسيا الصغرى، كما تقدم الصرب في البلقان، في حين أضعفت الحروب الأهلية أركان الإمبراطورية.

في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، لم يكن قد بقي في حوزة الإمبراطورية البيزنطية سوى القسطنطينية وجزء من بلاد اليونان. وسقطت عندما استولى الأتراك العثمانيون عليها سنة ١٤٥٣م. ومات آخر إمبراطور بيزنطي، وهو قسطنطين الحادي عشر، بينما كان يدافع عنها. وسقطت طرابزون -وكانت المعقل للسلطة الإغريقية- بيد الأتراك العثمانيين سنة ١٤٦١.

هوامش الفصل الثالث

[1] في قوله تعالى: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } (البقرة:٢٥٦)، جاءت هذه الآية عقب آية الكرسي، التي أخبرت عن عظيم قدرته سبحانه، وكمال علمه. فماذا عن سبب نزول هذه الآية، وما هو المراد منها؟

تذكر كتب أسباب النزول وكتب التفسير بعضاً من الأخبار الواردة في سبب نزول هذه الآية، من ذلك:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}، رواه أبو داود و النسائي . و(المقلات): التي لا يعيش لها ولد.

وهذا الحديث عمدة ما روي في سبب نزول هذه الآية؛ لصحة إسناده، وأن مثله لا يؤخذ بالرأي. وقد روي عن مجاهد و ابن جبير و الشعبي و الحسن البصري وغيرهم: أن الآية نزلت في ذلك.

وروي عن ابن عباس أيضاً، أنها نزلت في رجل من الأنصار، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك. رواه الطبري.

[2] تحت عنوان " الموندو: أحداث ١١ سبتمبر سبب اعتناق الكثيرين الإسلام"، كتبت جريدة اليوم السابع في ١١ سبتمبر ٢٠٠٩ على موقعها الالكتروني تقريراً بقلم فاطمة شوقي هذا نصه:

رصدت صحيفة "الموندو" الأسبانية فى تقرير لها اليوم، الجمعة، المكاسب التى تحققت للإسلام من أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث قالت إنه فى حين أن تلك التفجيرات جعلت هناك عداء شديدا بين الغرب والإسلام، إلا أنها دفعت الكثير لدراسة الإسلام لمعرفة الأسباب التى دفعت مرتكبى التفجيرات إلى التضحية بأنفسهم وقتل أبرياء، إلى أن توصل هؤلاء

الباحثون إلى نتيجة أخرى وهى أن الإسلام برىء تماماً من مثل هذه الأعمال "الإرهابية"، وكانت النتيجة المنطقية لذلك دخول هؤلاء الباحثين الإسلام.

وقالت الصحيفة إن التفجيرات التى شهدتها أمريكا دفعت العديد من مسيحيي أمريكا إلى دراسة الإسلام، للتوصل إلى حقيقة هذا الاعتداء الإرهابى، مشيرة إلى أن "ايدى سنيسيون كاسادو" كان أحد الأمريكيين الذين اتجهوا إلى دراسة الإسلام، وكان وقت التفجيرات مسيحياً، إلا أنه بعد ذلك تحول إلى الإسلام وغير اسمه إلى يوسف، لأنه كما قال: "ما حدث جعلنى أبحث عن معلومات تخص الدين الإسلامى، إلى أن توصلت لنتيجة مفادها أن الإسلام ضد ما يسعى إليه هؤلاء الأشخاص الإرهابيين، فقد جاء فى القرآن الكريم (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)، و(لا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق)"، مضيفاً "الآن فهمت أن الأعمال التى تصدر عن هؤلاء الأشخاص لا تمت للإسلام بصلة ولابد من الدعاء لهؤلاء الاشخاص حتى يسيروا فى النهج الصحيح".

خديجة ريفيرا من أمريكا اللاتينية، قالت عنها الصحيفة الإسبانية إنها عانت من عدوان جسدى ولفظى، مضيفة أنه عندما علمت بالتفجيرات أخذت تبحث عن الدين الإسلامى، وانتقلت بعيدا عن أسرتها، إلى أن اعتنقت الإسلام، وهو ما سبب العديد من المشاكل لها، منها أنها تعيش الآن فى ميامى لكن الناس يتصرفون بمنتهى البشاعة، فعندما تذهب إلى عملها مستخدمة الأتوبيس يتم إهانتها والبصق على وجهها والبعض يطلب منها العودة لبلادها.

وتقول خديجة ريبيفرا "الإحصاءات أكدت أننا نحن معشر النساء أكثر تحولا إلى الإسلام، وذلك لأننا نمتلك عقلا نفكر به أكثر من الرجال الذين لا يفكرون إلا فى أشغالهم، إننى لم أعتنق هذا الدين لأننى وقعت فى حب رجل مسلم ولكن لأننى أرغب فى التعمق فى بحث الروحية" ، مشيرة إلى أن "واحدة من أهم الأشياء التى جذبتنى للإسلام أننا لا نفرق بين ثقافة وجذور والعرق وما يوحدنا هو الله "، وأضافت نحن البيض والسمر والحمر والصفر جميعنا متساوون فى نظر الله ".

وأشارت الصحيفة إلى أن هناك الكثير ممن يحترمون الإسلام وينجذبون إليه، ومنهم من قال "ما أدهشنى فى المسجد هو أقدام المصلين وأننى لا أرى كراسى ولا طاولات وأرى الناس من دون حذاء وأنهم يغسلون أقدامهم قبل الدخول، ليس لأى شيء وإنما للتطهير الروحى الذى يجعلهم أقرب إلى الله".

(٣) تقرير لجريدة دنيا الوطن الفلسطينية نشرته بتاريخ ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣ هذا نصه:

كشفت نتائج الإحصاء السكاني الكندي لعام ٢٠٠١ عن تزايد أعداد المسلمين في كندا بشكل ملحوظ خلال العقد الأخير من القرن العشرين بسبب توافد المهاجرين المسلمين من جنوب أسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط، فقد زادت أعداد مسلمي كندا بنسبة ١٢٨,٩ % خلال العقد الأخير من القرن العشرين لتصل إلى ٥٧٩ ألف نسمة مما يجعل الإسلام أسرع الأديان انتشارا في كندا، كما أصبح المسلمون يشكلون ٢% من مجموع السكان الكنديين.

وأشارت بعض الصحف الكندية مثل صحيفة تورنتو جلوب آند ميل في مقال نشرته في الرابع عشر من مايو الحالي إلى أن إحصاء عام ٢٠٠١ أوضح زيادة أعداد أبناء بعض الأقليات الدينية غير المسيحية في كندا مثل اليهود والذين زاد عددهم بنسبة ٣,٧ % ليصل إلى ٣٢٩ ألف نسمة.

وقالت الصحيفة أن زيادة أعداد المسلمين الكنديين مقارنة باليهود الكنديين قد يؤدي إلى زيادة رغبة الحكومة الكندية في اتخاذ موقفا أكثر حيادا تجاه قضية الشرق الأوسط في الوقت الذي يضغط فيه اليهود الكنديون على الحكومة لاتخاذ موقفا أكثر انحيازا ودعما لإسرائيل.

كما ذكرت الصحيفة أن تزايد أعداد المسلمين الكنديين هو عامل هام ومؤثر على مستقبلهم السياسي ولكنهم مازالوا يفتقدون إلى التنظيم والتركيز السياسي الذي يتمتع به اليهود الكنديون.

في حين أشارت صحيفة كندية أخرى تدعى مونتريال جازيت في مقال نشرته في الرابع عشر من مايو الحالي إلى أن المسلمين أصبحوا أكبر الأقليات غير المسلمة في مقاطعة كوبيك والتي تعد أحدى أكبر المقاطعات الكندية.

وأشارت الصحيفة إلى أن نتائج الإحصاء السكاني الكندي لعام ٢٠٠١ تكشف عن تزايد أعداد مسلمي ولاية كويبيك من ١٠٨ ألف نسمة في أوائل العقد الماضي إلى ١٤١ ألف نسمة في نهاية القرن العشرين.

وقالت الصحيفة أن الفترة نفسها شهدت انخفاض أعداد أقليات غير مسيحية أخرى مثل اليهود الذين تناقص عددهم بنسبة ٨%، ووصلوا إلى ٩٠ ألف نسمة، كما زادت أقليات أخرى مثل البوذيين والهندوس والسيخ.

وأبرزت الصحيفة كون المجتمع المسلم في كويبيك يتضمن الكثير من الأطفال والشباب، كما يتضمن أيضا كثير من المسلمين الذين لم يحصلوا بعد على الجنسية الكندية مما يبشر بزيادة أعداد المسلمين خلال العقد القادم.

وتعليقا على نتائج الإحصاء ذكرت د. شيما خان رئيسة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية في كندا (كير-كان) وعضو مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) "نمو أعداد وتأثير المسلمين الكنديين سوف يساعد على مد جسور تفاهم قيمة بين الغرب والعالم الإسلامي"، وأشارت شيما خان إلى أن العقد الأخير شهد قفزة إيجابية في مستوى نشاط المسلمين السياسي وفي الحياة العامة الكندية، وقالت أن المستقبل سوف يشهد دوار أكبر للمسلمين الكنديين في الحياة العامة الكندية خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة كون المجتمع المسلم في كندا هو مجتمع شاب، مشيرة إلى أن نصف المسلمين الكنديين تقل أعمارهم عن ٢٨ عاما.

(٤) تقرير نشر علي موقع مجلة إسلام أون لاين الالكترونية بتاريخ ٢٧ يوليو ٢٠٠٧ ، كان نصه :

قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس إن الإسلام يعد من أسرع الأديان انتشارا في الولايات المتحدة، واصفة إياه بأنه "جزء من النسيج الثقافي الأمريكي".

وأكدت رايس خلال مقابلة خاصة مع قناة "الحرة" نشرت اليوم الجمعة أن الرئيس بوش يريد أن يرى شعوب الشرق الأوسط "وقد تمكنت من تحقيق تطلعاتها في الحرية والديمقراطية والرخاء، وأن يرى قيم العائلة

والعقيدة تحترم، لأن الإسلام الذي يعد من أسرع الأديان انتشارا في الولايات المتحدة هو جزء من النسيج الثقافي الأمريكي".

وقناة الحرة هي الخدمة العربية لراديو سوا الذي يتبع مكتب الإذاعات الدولية الأمريكية ويتم تمويلها من قبل الكونجرس الأمريكي.

وأضافت رايس: "نعلم أن الإسلام دين عظيم يحض على السلام"، ومضت قائلة: "لا يمكن أن نأخذ الإسلام بجريرة أناس يمتهنون العنف ويقتلون الأبرياء ثم يرددون اسم الإسلام"، مؤكدة أن هؤلاء لا يمثلون مستقبل الشرق الأوسط والعالم العربي.

يذكر أنه يوجد ما بين ٦ و٧ ملايين مسلم في الولايات المتحدة يمثلون نحو ٣% من إجمالي عدد سكان البلاد البالغ مجموعهم ٣٠٠ مليون نسمة ، بحسب إحصائيات أمريكية ، بينما تقدر منظمات إسلامية عدد المسلمين في أمريكا بنحو ١٠ مليون.

اما جريدة العرب القطرية بنشرت مقالاً بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٠٨ يتحدث عن انتشار الاسلام في امريكا كان نصه:

قال الدكتور محمد بشار عرفات مؤسس ورئيس مؤسسة التبادل والتعاون الحضاري الأميركية إن الصورة التي يتخيلها الناس خارج الولايات المتحدة عن المسلمين في أميركا تختلف كل الاختلاف عن صورة التجربة الواقعية للمسلمين هناك.

وذكر عرفات في محاضرة تحت عنوان «الإسلام في أميركا» بمركز شباب الدوحة مساء أمس الأول، أن زوار الولايات المتحدة الذين يتصلون بالأميركيين ويتفاعلون معهم يجدون احتراما للإسلام ولحياة المسلمين وممارستهم لشؤون دينهم. وأضاف عرفات أن المساجد والمراكز الإسلامية في الولايات المتحدة تغتنم فرصة شهر رمضان المبارك لكي يتواصل المسلمون مع إخوانهم المسلمين الأميركيين، ومد جسور الحب والتعاون مع باقي المجتمع الأميركي الأكبر.

وذكر أنه لأمر رائع حقا رؤية قوة الروابط الاجتماعية والعائلية والكرم والالتزام اللذين يظهران في المجتمع الإسلامي من خلال حملات التبرعات والصداقات ورعاية الأيتام، وكذلك تزايد مشاركة المسلمين في الشؤون والأعمال الخيرية لبعضهم البعض.

وأشار عرفات أن المطاعم تغلق أبوابها في المناطق ذات الغالبية المسلمة، ويمتنع الناس عن الأكل وتناول الطعام في العلن والأماكن العامة، كما أنه لا يوجد في الولايات المتحدة قانون يمنع المواطنين من ممارسة شعائرهم الدينية، كما أنها تفسح المجال أمام العاملين لكي يتمتعوا بإجازات خاصة في العشر الأواخر من شهر رمضان.

وأوضح المحاضر أن الإسلام أسرع الأديان انتشارا في الولايات المتحدة الأميركية، ويتوقع أن يتجاوز عدد المسلمين بحلول العام ٢٠١٠ أثني عشر مليون مسلم، كما أن المسلمين في أميركا يتمتعون بالحرية الدينية الكاملة، وهناك العديد من المسلمات الأميركيات يرتدين الحجاب في مكان العمل، وهناك ما يفوق الـ ١٠٠٠ مسجد إلى جانب مئات المدارس الإسلامية في الولايات المتحدة.

من جانبه قال خالد يوسف الملا أمين عام هيئة الشباب بالإنابة إن الهيئة سعيدة جدا بفتح باب التعاون مع الملحقية الثقافية بالسفارة الأميركية، وإن ثمار التعاون سيقطفها شباب البلدين في المستقبل.

وأضاف الملا «إننا نسافر كثيرا إلى أميركا وأوروبا، ونقوم بزيارة المساجد والمراكز الإسلامية، وللأسف نجد أن بعض المسلمين من الأصول الإفريقية والآسيوية لديهم طقوس وعادات بعيدة كل البعد عن عقيدتنا الإسلامية السمحاء، وهو ما ينعكس بشكل سلبي على جميع المسلمين في تلك البلدان».

وأضاف أمين عام هيئة الشباب بالإنابة خالد يوسف الملا أن الكثير من الشباب العربي والمسلم بصفة عامة والشباب القطري بصفة خاصة يتجهون إلى أميركا لاستكمال الدراسة الجامعية، ولذلك فإن مثل هذا النوع من التواصل يفيد شبابنا ويجعلهم أكثر اطلاعا على المجتمع الأميركي عندما يقرر السفر إلى هناك. الملحقة الثقافية بالسفارة الأميركية مهوش صديقي أكدت أن السفارة الأميركية ستواصل الانفتاح على مختلف القطاعات بالدولة، ومنها قطاع الشباب، وأن الحضور الكبير من الشباب القطري للمحاضرة دليل قاطع على مدى أهمية التواصل ومد الجسور بين شباب البلدين. بدوره قال حمد الزويدي رئيس مجلس إدارة مركز شباب الدوحة إنه سعيد جدا باحتضان المركز لمحاضرة الإمام الدكتور محمد بشار عرفات الذي

قدم شرحا وافيا عن الإسلام في أميركا، وكيف يجب على الشاب المسلم أن يتصرف عندما يزور الولايات المتحدة، وأضاف الزويدي «نحن أيضا نريد أن نلغي كل الحواجز، وأن نغير المفاهيم التي رسخها الإعلام الحاقد على الإسلام والعرب في رؤوس الشباب هناك مع كل أسف».

وتعمل مؤسسة التواصل على تجميع الناس في بيئة محفزة للحوار والتفاهم من شأنها توفير الدعم الفعال لوجود عالم يشجع على السلم والمحبة.

جريدة الرياض السعودية تنشر تقريراً بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٠٨ هذا نصه:

أشارت عملية مسح حديثة صادرة عن مركز الأبحاث الاجتماعية في جامعة جورجيا الأمريكية، الى ان الأسلام أسرع الأديان انتشارا في الولايات المتحدة اليوم.

ويبلغ عدد المساجد في امريكا "بحسب المسح" ما يزيد على ١٢٠٩مساجد بُني أكثر من نصفها خلال السنوات العشرين الماضية، وتتراوح نسبة الذين تحولوا إلى الديانة الإسلامية ما بين ١٧و ٣٠بالمئة.

وقال الدكتور عمر الخالدي كبير علماء الأبحاث في برنامج الأغا خان للهندسة المعمارية الإسلامية في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا في كيمبريج بأن هناك أولاً المساجد التي تجسد التصميم التقليدي المنقول من بلد إسلامي واحد أو أكثر، وثانيا مساجد تمثل إعادة تأويل للتقاليد المتوارثة والتي تدمج أحياناً بعناصر الهندسة المعمارية الموجودة في الولايات المتحدة، وثالثا تصاميم مبتكرة بالكامل كتلك التي اعتمدت في بناء المركز الرئيسي لجمعية أمريكا الشمالية الإسلامية في مدينة بلاينفيلد بولاية انديانا.

واشار الى ان معظم المساجد من هذه الفئات الثلاث تستخدم أيضاً كمدارس ومكتبات ومراكز اجتماع ومتاجر كتب وغرف طعام وقاعات اجتماعية وحتى كشقق سكنية. واضاف الدكتور الخالدي وهو مصور فوتوغرافي ومؤرخ لفن عمارة المساجد انه في حالات عديدة تعكس هندسة المساجد في أمريكا الشمالية تصاميم البناء السائد في

المنطقة المحيطة بها.. مبينا انه ومع مرور الزمن سيتم تطوير تصميم نموذجي يمثل مزيجاً بين الحنين إلى الوطن والابتكار.

(٥) جريدة الوطن الكويتية اشارات في مايو ٢٠٠٨ الي دراسة بريطانية توصلت الي ان عدد المترددين علي المساجد في بريطانيا اكثر من عدد الروم الكاثوليك الذين يترددون علي الكنائس في انجلترا و ويلز.

(٦) صحيفة لوسوار البلجيكية اشارت في مارس ٢٠٠٨ الي ان بلجيكا هي الاعلي الدول الاوروبية في معدلات اعتناق الاسلام.

(٧) نقلاً عن جريدة اليوم السابع بتاريخ ٢١ اغسطس ٢٠٠٩ :

كشف مركز أبحاث أمريكى مقرب من اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة، أنه تمكن من تأسيس منظمة جديدة تقوم باستطلاعات الرأى فى العالم العربى، خصوصا فى الأردن ومصر، بغرض قياس تقلبات وجهات نظر الجمهور، واستخدامها فيما بعد فى تحديد السياسات تجاه تلك الدول.

حيث قال منتدى الشرق الأوسط، وهو منظمة يمينية أمريكية موالية لإسرائيل فى بنسلفانيا، عن قيام نائب مديرها آدم بشتر، الباحث والكاتب السابق فى دورية الشرق الأوسط التى يصدرها المنتدى، بتأسيس منظمة جديدة تتخصص فى قياس الرأى العام فى مصر والأردن.

هذا ويعتبر منتدى الشرق الأوسط هو أحد أبرز منابر المحافظين الجدد، ويترأسه الكاتب الأمريكى الصهيونى دانيال بايبس، أحد أهم الأصوات المؤيدة للاحتلال الإسرائيلى فى الولايات المتحدة والكاتب المشارك فى جريدة الجيروزاليم بوست الإسرائيلية. وأعلن بيشتر، صاحب العديد من الكتابات المؤيدة للاحتلال الإسرائيلى فى دورية الشرق الأوسط، أن المنظمة الجديدة تم تأسيسها تحت اسم "بيشتر لاستطلاعات الشرق الأوسط".

وفى تصريح لدورية الشرق الأوسط، قال بيشتر إن أهمية إجراء استطلاعات رأى فى العالم العربى تكمن فى تأثير ذلك على السياسات الأمريكية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط. وأوضح ذلك بقوله إن استطلاعات الرأى التى كانت تجريها هيئة المعلومات الأمريكية فى

سوريا ومصر، "كان يتم استخدامها لدفع حكومات البلدين إلى تقديم دعم من قواتها لتحرير الكويت" فى حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١.
واعتبر بيشتر، أن هناك العديد من المشكلات فى استطلاعات الرأى التي يتم إجراؤها فى العالم العربى مثل ما وصفه بـ"شركات استطلاع الرأى المتحيزة التى تعتمد غالبا على منهجية غير موضوعية لخلق عناوين مثيرة أو دفع أجندات خفية".
وكشف بيشتر أن منظمته الجديدة قامت بإجراء أولى استطلاعاتها فى مصر والأردن خلال زيارة الرئيس الأمريكى باراك أوباما إلى المنطقة لإلقاء خطابه إلى العالم الإسلامى من القاهرة فى ٤ يونيو، وخلال الانتخابات الإيرانية، وركزت على الموقف من الولايات المتحدة وفرض عقوبات على إيران.
هذا ولم يذكر بيان منتدى الشرق الأوسط أسماء الهيئات التى تقوم بالاستطلاعات للمنظمة الصهيونية فى مصر أو الأردن ولم يوضح البيان إذا ما كانت تلك المنظمة تقوم بالاستطلاعات بنفسها وبشكل قانونى.

الفهـــرس

الجمهورية المظلومة

هذا الكتاب هو دراسة جادة لرصد تاريخ مصر بشكل محايد في أهم عشر سنوات من تاريخها الحديث , سيصحبك المؤلف عبر تغيرات فكرية وإجتماعية وسياسية ودينية مرت بها مصر في الفترة المشار إليها وأحدثت تحولاً كبيراً سواء في مناخها العام أو صورتها الكاملة وأثرت بشكل واضح على التركيبة ... أكبر بلد عربي , هو كتاب مهم يجب عليك قراءته بعمق لو كنت ... معرفة ما الذي حلّ ببلادك في الآونة الأخيرة , أو كنت عربياً ... بالشأن المصري وتريد معرفة ما الذي حدث مؤخراً لأم الدنيا .





